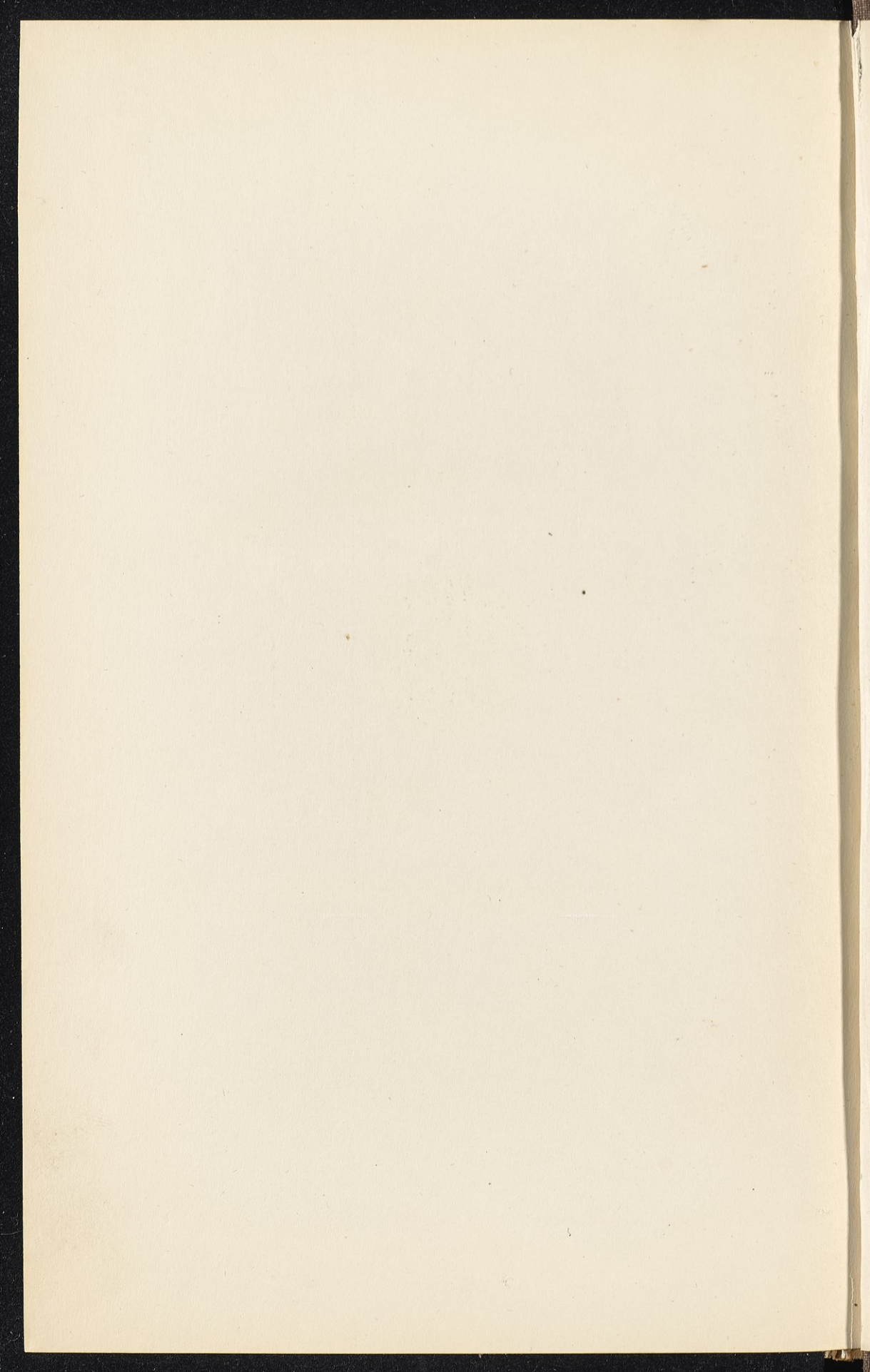
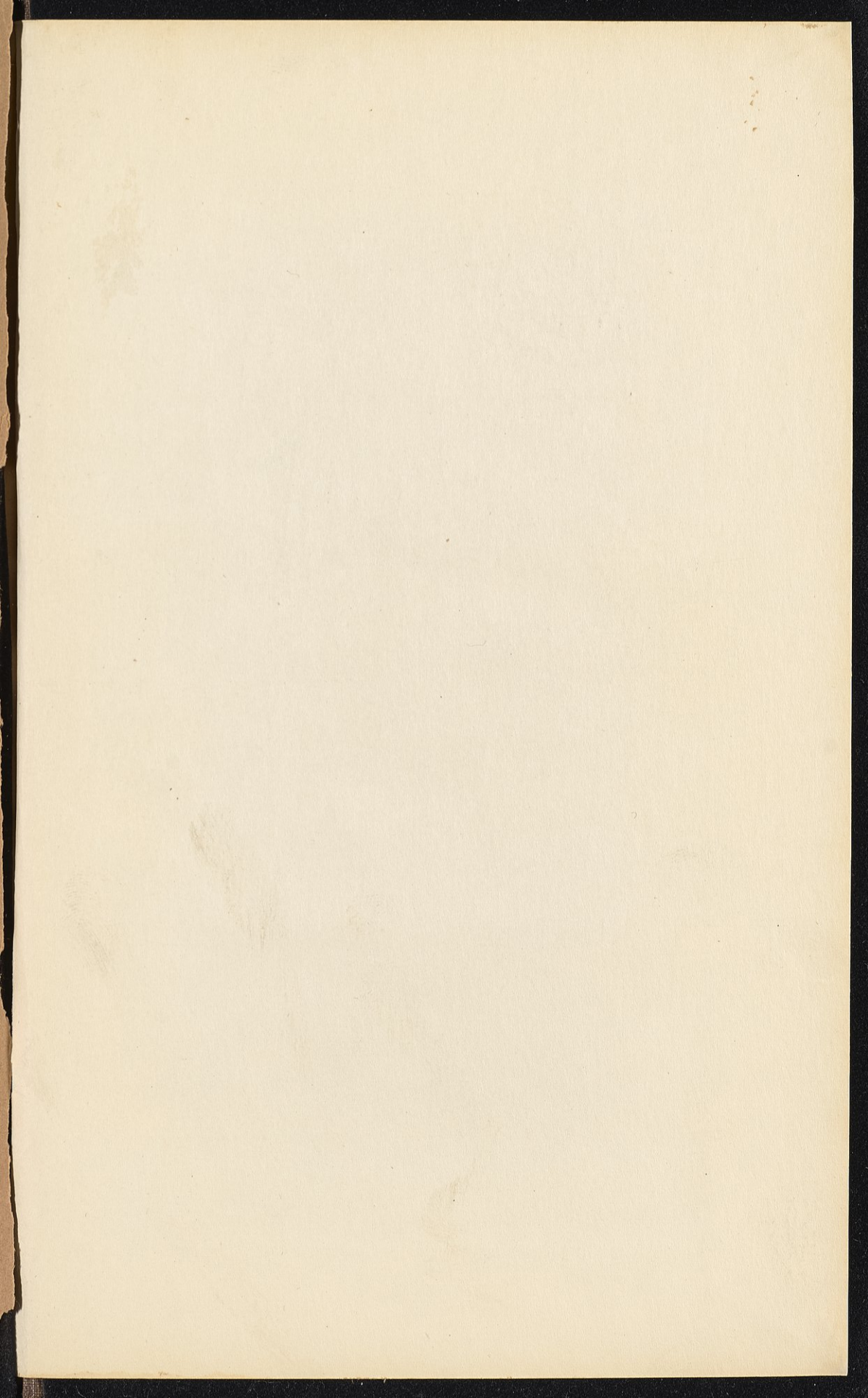


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







مقدمة لدرس لغة العرب

و
كيف نضع المعجم الجدي

تأليف

عبد الله العلابي

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦ ، بمصر



الاهراء



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

« إِنَّمَا بِسْمَةِ الْحَيَاةِ أَمَانِيٌّ » فَأَعْظِمُ بِبِسْمَةِ الْأَمَالِ
« يَا مَلِيكَ. بَدَتْ طَلَائِعُكَ الْغَرَّاءُ » . فِي مَجْدِ أَعْظَمِ اسْتِقْلَالِ
« عِلْمٌ فِي الْجَنُوبِ قَدْ ظَلَلَ الْأُمَّةَ جِيَالِ تَيْهَا وَآخِرُهُ فِي الشَّمَالِ »



« صَفَحَاتٌ مِنْ الْحَيَاةِ نَوَاقٍ لَمْ تَضِرْهَا ذَاتِيَّةٌ الْأَفْعَالِ »
 « رَجَعَتْهَا قَيْشَارَةٌ أُخْلِدِ لَنَا وَشَدَّهَا الْأَمْلَاكُ فِي الْأَصَالِ »
 « مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ يَبْتَسِمُ التَّامُّ رِيحٌ عَجَبًا لِلطُّهْرِ فِي الْأَعْمَالِ »
 « ضَفَرَ «الغَار» فَوْقَ مَفْرَقِ الْوَضَا «م» ءَ أَكْرَمٌ بِوَاحِدِ الْأَبْطَالِ »

« يَوْمٌ «مِصْرٍ» وَأَيُّ يَوْمٍ لِمِصْرٍ ضَمَّهَا الْحُبُّ غُورَهَا وَالْعَوَالِي »
 « مَوْكِبٌ رَائِعٌ تَنْظَمَتِ الْأَهْوَا «م» ءَ فِيهِ . أَكْبَرُ بِهِ مِنْ مِثَالِ »
 « نَضِجَتْ فِي الْجُمُوعِ نَفْسِيَّةُ الْمَوْ «م» طِنٍ فَالْتَامُوا فِي عُرَى الْأَوْصَالِ »
 « يَا مَلِيكَ «الْعَهْدِ السَّعِيدِ» عَلَى «م» الدَّهْرِ دَوَامًا فِي ظِلِّ الاستِقْلَالِ »

« وَفُؤَادٌ » قَدْ شَادَ لِلُّغَةِ الْفُصْحَى «م» مِثَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ »
 « كَانَ حَامِي الْبَيَانَ فِي مِثْلِهَا اللَّيْثِ فَأَخْلَدَ بِذِكْرِهِ وَالْمَعَالِي »
 « كَانَ رُوحًا يُشِيعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ رَشَحَ الظُّلَالِ »
 « أَوْ كَأَنْدَى مِنَ الظُّلَالِ بِلَالًا وَهَنَاءً مِنْ الْقَرَّاحِ الْحَالِي »



شكر

أريد أن أقول كلمة واجبة ، أشكر بها العالم اللغوي الياس أنطون الياس صاحب المطبعة العصرية ، الذي جعل من الكتاب حقيقة ذائعة تعيش مع جمهور كبير ، قد يرضاها وقد يتسخطها . بعد ان كانت تعيش دون مابه يكون المحي ، أي فكرة فقط وشخصية أيضاً .

وأية كلمة ، شهد الله ، لا أراها كفيلاً بما أشعر نحوه من شكر وتقدير ، وليس لأنني أفدت بنشره ، بل لأنه يخدم فكرة ويبشر بمبدأ ويوجه الدراسة العربية وجهة أخرى ، ربما كانت أصح وأكثر ضماناً لحاج العربية ، ووفاء بمحاجتنا منها كلغة .

وهذه الداعية التي تنتظم كل مشاكل اللغة ، والتي لا تفتأ جاهدة في تهيئة الوضع الثابت للعربية هي الدافع الحقيقي للأستاذ الفاضل الى نشر كتاب يعرف بسبيل جديد . عليه يأتي محموداً ، أو لا ، فلا أقل من أن ينبه الى معالجات أخرى غير ما كنا نعرف . والاستاذ بعد ذلك ليس بعريب عن المحيط اللغوي ، فله فيه أثر كبير أو أكبر الآثار . وبحسبه أنه ركز الترجمة القاموسية على شاكلة الصواب . وفي الحق انها معاجم مبنية على مبالغة في التحري ، وزيادة في التقيب ، ومرعاة صحة الدلالة ، وأخذها على الوجه الطباقي .

فاذا كان لي أن أشكره على أن نشر كتابي ، فاني لأجدد بأن أشكره على أن خدم جمهرة المثقفين ، بإنجاده لغة العلم ومدته لغة التعليم .

مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر

أما أن أتصدى لكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، فذلك مهمٌ لا يحسدني عليه أحدٌ ممن يعرفون الحالة العقلية التي خلفتها عشرات القرون في العالم العربي. ولا يقتصر إشفاقى على نفسى ، فاني لا أكثر إشفاقاً على الأستاذ عبد الله العلايلي فانه بنشر هذا الكتاب ستدور عليه رحي تلك القرون التي تعدُّ بالعشرات ، وسيظل غرضاً يرمى بثفالها وبلهوتها ، حتى يفتح هذا الشرق العربي عينه على الحقائق ويروى نفسه على مواجهة الواقع تاركاً من تقاليدہ القديمة ما ينافى روح هذا العصر ، مستمسكاً منها بما يلائم الحضارة الحديثة متخذاً منه دعامة لارتقائه وسنداً . فان الجرى على قواعد وضعها اللغويون القدماء — لهم من الله الرحمة ولهم منا عظيم الاجلال والاحترام — واتخاذ تلك القواعد أساساً للغة العرب ، قد ألبس الحالة التي انحدرت اليها لغة آبائنا حلة من القداسة ، حتى لقد يخيل للكثيرين ممن لا يدركون أسرار اللغات ان المساس بتلك الحالة ، عن بعد أو عن قرب ، انما يكون تهجماً على حرمتها وانها كالقداستها .

أما القول بأن القواعد التي خلفها السلف الصالح من اللغويين قد لا بستها حالة من القداسة ، فأمر لا جدال فيه ، وهو من حيث أنه بديهي ولا ريب فيه ، لا يقل عنه بداهة قول التطوريين^(١) ان سلفنا الصالح لم

(١) القائلون بمذهب التطور ، وهو مذهب تخضع له اللغة خضوعاً تاماً .

يلجأ إلى تلك القواعد ولم يقررها إلا الحاجة غلبت على عصورهم ، فأرادوا بهارد عادية الرطانة والعجمة عن اللغة . ولقد استطاعوا بكدم وجدهم وصفاء قرأهم أن يضعوا اللغة العرب سوراً أشد من الصلب مرة بحيث تقصر عنه هجمات الشعوبيين وأهل العجمة ، حفظوا بذلك هيكل اللغة صافياً وموردها عذباً غير مدّس بأكدار الدخيل من لغات الشعوب التي اختلطت بالعرب بعد القرن الثالث الهجرى .

لقد نظّم السلف الصالح ظمناً كبيراً إذا نحن رميناهم بالجمود أو نسبنا إليهم ظلامية العقل والتفكير وحكمتنا على القواعد التي وضعوها وقسناها على حاجتنا في العصر الحاضر ، من غير أن نلّم بالحالات التي قامت في عصورهم ، ولو أننا رجعنا إلى الحالات التي شهدتها أهل العربية في أوائل القرن الرابع الهجرى ودخول أقوام بعيدين عن العروبة في جسم العالم العربى يستعملون لغة القرآن فيفسدون من كيانها ويهدمون من بنيتها ، حتى لقد طغى على العربية في ذلك العصر مدّ من العجمة ، لرأينا أن سلفنا الصالح لم يجد من سلاح يقاوم به ذلك الطغيان إلا تلك القواعد التي سور بها اللغة واتخذها حصناً لها حصيناً . نضرب بذلك مثلاً من القواعد التي وضعوها في القياس والسمع ، إذ قالوا بأن الكثرة حد القياس والقلة حد السماع . فما اعتبر قياسياً كان لك أن تصوغ على منواله ، وما اعتبر سماعياً فلك أن تستعمل ما ورد منه عن العرب من غير أن تقيس عليه . هذا المتل وحده يظهرنا على جلال الحكمة التي لجأ إليها قدمائنا . فانهم بها حفظوا هيكل اللغة كاملاً . فكانت تلك القواعد في لغة العرب بمثابة المنطق في الفلسفة ، كلاهما قانون ثابت : ذاك للسان ، وهذا للعقل .

وبالرغم مما في هذا المذهب من صلابة وبعد عن المرونة ، فقد قبله المتكلمون بلغة العرب في العصور الأولى . ذلك بأنهم قد شعروا شعوراً باطنياً بأنه السياج الذي يحول بين العربية والعجمة التي كادت تغزو لغة العرب وتذهب بريحتها . وإذن يكون المذهب القديم في اللغة ضرورة اقتضتها حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية قامت في تلك الأزمان . هذا فضلاً عن أن لغة العرب وهذه حدودها قد وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها ، فلم يشعر أهل اللغة بحاجة الى التوسع في أقيستها توسعاً يلائم حاجات قامت في عصرهم قياماً فعلياً . الى جانب هذا المذهب الصلب الشديد قام مذهب آخر يوسع من أقيسة اللغة جهد ما يصل تصورك .

مذهب يقول بان كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فاذا سمعنا من العرب قولهم خِنُوسٌ للأسد ، وقسنا عليه أسماء حيوانات تعيش في الأشجار وقلنا لواحدنا شَجُورٌ فذلك من كلام العرب . واذا سمعنا من العرب لفظة كوسج وقلنا شَوْجَرٌ فذلك أيضاً من كلام العرب . غير أن انتشار العجمة في ذلك العهد وكثرة الموالى والدخلاء جعل الغلبة للمذهب الاول . ذلك بأن العربي كان يعتز بلغته اعتزازه بقوميته ، فلجأ الى الآمن من السبل احتفاظاً بترائه اللغوي أن يستهدف لأذواق لم تصقلها السليقة العربية .

كلا المذهبين على جلالهما وعظيم ما قدما للغة القرآن من خدمات لم يدرك أهلها ما ندرك اليوم من تصور اللغة . فاللغة في تصورنا الحديث جسم حي ، يولد ثم ينمو ثم يتوالد . واللغة حي يموت كما تموت جميع الاحياء ،

إذا امتنع عليه النماء وتعذر التوالد . وللغة كل خصائص الأحياء مع قياس الفارق . فإذا لم يكن في اللغة القدرة على التغذى بعناصر جديدة ، وتمثيل تلك العناصر تمثيلاً يحولها جزءاً من أصل بنيتها ، فإن اللغة تموت كما يموت الحي إذا فقد القدرة على هذه الأشياء .

أضف إلى ذلك أن اللغة تنمو بنماء الحضارة وتقوى بقوتها . فإذا انحدرت الحضارة في مهاوي الفساد انحدرت معها اللغة إلى الجمود والاستحجار . وهناك تجرى عجلة الزمان بغيرها من اللغات التي يتكلمها المتحضرون ويستعملونها في أغراضهم الثقافية ، فإذا مرَّ الزمان وكرَّرت القرون على لغة جمدت ، تعذر عليها أن تلاحق غيرها من اللغات في مضمار الرقي والحياة العملية ، مالم تنشط نشاطاً كبيراً في استخدام مواردها وأصولها ونواحي المرونة فيها لتستكمل عدتها وتستوفي شروط البقاء بقدرتها على التعبير عن مختلف الأغراض التي رُصدت اللغات لتحقيقها .

هذا الذي نعلم الآن من أمر اللغة يحملنا على أن ننبذ المذهب الأول ، مذهب الصلابة والتقيّد ، ويرميننا في أحضان المذهب الثاني ، مذهب التوسع والسّماحة ، وعلى قدر ما شعر أو ائللنا من حاجة إلى المذهب الأول ليدرووا به عن اللغة مدّة العجمة ، نشعر بحاجة إلى المذهب الثاني لننفض عن اللغة العربية الحنيفة ثوب البلي الذي لابسها مع كر السنين وتلاحق الأعوام ، ولتقابل به حاجات هذا العصر ومطلوباته العلمية والفنية والادبية .

ان الاستاذ العلابلي بكتابه هذا أول من يرسل الصيحة الاولى لقيام

مذهب التوسع في اللغة . واذا أردت أن تعرف ماهية هذا الكتاب فاعرف أنه تحقيق عملي قويم لمذهب الامام ابن جني القائل بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

وانى لأرجو أن يكون صدور هذا الكتاب فاتحة عصر جديد . عصر يقتنع فيه القائلون بقصور اللغة العربية عن تأدية الأغراض العلمية والفنية ، بأنها أوسع اللغات قاطبة وأقدرها على التعبير بذات مواردها ، وان فيها من عناصر الحياة ما سوف يجعلها لغة العلم والفن في الشرق القريب كله ، وإن كلام شاعرنا حافظ بلسان الشرق :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في ما قينا
كنا قلادة هذا الدهر فانقرطت وفي يمين العلا كنا رياحيننا
كانت منازلنا بالعز شاخحة لا تطلع الشمس الا من مغايننا
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهيننا
حتى غدونا ولا مال ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا
إنما هو كلام أترى نستدل به على حال غبر ، وعهد عبر ، وان
لنا من قوميتنا ولغتنا وجامعتنا العربية لقوة سوف تضعنا على هام الأمم
عما قريب م

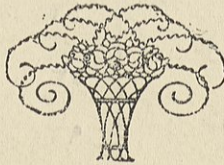
اسماعيل نظير

سكرتير المجمع الملكي المصري للثقافة العلمية

فهرس

صفحة	صفحة
	الاهداء ٠٠٠
	شكر ٠٠٠
	مقدمة للاستاذ الكبير اسماعيل مظهر ٠٠٠
١٢٢	ديباجة ٢
١٢٥	تصدير ٣
١٢٦	
١٣١	
١٣٧	
١٣٩	
١٤٠	
١٤٢	
١٤٦	
١٥٢	
١٥٦	
١٦٠	
١٦٤	
١٦٥	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٨	
١٧٩	
	القسم الأول :
	اللغة غاية لا وسيلة ١٥
	العربية واللغات ٢٥
	الخط ٣٩
	الاملاء ٣٩
	البيان ٤٢
	المعاني والبديع والنحو والصرف ٤٥
	العروض أيضاً ٤٦
	داء العربية ودواؤها ٥٣
	المجمع ضرورة ! ٩٦
	المجمع والمصطلحات العلمية ١٠٣
	اقتراح ومناسبة ١٠٦
	المعجم كيف نضعه ؟ ١٠٧
	دراسة التخصص في اللغة والأدب ١١٥

صفحة		صفحة	
٢٢٤	الرد إلى الأصل	١٩١	تعليق واستنتاج
٢٢٤	الضد		
٢٢٦	الترادف		
٢٢٧	تداخل اللغات	١٩٧	السمع أو ليس في كلام العرب
٢٢٩	الرباعي	١٩٩	الثلاثي
٢٣٢	الرباعي المثلي أو الجملي	٢٠٥	تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير
٢٣٤	الرباعي غير الأسم	٢٠٩	القلب أو قاعدة الدوائر
٢٣٦	النحت	٢١١	مناقشات
٢٣٩	الابدال الاشتقائي أو المعاقبة	٢١٤	القلب اللفظي
٢٤٢	التعدي وال لزوم	٢١٥	الاعلال
٢٤٢	الافعال « ت »	٢١٧	الاتباع
٢٤٢	التعريب « ت »	٢٢١	المزاوجة
٢٤٣	الاعراب « ت »	٢٢٢	التخفيف بالاسكان
٢٤٣	التذكير والتأنيث « ت »	٢٢٢	فعلية المصدر
٢٤٨	نمذجات من المعجم الجديد		



مَقَالَةٌ

للدروس لغتة العرب

و
كيف نضع المعجم الجديد

تأليف

عبد الله العاليلي

عُيِّتَ بِنَشْرِهِ إِدَارَةٌ

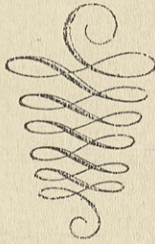
المطبعة: العيصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦ ، بمصر

ديباجة

هي ، أي المقدمة ، تبتدىء الدرس على فروع العربية مرة ثانية فتتناول النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة وتصل من وراء دراسة موزونة الى إقرار كل شيء في موضعه وعلى اعتباره وهي من وجه آخر حكاية تطور العربية في كل أشيائها . ولا يهولك أنها جاءت كما يكون المخلوق الجديد بكل مميزاته فرب غير معروف صار لا يعرف سواه وشعار كل الدرس الذي انتشرنا به على العربية كلمة وردت في التصدير :

(ليس محافظة التقليد مع الخطأ ، وليس خروجاً التصحيح الذي يعمق المعرفة)
وأنت أيضاً في خلال ذلك بكلام على المجامع ودور التخصص وتناولت الخط العربي والاملاء وسائر شكايات اللغة بحلول هي أقرب من كل ما اقترح حتى اليوم .



تصدير

تبتدى. محاولتى فى هذا الذى اقدمه من مجهود بعمل لغوى بحت . كان القصد منه اولا ان يكون عملاً قاموسياً فقط . يقوم برم النشر الذى تركه سفةة فى وجه اللغة مد التطور العريض . وليس كذلك فحسب . بل زاد حتى ترك من العربية شيئاً منحلماًتهافتاً لاتستقيم معه على تعبير . ولاتفى بتحديد تام على وجه علمى دقيق . وضرورى ان تكون على هذا التخلف لاننا نقصد مجتهدين ان نلز بلغة جيلية تعبر عن اهواء وميول وافسكار تبعد جداً اشد البعد عنا . نحن اليوم فى كل اولئك جميعاً .

وهذا منطقى ومعقول لان اللغات التى هى بدون ادنى ريب وليدة البيئات المحدودة بالمستوى العقلى والذوقى معاً . لاتنهض الا بالتعبير عن وسطها الذى انبرعت عنه فى حدود آفاقه على نسبتها من الاتساع والضيق .

والحق لولا مرونة العربية الطبيعية . ولولا ما افاض القرآن عليها من معنوية قوية لوقفت فجأة ولتخلفت دفعة واحدة بدون هذا التريث البطيء . على ان هناك سبباً آخر هو كل السبب فى واقع النظر وفى الواقع الصحيح ايضاً واعنى به المدرسة اللغوية التى قامت كذا محافظة على نحو تقليدى محض ظهرت فائدته فى اول العهد الذى كان الغرض منه الجمع والرواية لياتى على اثره الدرس والاجتهاد عليه . لا ان يظل كذلك رواية وتقليداً فى شكل الحركة ولون الصيغة على موردهما من المادة .

ولقد شعر بضعف هذا الاساس الذى يقوم عليه درس العربية . متأخرو اعلام هذه المدرسة فاتجهوا اتجاهاً آخر فيه نوع من تحلل . ولكن لا يبلغ الغرض المطلوب . واذا كان لنا ان نصفه فقد نصفه بانه شكلى صرف خذ مثلاً ابا على الفارسى فى كتاب القياس . وابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة والخاطريات . وسائر كتبه التى انكشفت فيها عن اراء لها قيمتها ولها سمو ملحظها العبرى . تلمس الاثر المدرسى متجسماً على نحو لا يسمح لهم بالاستفادة من الاتجاه العصرى الجديد الذى اخذوا فيه وخطأ هذا الاساس التعليمى من وجوه .

(١) انه طريقة استدلالية ضعيفة جداً ان لم نقل عليها بانها تهافت محض وخلف وذلك لانها نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصيغ عليهما وقرر منهما مذاهب متشعبة . وعنه نشأ تزايد الاقوال فى المسألة الواحدة ودعوى الشذوذ كثيراً عندما يعثر على الشاهد لا يتمشى مع مقتضى النظر . واذا اصح لهم الاستقراء احياناً فانهم يفقدون المقارنة دائماً .

(٢) انه حمل على الترويح للزيف فانا لانكاد نظمئن الى كثرة من الشواهد التي تنصب في مجال الخلاف . ونحن على حق في عدم الاطمئنان . فان نظرة عابرة تأتي بها على مثل خزانة الادب للبغدادى وشواهد العيني . تجعلك تنطوى على حذر غير قليل . وتفوت الحصر الطرائف التي تذكرها كتب النوادير عن اختلاق اللغوى بسبيل تأييد وجهة نظره

(٣) انه افسح المجال للعرب والتعريب بصورة مطلقة .

(٤) انه دعى الى الوضع الخاطيء الذي تولاه الفنى والعالم . فكل الاوضاع التي عرفناها في العلوم والصنائع والحكومة لا يمكن ان تنتسب الى الشعبة اللغوية بحال . ففي جهد من جهد العالم والفنى والحكومى . وزاد بهم التحرج الى حد انهم لم يذكروها في معاجمهم . واتما تولاها بالحصر ارباب العلوم انفسهم . خذ الكليات والتعريفات ودستور العلماء واصطلاحات المتصوفة . ومن قبلها الديوان للاسعد بن ممتى وصبح الاعشى وهكذا مما تسقط على الشاهد . بان اللغويين لم يكن هذا من عملهم ولا كانوا راضين عنه ايضاً .

وكما قلت في سالفه المقال لم يكن من قصدى في اول الامران اتجاوز العمل القاموسى الى هذا الاخذ العريض . الذى يتناول العربية فيما استقرت عليه من القواعد ومناقشة هذه القواعد ان كانت صحيحة ام لا . ثم مجاوزة المناقشة الى شىء غير قليل من التصحيح فيما احسبه كذلك .

واتما كان منى هذا التزويد وتلك المجاوزة لانه لن يتأتى لى ما اقصدته على وجهه من الدقة بدون ان آخذ فيما اخذت به . وهى دراسة في غير ماتكون من قصدى او دون القصد جاءت في مناسبتها من الحاجة والتساؤل .

والشىء الوحيد الذى ترمى اليه مجموعة ما اتهمينا به من امرها . ان ماثقفناه ولا نزال نثقفه اصبح في حاجة كبرى الى معاودة الدرس مرة اخرى . وتجديد تدوينة ثانية على وجه يكون اقرب مجازاً . واكبر حظاً من العقلية . واوفر نصيباً من الصدق . ولربما كان هذا العمل متيسراً لنا نحن اليوم . لاناقد اصبحنا وبين ايدينا اشياء كثيرة بما تبلغ بنا الى ما نريد وتفضى بنا الى الغاية من اقرب طريق . وبالاخص حينما تقدم بين يدي بحشنا الجديد نتيجة ما اتهموا اليه وهى نتيجة مهمما قلنا فيها ومهما احصينا من اوهاهما فلا يسعنا الا ان نعترف بان فيها كثيراً من الواقع ونقف من مجموعها موقف التقدير

ويسرنى في هذا الدرس الذى نبده ان لانكون شخصيين في نتائجه ولو على مقدار فيجعل فيها سيبيويه والكسائى مرة اخرى . بل علينا ان نعطي نتيجة جماعية او اجتماعية تفنى فيها الفردية تماماً وتذوب . هذه الفردية التي كانت وتكون على الدوام مبعثاً للانتصار العصبى . على ان مما تخشى بوادره الاختلاف القطرى الذى نرى اثره في البيان مستفحلين

ما يريد جماعة ان ينعتوه بنعت اقليمي . فيكون منه ادب مصرى وسورى وعراقى وهكذا وهو اختلاف لا يهرب امره اذا ظل في محيط البيان غير متجاوز له . بل على العكس ربما كان مفيداً جداً اذ يحمل على المنافسة التي توفر الانتاج وتغرى على التجديد من حواشيه ولكنه وييل الاثر اذا انتقل الى المحيط اللغوى البحت على مقدار ماهو في نظرى صالح في حدود البيان . واطنه غير منتقل اذا اخذنا باعداد متن اللغة اعداداً صحيحاً وافياً بحيث لا يستضيق عما يطلب له ويستخدم فيه . بل من شروط ما به نأمن شعوب هذا الاختلاف . ان يكون متن اللغة مادة حقيقية للفكرة لا اداة فقط تستخدم للكشف عنها وقد يرى غريباً ان تكون اللغة كذلك مادة تعين على التفكير . وهو حقيقة غريب في بادى النظر . ولكن من يتعاطى شأن البيان سواء في النثر او النظم يستطيع ان يرى هذا شيئاً واقعاً وحقيقياً للغاية

فكثير ما يكون خيال الفكرة هزيباً ليس على شيء من الابداع العبرى . وليس على شيء من الافتنان النافذ . ولكن لا تكاد تتناوله الالفاظ حتى تبعثه بعثاً آخر . وتخلقه خلقاً اوفى . فيه قوة ونفوذ ودقة وخولة . بل كثير ما تغير في مذهب التفكير مما يجعلنا ندين الفكر الحكيم والصور العبرى في جوانبها الخاصة للالفاظ واللغة . وعليه فجانب من براعة الخيال يرجع الى اللغة التي افرغت عليه ما افرغت وزودته بكل ما نسميه بسمو الفكرة حيث تطالع الانسان في دهشة بالغة ومطرقة ايضاً واقرب شاهد اسوقه لهذا قول ابى العتاهية في ارجوزته المشهورة :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

قف عند تعبيره الخلاب (روائح الجنة) الذى تسقط منه على سرى من المعنى لانظن ابدأ بان صورته كانت كذلك على تمامها وبكاملها في خيال ابى العتاهية وانما هو من فيوضات الالفاظ وحدها وهو سر اللغة وسحر البيان . واليك ما يقوله ابن بابك ايضاً

« الاليت شعرى هل ابين ليلة لقي بين اقراط المها والمحابس »

فان من يتذوق مقدار ما افاض تعبيره (لقي) على جمال الصورة التي يريد ان يظهرنا عليها حيث رسم لنا في خط شديد الوضوح ما كانت عليه المقامة من غمرة في مستوى الشعور الطافح على سداجة غير متكلفة . وسنسوق كثيراً من هذا في فصل (اللغة غاية لا وسيلة) .

واظنى قد انتهيت الى ما من قصدى ان انتهى اليه . وان اقرره في صراحة ولقد تقدمت ببعض منه . وهو ان الضرورة اصبحت تدعو الى تغيير منهاج دراستنا اللغوية وطريقة قياسها في الوضع والاشتقاق وما يتبعه من اشكال الاستعمال . ولذا اثرناها مناقشة ضافية

الذيول. ليس من غرضنا فيها الا ان تكون بعثرة لفكرة المحافظة على التراث الاجتهادي الذي لا يزيد عن انه اراء مرسله افضى بها العالم للغوى واقتنع بها كما اقتنع من قبله الطبيعي واللاهوتي ولكن ما يقتنع به شخص احياناً يجد كثيرين لا يقتنعون به ولا يكاد يطمئنون اليه اولا يواتيهم هذا الاطمئنان . على شدة تعرفهم الى تلك الآراء ومبالغة تعاملهم في ان يقتنعوا. بها فنازعوها وخطأوها وازروا عليها كثيراً . وتهانفوا منها اشدها يتعاطى التهانف ورأوا في انفسهم ما يعتدون به على امثال ابن جنى وهذه الطبقة . وهذا ما يحكيه^(١) شيخ الادباء في القرن الخامس رشيد الدين الوطواط عن فخر خوارزمي الخشري في مراجعة كانت بينهما والعجب ان ما تأخذ انفسنا به من تقييم انقلب خشية. واحترام انقلب عبادة. لم يكن حتى متأخرة اللغويين يأخذون انفسهم على نسق من مثل ما نقرض على انفسنا فرضاً عنيفاً ونوجهه ايجاباً قاسياً . لانستبيح معه ولو مثالة من التنكب والاختذ في وجهة اخرى. بينما نجد من متأخرة اللغويين الذين اصبحت اللغة وعلومها عندهم دعائم ثابتة لا مساغ للتردد فيها من مثل الدماميني والشمي والرضي والجار بردي . كيف يجوزون بسماح وفي غير دهشة لانفسهم الاجتهاد والتنقيح . وهذا العلامة محي الدين الكافيجي النحوي شيخ السيوطي ينفرد برأى اجتهادي حكاه (يس) في حاشيته على التصريح وحاصله ان تنوين (اذن) في مثل (من فعل كذا اذن محمد) تنوين عوض والكلام في قوة قولك (من فعل كذا اذا فعله محمد) ويرد رأى الجماعة النحوية السابقة. وهو هو الذي نراه اشد ما يكون محافظة في رسالته (وجوه اعراب جاء زيد) التي يذكرها السيوطي تليذته في بغية الوعاة ويزعم انها تقع في رقم السبعين وجهاً . واليك الراعي الاندلسي صاحب شرح الاجرومية والالفيه . فهو يظهرنا فيهما على اجتهادات لم يابه لكونها جاءت مخالفة لرأى النحويين بما يجعلنا ندرك كيف كانوا يفهمون ان التنقيح شيء يوجب الاحترام. ويفرضه التمسك والمحافظة. وليس محافظة التقليد مع الخطأ والوهم وليس خروجا للتنقيح الذي يدل على وجهه ويحقق المعرفة .

ومهما يكن من شيء فقد قررت ما اراه معقول العرب في اللغة من وجه. ومقيل عثار العربية بحيث يعدها للمستقبل الممدود من وجه آخر. وهي اراء لا اقول بان كلها حق وصدق وان كنت لا اشك في انها تقارب الواقع كثيراً . واعتقد بان عملية الوضع التي تأخذ غير الطريق الذي تقرر معالمه ونعين حدوده . ليست في الواقع الا مداورة للغة لا تخدما ولا تحفظ وجودها في شيء .

ولقد آن لنا ان تأخذ بمذهب الجد والا وضعنا العربية في موضع قلق . لا يتسع لها ولا تقوم فيه . ونحن اذا كنا نجد من مثقفة الجيل . تريثاً وانتظاراً للتناج التي ضمنها لهم

(١) راجع رسائل الحكماء

المجامع. فان ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك حيث لا يركنون اليه ولا يابهنون له. وسيقدمون على مقدم خطر جداً يعرض العربية للتلاشي السريع او للانقلاب المطلق. الذي يجعل منها لغتين لغة القرآن. ولغة تبتدىء في حدود القرن العشرين. تتفاوت كلتاهما تفاوتاً يكون لا اقل في اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية. ويكونون من بعد لم يفعلوا هذا الا عن حسن نية وطهارة ضمير واخلاص للغة مع ذلك وخدمة للفكرة العامة. وتبعة كل هذا انما تقع على كاهل اللغويين وحدهم. الذين وقفوا موقفاً سليماً لا يحيد عما تواضعه سالفو اللغويين. من معقول لم يكن في اوله الا وهماً خاطئاً. ونتيجة درس غير مستقيم ولا محقق. كما كثر ما نرزع تحته اليوم من تقاليد وعادات. لم تكن في الواقع الماضي بأكثر من مغالط صيرها التاريخ عقائد. ولا تحقر عمل التاريخ في تأسيس التقاليد. وتأكيدها وتوجيه النفوس وخلقها خلقاً مطلقاً وما اصدق ما قيل (التاريخ مصدر كل وجدان) وكذلك تجد. اذا اخذت في تقدير أثره وتنزيله من الوجهة النفسية. والتحرر من الانفعال بالتاريخ (كما يقولون) ميزة العبقري وظاهرة النابغ. . وبالجملة فان المجموعة اللغوية التي تلقنها جاهدين وندرسها مطمئين ونسير على ازاء منها شديد. ليست الا كمثلها مجموعة تقاليد فقط وخواطر أو خاطرات. يقدرها اللغوي في غير بعد عن حدود تفكيره وفي غير تناء عن شكل ثقافته. ويؤمن بها ويبشر لها كحقيقة لا ينبغي الريب فيها او الشك. ولقد يكون اكثر امانة لو بشر بها على انها افكار مجردة تعنيه بالذات اكثر مما تعنى اللغة. ويكون من بعد قد ادى الواجب العلمي في غير مكابرة لغوب. واما ان يعالني بهذا الشكل الذي يصورها وكانها ملحظ العربي. ومذهبه الوضعي وينحلها شواهد ما اراد كثرة فهذا ما نأخذهم به في غير لين .

والمضحك في استشهادهم احياناً تنازع الشاهد الواحد لمذهبين ونصبه دليلاً على جمع الرأيين من نحو قول الشاعر « كأن ظبية تعطو الى وراق السلم » .

ويقين اني لا اجد منصفاً يتقن وسائل الدرس. يرتاب في ان تقديرات اللغويين التي ندعوها اليوم علم اللغة. لا تتجاوز كونها من هذا النوع الذي نسميه (الفكرة الشخصية) فهي تعبر عن ملحظ مقدرها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب انفسهم. وعليه فمن العبث البارد جداً ان نقف عند حدود ما سموه قياساً وسماعاً الذي ستجد في فصل (السماع) من المقدمة ان انبناء لم يكن الا على كثرة الورود وقلته. وان نعجب من بعد فلقولهم على لسان ابى عمرو بن العلاء في عبارة (ما انتهى اليكم بما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرأ لا تنهى اليكم علم وشعر كثير) وفي عبارة (انما نحن بالاضافة الى من قبلنا كقبل في اصل رقل) فاي معنى اذن لقله الورود الا الضياع وعدم التحمل. . ومن هنا نجد للجماعة تفاوتاً منطقياً يقضى بالتناقض التام. على اننا بين هذا وذاك. نستطيع ان نهمهم بالتهجم على العربية تهجماً لا يجيزه هذا الورع الذي يأخذون الناس به واعني به جمع لغات

الجزيرة وبعارة اذ لهجات الجزيرة. والمداخلة بينها مداخلة مطلقة في غير تمييز ولا تنبيه والاستنتاج منها هكذا مجتمعة قواعد اللغة. وبينها ما نعلم من اختلاف شهدوا به بصورة مؤكدة. وان كنت ستجد انا لا نقر هذا الاختلاف على معناهم به وانما نقول بأنه تطور فقط يأخذ سنة ارتقائية. ولكنه منا اخذ بمنطق الجماعة على سبيل التنزل لبيان مقدار التناهي على مواطن الرأي. وربما تأتي لنا تحليل هذا الموقف المتفاوت باسباب اهمها:

عدم تفاهم المصريين البصرة والكوفة. واتخاذ هذا الاختلاف صبغه تعصية صرفة فتشددوا بمنطق السماع وعدم الحفظ أخذاً على مذهب الخصوم. وليس معنى هذا ان السماع كان من اوله كذلك. ولكن اريد ان اقول بان هذا الانتزاع الشديد فيه هو من جرى التعصب القائم والتحامل البالغ.

وهذا مأخذ شعروا به ولكن سموه تنقيحاً واليك ما يحكونه في هذا الصدد قالوا (١)
[ينظم التنقيح للغة العربية باربعة ادوار :-

(١) كان يعمل يعرب بن قحطان (٢) كان يعمل اسماعيل لما اصهر الى جرم
(٣) كان يعمل قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفقد عليهم في كل عام (٤) كان يعمل علماء المصريين اذ قصرُوا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب لم تحتك بغيرها الخ]

في هذا تنتظم ادوار التنقيح عندهم وما احرانا ان نأخذ بسبيل لا يخرج على العربية في اساسها ابدأ ويكون من بعد اقل ابتداءً من اخذهم السابق ونسميه تنقيحاً خامساً وسترى أنه ينحصر عند رأبي :

(١) في حذف السماع من اللغة الاعلى المعنى الذي اقرناه في بحث (السماع) من المقدمة.

(٢) في اباحة صوغ موازين الثلاثي برمتها من اى ثلاثي وكذلك موازين الرباعي (٣) في تخصيص الموازين مفردة او مجموعة بدلات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد (ففعال) يخص بما يدل على الرائدة (auto) في الاجنبية و (فعالية) يخص بما يلاقي في الاجنبية (ism) وبذلك تسهل مهمة الوضع ويكون ايضاً اكثر علمية.
(٤) في توحيد معاني المشتقات جميعها للمادة. على شكل ان تتوسل بورود المرجاس من رجس بمعنى مقياس الماء الى ان نشق من رجس بمعنى مقياس الماء. وليس في هذا خروج على مذهب الوضع العربي. فان العرب قالوا (رجس الماء بالمرجاس) قاسه وقدره وعليه فقد اكتسبت مادة الاصل من معنى الفرع بالتخصيص. واليك مثلاً آخر من

(١) راجع خطبة حفني ناصف ص ٧٦ من مجموعة خطب نادى دار العلوم

العربية قالوا دقق الماء بمعنى صب او انصب ثم قالوا ناقة دفاق اى سريعة ثم اشتقوا من دقق بمعنى اسرع فقالوا مشى الدققى الذى هوليس من . معنى الاصل وانما معناه بالتأصيل عن الفرع بلا ريب . وايضاً قالوا تهز هزاليه قلبى ارتاح للسرور . واهتز عرش الرحمن لموت سعد اى ارتاح بروحه . الذى يرينا تعاوناً بين فروع المادة على اشد فارقة من الصيغة ويظهر انه قانون عام فى اللغات فقى الانجليزية نرى ايضاً نوعاً من هذا التعاون والتأثر الشديد قالوا (plain) اى بسيط الذى قالوا منه (plainness) اى بساطة بتأثير هذه اللاحقة التى هى بمنزلة الصيغة فى العربية وانظر كيف تأثرت المادة بمعنى الفرع بقطع النظر حينما قالوا (plainly) اى ببساطة الذى يظهر فيه ان نفس المادة الجامدة (plain) اكتسبت معنى الفرع الذى هو (plainness) . . وفى الفرنسية قالوا (automobile) بمعنى السيارة ثم قالوا (autocanon) بمعنى المدفع على سيارة وانظر كيف تأثرت (auto) بمعنى الفرع (automobile) واكتسبت معناه بعض الشيء والا فهى فى الاصل لاتدل الا على الواحد والنفس . ولو اردنا ان نفهم (autocanon) على نحو لغوى لكان معناه الحاصل . المدفع المنطلق وحده او بنفسه .

هذا أهم ما فى الدعوة الجديدة أو التنقيح الجديد من أهداف ، ويحىء فى الدرجة الثانية من الاعتبار .

(١) الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية التى سترها مبسوطه فى المقدمة بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت .

(٢) الاستفادة من سنة الرباعى وما اليه بزيادة الحرف على الآخر بعد تحرير معانى الحروف الهجائية

(٣) المعاقبة أو الابدال .

وما بقى مما جاء فى المقدمة فلواحق فى الواقع لا يؤثر أبداً عدم اعتمادها كالحجاز والتضمين . والفك فى محل الادغام لدلالة . والتصحيح مع موجب الاعلال لغرض وهكذا مما بسطناه فى المقدمة

والغرض منه انبساط رقعة الوضع أمام الواضع الجديد بحيث لا يصادفه عناء ملحف ولا مجالدة جهيدة ولا عنت مرهق .

ولشد ما يحفظنى اعتماد لغويننا اليوم لوحى وجدان . استولده التاريخ عندهم على حدوده من المحافظة . وهم يشهدون من مطالب العصر على اللغة ما كان واجبا أن يجعلهم يغيرون من هذا الاعتماد . وينتحنون له وجهاً آخر يكون أكثر ملاءمة للعربية . وأكثر انتهاجاً فيها وانتاجاً عليها . وبرغم اننا حيال طغيان على العربية تكاد لا تثبت له نجد من اللغويين من يجهد ناصباً بترقيع أمزاق الماضى . على أى وجه وان كان لا يستقيم . وأغرب ما بلغنى أن

استاذاً يوسم بالاعتقاد في النحو هنا في مصر. لم أعد أذكر اسمه ويظهر أنه كذلك باقعة نحوية أو نحوى عرض للكلام على (لو) في مصنف يقع في ثلاثة مجلدات أو أجزاء لا أدرى أسماءه (ترويق الجو في تحقيق الكلام على لو) ثروة عظيمة من الكلام في كلمة . وكتاب في أجزاء تزيد على حروفها: هو يستطيع أن يخرج ثلاثة أجزاء في الكلام على (لو) ولا يستطيع ينهى حيرتنا في الآيات المثلثة الأعراب . أى التي تجوز بالوجوه الثلاثة الرفع والجرح والنصب . وهو فن ابتدأه بالتأليف احد نحائنا هناك في لبنان وقد أطلعنى عليه يوماً كنت فيه نجياً له . فذهلت حقاً من كثرة ما سمعنى ويسمعنى . حتى انتهى إلى قول الشاعر (تحيرت والرحمن لا شك في أمرى) وراح يسرد على وجوه أعرابها فقلت بحسبك رحماك فقد تحيرت والرحمن على الوجوه الثلاثة . فكانت ضحكة عريضة طويلة . وكان معناها في نفسى على غير معناها في نفسه . وما درى هؤلاء أنهم وهم يخدمون اللغة على ما يظنون ينحرونها نحراً جهبزاً . والحق لو كانت مجلدات (لو) هذه وحياً لكفرنا به وما اطمئنا إلى مغالطاته . وهل يكثر الكلام هذه الكثرة في حرف بسيط الوضع والمعنى . الاوان يكون مغالطات لنحويين . كان لديهم من الفراغ ما يهيه لهم أن يقولوا كذلك بدون حساب والوقع أنه الفراغ فقط . فهو الذى جعل (المقرئ الزبيدى) يخرج كتاب (عنوان الشرف) الذى وضعه على انه في الفقه ولكن يستخرج منه النحو والعروض والقافية والتاريخ بتحليل حرفى عجيب . يحمل على التقدير الممزوج والاكبار الآسى . وهو شئ وضعه الفراغ لنفسه فاني على يقين ان من يريد هذه العلوم لن يأخذها منه أبداً . وانما يقف عنده للفراغ واشباع نهمه ومن ثم يلتقى فيه المورد على المصدر

وأقل ما في هذا النهج الخاطيء . ان لا يتأتى لزلغتنا العربية بازاء قريب من اللغات الحية . الا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة . ونحن وان كنا لا ننكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافة . ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً .

هذه الصورة التي يكون التعريب أقوم منها سيلاً . حين يعتاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره الا بضعفى موضوعه قرائن . لتكشف عن المعنى المراد في مشترك الألفاظ . عدا عن ان العمل اللغوى يظل بطاء جداً . ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين الا مولدات القرن الثامن عشر . وهكذا على نسبة لو كانت لا يتسنى لها أن تخدم العربية في شئ وشاهد هذا أنك لو ذهبت تحصى ما استطاع كل لغوى عمله على نبالة جميعهم . في مدة طويلة لوجدتها تقع في رقم دون المائة ، وهو ما يدعش بحق . على أن أحدهم يتمدح بأنه انكشف عن ميحاد هذا الرقم . فهذا العلامة المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني (١) يفخر في مناظرته مع الشيخ عبد القادر المغربي . بأنه أول من أستعمل كلمة (عقيلة) لتقابل كلمة (مدام) إلى كلمات أخرى ، واذا أردت أن تقف على احصاء واف تقريباً عن ثروة ما

انتهى به الوضع الجديد فارجم (١) إلى مقال للاستاذ المعلوف . وفيه تشهد مقدار ما يعاني اللغوى . وما يصادف من تورع ببطى عمله إلى حد كبير . على أن اللغويين اليوم رغم ما يأخذون أنفسهم به من محافظة . بدأوا يشعرون أو اضطروا إلى الشعور بخطورة شأنها وانهم إذا راموا خدمة اللغة فلن تكون عند غاية هذه المحافظة على شكلها . ولكبير تقع على أثر للتساهل (٢) حتى عند المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني الذى يمكننا اعتباره رمز المحافظة اللاحمة في غير تنكب .

وهناك في الساحل المعروف إلى مصر كثيراً (بيروت) يوجد لغويان بكل المعنى ومع انهما شباً وشباباً على كونها من سدنة اللغة فهما يفهماها على غير ما يعهد باللغويين فهمها أما أولهما (٣) وهو الذى كان يخيل إلى فيه صورة كاملة عن (الحاتمي) في فلسفته على اللغة . فكنت أعجب لاجتهاداته التى لا تنقيد ولا تعبد . وإنما يتناول علوم اللغة على أنها لم تستوف غايتها بعد . وهي فيما يظهر وكأنها وافية بالغرض على كثير من الخطأ . وربما انكشف عن شيء منها فى رسائله التى وضعها للرد على المأسوف عليه الشيخ ابراهيم اليازجى ولقد استوقفنى رأيه فى فهم الغلط الذى يدعو اليه الارتجال حينما تناول ما أخذت به (زهون الغرناطية) وهو فى غايته يريد أن يظهرنا على أن هذا الغلط كثيراً ما كان فى العربية الأولى سراً من أسرار تزيدها فى الجوع والمصادر . والى جانب هذا لا يشيح عن الاجتهادات الجديدة بل يابه لها ويهتم بها . ويرى العربية ليست فى كثير مما قيل . وربما كانت فى كثير مما يقال .

وأما ثانيهما (٤) فله آراء تحدث عنها فى مناسبات كثيرة . بواسطة الصحف والكتب من أهمها ما سنتكلم عليه فى (بحث اللهجة) وأيضاً انكشف عن شيء منها فى كتبه النحوية وفى كتاب (نظرات فى اللغة والأدب) حتى خيل إلى فى هذا الأخير . أنه من أنصار الغلط الشائع ولكن بالتامسات قاعدية . فهو من هذه الناحية قد يكون لنا رأى آخر لا يستوى مع المقصود من الكتاب . ولكن على كل حال كأنهما يعطينا بعلمهما ان الأديب إذا وقعت منه مجاوزات شكلية . فلا ضير ان تتسع لها اللغة وتحتويها المعاجم . باعتبارها أصبحت

(١) منشور فى مجلة العرفان ج ٦ مجلد ٢٧ سنة ١٣٥٦

(٢) راجع كتاب مناظرة لغوية أدبية .

(٣) هو الشيخ عبد الرحمن سلام لغوى قديم أدرك عهد اللغة الزاهر فى بيروت وكان من عيونه وهو إلى هذا يتمتع بخواطر عبقرية بكل المعنى وله من الكتب دفع الاوهام فى الرد على اليازجى وشرح وتصحيح ديوان ابي تمام . والمثنيات استدرك على المحي فيه والاذواء اتسع فيه لاكثر مما استوعبه ابن الاثير فى المرصع وله ترجمة واسعة فى كتابنا (طبقات علماء وأدباء بيروت) .

(٤) هو الشيخ مصطفى الغلايينى لغوى أدرك العهد المذكور وهو معروف بتواليفه السكثيرة ومقالاته العديدة وله ترجمة واسعة فى كتابنا المذكور .

وافية الدلالة صحيحة الغرض . وليتنبه إلى الفرق بين الغلط والاستعمال المتجاوز بعض الشيء عن الوضع .

والجملة في هذا القول المتشعب المديد . ان العربية ستظل في موقفها وعلى وضعها ما دمتا نفهمها على لونها من المسحة التقليدية . ولم نسمح لأنفسنا بما سمح العربي لنفسه . ولشدها يحز على نفسى . أن أسمع المتفرغين (١) إلى اللغة أو الفارغين اليها . يتمنون عليها الأمانى . ويجهتدون بأن يعملوا ويصدقون في العمل ولكن لا يكون لهم من بعد عملهم الشاق الا شيء كبير خة (٢) المهاج لا تنتقل بالسيارة ولا تغير من موقفها . رغم انه قد كان لها دوى وهدير . وذلك لأنهم لم يشخصوا الداء على وجهه كما يقولون وهو يستفحل يوماً بعد يوم ويتزايد خطره رغم الضمادات التي تتخذ له . والاسعافات الوقتية العجلى التي تجرى عليه . وهذا الداء أصبح يشعر به كل أحد . وأيضاً يشعر بأن الوسائل التي يحتاط بها . لم تعد صالحة أو لا تفي بالمطلوب العصرى .

وعلى كثرة ما قرأت وسمعت من عبارات تصور مبلغ الداء . لم يمر بي البغ من نادرة ارسلها عفواً اخى الشقيق (٣) في محاضرة من محاضر السمار . كانت حقيقة حكيمة وان كان لها وجه النادرة العابثة . وفي عبثها وجه آخر من حكمتها . قال وقد اخذنا بالحديث عن اللغة . ومقدار ما عراه من تخلف عن مطالب العصر الذي كأمها تعيش على هامشه او في ضميره :

(كانت العربية تتسع لمطالب السماء فاصبحت تضيق عن قطرة الماء) هذه الكلمة التي اخذتها في اول الامر مأخذاً لا استغراب فيه . لاني ظننتها مزوجة وتسجياً ولا تعنى شيئاً وراء النادرة . ولكن بعد لأى وقفت منها موقف الدهشة . اذ فهمت انه يعنى بقطرة الماء ما تنحل اليه من عناصر كيميية . لم ترم العربية من وجدانها على وجه يفى بالتعبير عنها .

وفي غير ا كثار ومعاودة . فاني ارى الحديث يلتف على قلبي التفافاً . فلا يبتدىء الا على وجه ما انتهى . وربما كان السبب فيه ان الموضوع اصبح متجهماً مركزياً لمجموع تفكييرى فهو يظهر في اشد حالات اغفاله . والاعراض عنه والانصراف الى سواه . . وفي غير ما اكون كخباز ابن الرومى اقول . هذه افكار نصتها مدة لم تكن يسيرة فتحسب من الخاطر الهائماً . ولم تكن طويلة فتحسب في جميعها من الناموس الحى بل فيها ما هو حق لامرية

(١) راجع مقال المرحوم زكي مغامز عضو مجمع الشام في مجلد العام الفئات .

(٢) هاتان الكلمتان من وضعنا الجديد ومعنى الثانية فراشة الاتومبيل ومعنى الاولى حركة الفراشة المذكورة إذا كانت في غير فائدة وتعبير العربية الشائعة (على الفاضلى)

(٣) هو الشيخ مختار العلايلى المتشرع الاصولى الفقيه وله ترجمة واسعة في كتابنا المذكور

فيه كله الصدق والواقع . وفيها ما هو تقدير شديد الوضوح . لا يعدم وجهاً من الحق قريب ولا يخفى ان الحقيقة لم تكن حقيقة في اولها بل كانت مجازفة وتجربة . والواقع ان المجازفة العلمية ام الحقائق وناموس النواميس . وهي وان جاءت في بعضها دون ما به تكون الحقيقة . فان لها من بعض مقدماتها ما يحمل على التعويل عليها حتى يتبين وجه خطأها . كما هو الشأن العلمي في اسلوب التعليل والشرح في كل نحو . في كل عصر .

ونحن ندعو مجموعة ما انتهينا اليه درساً ومناقشة وتصحيحاً (مقدمة) بيد ليس لها مفهوم المقدمات . واتما كان منا هذه التسمية وكان منها ذلك القبول . من حيث سبب اليها المعجم . فبدأت ولم يكن لها موضع من القصد . وانتهت وقد انصرفنا اليها بكل القصد . فعالجنا بها الناحية الصرفية والاشتقاقية بكثير من التطويل . ووقفنا على مقدار اللحظات عند تعليل بعض ظواهر العربية . واستطردنا بين التصدير والخاتمة . بابحاث دعت اليها حاجة وجرت اليها مناسبة . فتناولنا المجامع ودور التعليم وبعضاً من تشكيلات العربية . وابدينا آراء في البلاغة والعروض . والاملاء والخط . من حيث كانت المقدمة تعبيراً عن آراء شخصية تعالج العربية في دورها الاخير . وكنا اضفنا فصولاً (١) لتعلل النحو والادوات وتدرس ظواهر الاعراب والبناء . ولكن عدنا فاسقطنها لتنتشر في مناسبة اخرى كتاباً مستقلاً لا يتناول سواها لما اتسع بين ايدينا من مجال القول .

والمقدمة تقع في اقسام ثلاثة . تناولنا بالقسم الاول متفرقات لا يجمع بينها الا ملاسبات الموضوع الواحد . واهم ما جاء فيها تحقيق ان دلالة الكلمة من اللغة على المعنى الحاصل في خيال المستعمل دلالة مقايسة وموازنة . وابحاث اخرى لها خطرها ولها نبل خاطراتها . واتينا في القسم الثاني على تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة فبدأ عاجلاً من حيث الوقوف عند تحقيق كل فكرة على ما يقتضى الاسلوب العلمي الخالص . فقد تجد فيها آراء مرسلة ولكن يطمئن اليها من حيث الشرح والتفسير . واهم ما انتهينا اليه من آراء فرض ان الجدول الهجائي باصواته (حركاته) هو لغة الانسان القديم . وتقدير ان نشوء العربية كذلك كان احادياً فتنائياً فثلاثياً الخ . وتحقيق ان العربية انتقلت من دور كانت فيه صوتية تماماً على ادوار متعاقبة . وان القرآن تناولها ولما تستقر . بحيث كان سبباً قوياً في تهيئة الاستقرار على اكمل الوجوه . وظلت غير خالصة من علائق الفوضى في الموازين وصيغ الجموع وابواب الافعال . الخ

(١) وضعنا كتاباً بعنوان (دراسات على فنون العربية) النحو والصرف والاشتقاق والبيان والمعاني والبديع والعروض والقافية والاملاء والخط افردنا بكل فرع منها قطعة واسعة من الكتاب بحثناه فيها تاريخاً ونقداً وتهديباً على الوجه المطلوب . وانا اسقطت ما اسقطت مضطراً بين تخوف الناشر ودلال المشترك . والذي اضعه بين يديك من المقدمة هو اقل ما كنت احب ان اخرجها عليه .

وجاء القسم الثالث فتناولنا فيه القواعد على النحو الذى يجب ان تكون عليه . فكان فيه نقد لمعارفنا من قواعد الاعلال حين فرضناه باعتبار آخر . وما اليه من اقرار الافعال على باب من الابواب . وستجد انا عايننا كثيراً فى التقدير والافتراض حتى انتهينا الى اصحه فى اسلوب النقد والتعليل . وسترى كيف نعيد مدار الحديث حول استنكار المحافظة فى كل فصل . فى كل بحث . لان المقدمة فى غايتها لاتعنى سوى هدم ما تعارفنا . ان فى تاريخ اللغة او فى القواعد . وهى ان تكن تنكشف فى بيان وجه النقض عن قاعدة نفرض فيها الصحة على مقدارها فلم تكن معنية الا على القدر الذى يستقيم به النقض وينتهج اسلوبه . ولذا جاءت القواعد مختلطة اختلاطاً كبيراً لم نجتهد بتنقيتها والتفريع عليها . وكما سبق فرغت الى سبكها باسلوب قاعدى تعليمى فى كتاب (دراسات على فنون العربية) وانما قصدنا هذا القصد وتعمدناه نظراً الى ماثيره المفاجئة . والفرع انما يفرغ اليه بعد تصحيح الاساس .

وبحسنا ما نخرج الآن من هذا المقدار . ليكون اعداداً للظرف المناسب والترتبة الصالحة . وموجهاً للافكار لتعمل تحت أبحاث اخرى . اولاً تحت ابحاث بطابع مخصوص . الذى يأخذ دائماً السبيل دون الوصول الى الحقيقة .



القسم الاول « اللغة غاية لا وسيلة »

ان ما نفيض به في هذه المقالة سيجد قلة تؤمن به وتسيغه . وانما كانت قلة لأن ما اشتهر من أن اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . جعلها شيئاً دون الغرض تتناوله للكشف عنه ومشاركته . وهو ملحوظ حق وصحيح . حينما نتجه بنظرنا إلى اللغة في دورها النشوي . وأما هي بعده فمجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والاحاسيس والنزوات وشقى المشاعر والاعتبارات . تتنظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

فللألفاظ بعد هذا الدور . وجود معنوي على مقدارها لا تنزل دونه في الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك . ونحن وان كنا لا نختلف مع الجماعة . في أن الذي أنزلها هذه المنزلة هو الوضع والاصطلاح . وهو أيضاً الذي أفرغ عليها ما أفرغ وحملها بما ترى عليه . فاننا لا نوافق على اطلاق القول اطلاقاً يشمل اللغة حتى في دور كمالها . فانها تكون على ملء الالهاب . وإذا تناولنا بها (وهي على ما هي) أية صورة ذهنية . كان لنا أحياناً من فضول الألفاظ زوائد لا تكون أبدأً في خيالنا حينما نريدها على تأدية ما كان اليه القصد . فهذه الزيادة التي بتأني لنا أن نصفها بالطبيعية . لا يسهل تعليلها إذا كانت اللغة وسيلة . فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها . وانما نكون أقرب قصداً في التعليل حينما نجعل للالفاظ في وجودها الشاخص أو الشاهد قياماً معنوياً . وبعبارة أكثر اصطلاحية كوناً معنوياً . تحكيه أفكارنا حكاية نتوسل إلى الكشف عنها بالقياس على كون الألفاظ : وهذا رأى لا نفرده به بل سبق اليه (صاحب النهاية) أبو المعالي الموصلي المعروف بابن الحبار . حين حد الحقيقة بانها (لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله لمثله لا عينه لعينه) راجع الارتشاف لأبي حيان : فالفاظ اللغة عندي تتناول الأفكار كما تتناول المقاييس الابعاد . وللمقاييس حقيقة في نفسها ووجود زائد على وجود الابعاد قطعاً . وفي النتيجة هي غاية دون الابعاد والامتدادات . وان كان بالنظر إلى ما يفيدنا منها تكون

غاية بملحظ من الوسيلة . وأكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية . يفرض فيها التعاون مما يتأتى لنا تسميتها بالغاية (١) المطاوعة . والمقصود من هذا المنتهى في أسلوب الشرح . بيان ان دلالة الألفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا أردنا أن نؤدى صورة ما كمثل (شعر) (٢)

« فِتْنَةُ الْعَابِدِ فِي مِحْرَابِهِ وَرُؤْيُ الشَّاعِرِ فِي لَوْحِ السَّمَاءِ »
 « نَشْوَةُ الْقَيْثَارِ فِي أَوْتَارِهِ وَلَحْنُ الزُّهْرِ فِي زَهْرِ الْفَضَاءِ »
 « وَحَنِينُ الْحَبِّ فِي تَطْرِيهِهِ وَرَجِيعُ الشُّوقِ مِنْ أَلْفِ النَّشَاءِ »
 « زُرْفَةُ الْأَمْوَاجِ فِي إِزْبَادِهَا وَخَرِيرُ الْمَاءِ فِي أُذُنِ الضِّيَاءِ »

فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الألفاظ المستقرة فالألفاظ « فتنة العابد » و « نشوة القيثارة » الخ مما وقع في الآيات تدل على معانيها المتجددة دلالة مقايسة . فكان لألفاظ اللغة أية لغة . التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحياناً تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الأديب أو العالم . وهذا طبعاً غير الجمال التعبيري الذي نتأثر به من جهة ذوق البيان لأن ما نعتى به . نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونة الالفاظ ورصاعة التعبير . وسنسوق لك مثلاً من الشعر المقارن يظهر فيه ما نجهد باظهار الفرق بينه قال الشاعر

« وَمَلَأَ قَضِينَا مِنْ مِثْيِ كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ »
 « وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يُنْظَرْ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَانِحٌ »
 « أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْإِبَاطِحُ »

هذه الايات التي هي مثال قديم من اشراق الالفاظ وجهاها على بساطة المعنى . ويقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدة .

(١) ووجه الاصطلاح بالنظر إلى اصطلاح المطاوع في الصرف الذي هو بمعنى الفعل المنفعل فتخوف مثلاً فاعل منفعل فالغاية المطاوعة معناها الغاية التي تنفعل فتكون وسيلة .
 (٢) من قصيدة لنا رحلة الى الخلد .

« نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنِي وَ لِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحْرُجُ عَارِمٌ »

« طَلَبْتُ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعَنْ وَهَنَّ الْمُسَلِمَاتُ الظَّوَالِمُ »

هذان البيتان اللذان انما مفتون بهما منتهي الفتنة عند عمر. وكما كان فاتناً في نفسه وادبه. وقد اتهم باني سأ تكلم عليهما كلاماً مفتوناً على مقدار ما أجذبني منها وقد يكون صدقاً وحقاً ما يقتضيني به هذا الاتهام. ولكن يجملني امضى فيه ان الاتهام سيكون له جهة مشتركة تلتقي عليه وجهة النظر وترتفع معه الخصومة. وهذه ظاهرة الابداع.

لا اجد حاجة الى ان اقف عند الايات الاولى التي ليس فيها اكثر من مشهد طريق جميل التصوير مُتَرْفِ البیان. لا تُفْرَغ الى بيان بيتي عمر وأدُلَّ على ما يُخْلِجُنِي مِنْهُمَا.

يقول في وضوح بالغ. انه ارسل اليها من على المحصب نظرة كانت شديدة ونافذة لولا تخرج انزواء فقط. دون تأتم المشهد القدسي طبعاً عند من كان يستغل اغراء القداسة لارواء العاطفة. ويوجب نداء الدين لانه استحال في وقدة الهوى صدى الرغبة الثائرة. فهو يسمعه قبل أي آخر. اذ يسمع فيه صوت هند والثريا والرباب وزُمرة عشيقاته الكثيرات. فهو لا يتأتم ولكن يتخرج. واذا رهب فما يرى الله وانما يرى الناس ذوى القالة المتطفلة. المتطلعة ونظيل بيان هذا القول لنُدَلَّ عَرَضاً على ما في قوله « لولا التخرج » من فحولة زائدة على جمال موقعه الشعري. ثم يسوق صوراً اخرى نظويها سراً لنعف معه عند قوله في ختام القصيدة

« طَلَبْتُ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعَنْ وَهَنَّ الْمُسَلِمَاتُ الظَّوَالِمُ »

الذي يريد فيه ان يصفهن بنزاهة الهوى. وطهر النزوع فقد طلبن الصبا وأصبنه ولكن لم يتهاوين. بل نزعن في شيء من العقوق او في كل العقوق. هذا معناه في البيتين وليس هو شاهداً منهما. وانما في قوله « نَظَرٌ عَارِمٌ » و الْمُسَلِمَاتُ الظَّوَالِمُ » وهو مانسميه (بزائدة الالفاظ)

وبيان الاول . ان العَرَمَ حينما نذهب مستعرضين لاستعماله الكثرة نجد معناه الشدة المتدافعة . ووجه الوصف حينئذ فأتى غاية الفتنة جميل غاية الجمال . اى نظر يتهاوى نحوها على مثل ما يكون التدافع الشديد . وفيه تصوير للنظر المثلثهم الجشع . ونحن على غير شك فى ان المعنى الذى كان فى خيال شاعرنا ليس شيئاً وراءه انه نظر شديد حَسْبُ .

وبيان الثانى . (المسلمات الظوالم) الذى وقع بعد المسلمات موقفاً غاية فى الملاحظة وحسن القصد البيانى . وشاعرنا بدون ريب لا يقصد اكثر من انهن ظلمن بنزوعهن وما بقى مما نُهَوِّلُ بِجَمَالِهِ آتٍ مِنْ مَوْقِعِهِ بَعْدَ الْمَسَامَاتِ مَوْقِعاً يَقْتَضِيْ اَنَّهُ صِفَتُهُ . وربما يوضح هذا الذى نريد ان نصل اليه منه . قول (بشار) خريج مدرسة (عمر) وتلميذه الخصب

« اُنْسُ غَرَاثِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيْبَةٍ كَطِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ »
« يُحْسِبْنَ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْاِسْلَامُ »
فبشار كعمر . يريد ان يقول بان الاسلام حَقَاطُظُهُنَّ دُونَ الْخَنَا . وَسِيَاجُهُنَّ دُونَ نَبَالَةِ الْاِحْسَابِ . وَلَا اِظُنُّ بَانَ (عمر) يريد ان يظهرنا على شىء وراء ذلك واما الظوالم التى هى زيادته . فليست الا تنديلا اقتضته القافية . ضمنه شكوى مريرة نكاد نشعر بشديد طعمها . وما تبقى فمن (زائدة الالفاظ) والزائدة هنا على مانرى هى فى انهن نَزَعْنَ نَزَوْعاً فِيهِ عَقُوقٌ شَدِيدَةٌ . فَلَمْ يَقْفُنَّ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَقْتَضِي الْاِسْلَامُ . بَلْ تَجَاوَزْنَ بِالصَّرِيْمَةِ اِلَى مَا لَا يَتَحَرَّجُهُ الْاِسْلَامُ وَلَا يَتَأْتَمُّهُ . فَهِنَّ مَسَامَاتِ وَظَوَالِمِ لِهَذَا ، اَوْ اِنْ صَبَّوْهُنَّ كَانَ مَلُوْهُهَا الْعِقَافُ . فَلَمْ تَكُنْ عَلَى شَاكِلَةِ يَا بَابَا الْاِسْلَامِ . فَلَمَّا نَزَعْنَ كُنَّ مَسَامَاتِ ظَوَالِمًا بَنَزَوْعَهُنَّ عَنِ صَبُوءِ لَا يَتَحَرَّجُهَا الْاِسْلَامُ عَلَيْهِنَّ . وَرَبَّمَا دَلَّ لِهَذَا قَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ .

« حَافِظَاتِ عِنْدَ الْهَوَى الْاِحْسَابًا »

وكأنه اوقع لفظ (مسلمات) كناية عن عفيفات فى ماضى الصبوة . وافاده لفظ مسلمات غير المقصود .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء ملاء غموضاً . ولذا غير وهو محل للاخذ
والرد بين ادباء الجيل . وكان ان استقر في رُوع الكثيرين . ما ليس الى المنطق
الحق . وراح من لم يذَرَب على فَصَح العربية او العربية اصلا . يركب مركبا ذَلَقاً
وينشي مثل الوَعَث والطَّبَع . اخذاً بقاعدة الانانية والشهوة (الغاية ^(١) تهرالواسطة)
اي على اي اعتبار . فلم يَأْبهوا بعد ذلك ان يؤدوا ما يقصدونه على اي نهج . استقام
او التوى مادام لا يلتوى مع غايتهم التي من اجلها يعملون . وهي اذا جوِمل بها العلماء
والفنيون فما يجامل بها الادباء الذين هم اهل اختصاص في الواقع . وفي الحق اني
مُغْرَضُ جداً ومُحَفَظٌ من لز منطق الغاية هذا . في محيط الادب بل في محيط البيان
العربي عموماً . وجديري وحريري بكل عربي . ان ينطوى على حفيظة مفرضة من هذا
النوع واسميتها مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفاهم ابدأ . اولا تسمع بأية مناقشة دون
رعاية اساسها .

والمعجب في نهضة مصر الادبية . انها تسير بِمُخْطَى ثابتة في جُدد من العربية
الصريحة . وعلى مقدار تعلقها بتجديد الفكرة تعلقها بسلامة اللغة وعربية التعبير .
وواجب ان اسجل وان لم اكن في مقام تأريخ . ان نهضة الاسلوب العربي تدين
لمصر وحدها كما تدين النهضة اللغوية للبنان القديم .

ولهذا فقط قصدت ان اهدم . بتحقيق ان اللغة غاية كما يكون الحساب والهندسة
وما اليهما من انواع الرياضى . ما يَفْرَعُونَ اليه اذا راموا اللغة عَاشِينَ . وقررت مالم
يكن في معرفة الكثيرين . من ان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة
مقايسة وموازنة . والا لودلت بالنفس لكان لها (على نهج الفلسفة القديمة) . وجودات
متعددة بتعدد الاشخاص اللأغين . والتلازم خُلْفٌ فارتفعت الملازمة على وجه
الاقتضاء . وبجسبتنا من حديثه ما انتهىنا اليه . لنفيض في بيانه على آيات من الشعر
نَدُلُّ فيها على ما يجدر بالناقد البصير تمييزه . واعنى به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ

(١) راجع مقدمة كتاب (السفس) للدكتور ابو جرة وكتاب الغربال للاستاذ نيممة

وبين زائدة اللفظ وَيَبْنِي عَلَيْهِ في درس الادب والاديب كثير من التصحيح . قال

قيس بن الملوح مجنون ليلى

« بَعِيشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَلْتَ فَأَهَا »

« وَهَلْ رَفَّتْ عَائِكَ فُرُوعُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأُفْحَوَانَةِ فِي مَدَاهَا »

يكاد يكون هذا القسم عاماً على لسان الشعراء والعرب جميعاً . وهو لا يزيد في

اعتبارهم على (برك) و (لعمرك) و أمثالهما . ويقين انه لم يكن من معناه في خيال

المجنون اكثر من الحلف والتأكيد على هذا الذي حظي بالسعادة كلها مجموعة بين

يديه دونه . في غير مكابدة . ولا علاقة لاغبة . وعلى خيال الحلف وحده اكد المجنون

على مخاطبه . او بعبارة اقرب مزاحمه فقال (بَعِيشِكَ) ولكن اى معنى تَرَى . لو

ابدل لفظاً مكان لفظ . واقام تعبيراً في محل تعبير . لما كان يزيد عن انه قسم عادي

جداً لا يشعر معه بشدة الزفرة . التي في مثل ما يكون من الموقد اذ يصيبه الماء ثم يخمد

في غير ضجيج . ليعبر عن الاسى المضمّت بثوبه الفحجي الدّاكن . وهذا البيت جاء

به الرواية ايضاً على وجه آخر من التعبير فلم يكن من وقعه الاطنين القسم اجوقاً .

« بَرِّبِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَلْتَ فَأَهَا »

ولكن كيف يشعر ذلك التعبير بما نُهَوِّلُ به . سأجيب بأنه من زائدة الالفاظ

وذلك حين تمثل المجنون يرى العيش في ظل التي يهوى سعادة دونها السعادات .

وهو من نُشْدَانِهَا ظل يبيكها ابدآ في اُنشُودَةِ الْحُزْنِ المرة . بهذا النظر طالع القسم

حين يستفهمه عن شكل من اشكال تلك السعادة . ولون ثري من الوانها مرسوماً

بضمة السحر وقُبَيْلَةَ في عين الصباح . بربك اما تشعر بامسي يتقطع في انفاسه . ويذوب

في نبرآته . مع القسم اذ يرسله جامعاً بين الامانى العذاب وتاوهات العذاب وهو

أروع (١) قسم سمعته في الشعر على تاريخ البيان

قالت نَزْهُونَ الْغَرْنَاطِيَّةَ

(١) راجع الكلام عليه مبسوطاً في بحث (القسم في القرآن من مقدمة التفسير)

« لِّلّهِ دَرُّ اللَّيَالِي مَا أَحْيَسْنَهَا وَمَا أَحْيَسْنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ »
« لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتَ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ »
« أَبْصَرْتَ شَمْسَ الضُّحَى فِي سَاعِدَى قَمَرٍ بَلْ رِيمَ خَازِمَةَ فِي سَاعِدَى آسَدٍ »

لا اجتهد بان ادل على مواطن الجمال في هذه الايات . التي ينزل البيت الاخير منها منزلة اربع الشعر وامتنه واخلفه بكلمة الشعر . وانما اقتصر منها على محل الشاهد الذي هو (زائدة الالفاظ) واين تقع منها . وفي غير كبير تَعَمَّلُ . تعثر عليها في (فلم تَنْظُرْ الى احد) وفي (بل ريم خازمة) ولكن كيف يكون لهذين التعبيرين ما ذكر من ابداء الصورة على شكل ماظهره من سَرَى وثرَاء . فهذا ما نتناوله ونجتهد في تمثيله على وجه قريب من الاصل . ولكن طبعاً لا تكون له تلك العذوبة التي لاصله تقول في البيت الثاني كلاماً عادياً حتى تنتهي الى (فلم تنظر الى احد) فننشر بكل اِفْتِنَانِ صورة من غفلة الرقيب . التي لم تكن عادية ولم تكن غفلة مختلصة كما هو شأنها . بل كانت غفلة على معنى الاباحة . حتى كأن الرقيب جعلها منحة للفناء في الحب والاغراق في النشوة . فكنت تشهد مناظر من النجوى المطمئنة التي لا ترتقب مفاجئة من الارزاء . ولا تخشي عيناً يسترها الهواء . فهي نجوى مُتَبَسِّطَةٌ تزيد تبسطاً في مرالنسيم فلا ترهب من حفيضة حساً . ولا تحذر من غنائه صوتاً . وانت لا تسمع في خلالها الا قُبْلَةَ لا تنتهي الى موضع اللام^(١) منها . وهذا منظر لسنا نحن نرسمه على انفراد بل بريشة (زهون) وحدها . وسمع كيف تقول لم تنظر الى احد . فقد كان هناك آحاد . وعين الرقيب لم تنظر اليهم . فهو اذن مشهد ممتد . يحوى مناظر عديدة من هنا وهنا تَنْتَشِي الحب من رَاوُوقه الصافي وتهميم في رِوَاقِهِ المشرق الهاني . وانا على غير ريب في ان (زهون) لم تقصد تصوير كل هذا . حين ارسلت (فلم تنظر الى احد) وان ما نعتقد انها تصورته لا يزيد عن ان عين الرقيب غفلت في مشهد ما تريد ان تطلع عليه . مرسوماً في البيت الثاني على لوحين . تزدادان براءة مع

(١) كناية اجريناها بجرى الصناعة عن استدامة القبلة وطولها لانه بنطق اللام تنفرج الشفتان وتتهي القبلة

دوام النظر. تبدو اللوحة الاولى منهما دقيقة ومشرقة على مقدار ما لوحدث في الطبيعة . وكانت الشمس في ساعدى القمر حقيقة . وتتجاوزها الى اللوحة الثانية التي فيها مانعني بالزائدة . بيد أن الصورة نفسها لاتعبر عن شيء وراء ماتعبر عنه الصورة الاولى فلا نشرحها . وانما نقف عند اللفظ الذي اثار في نظرنا زائدة حقيقة وهو (بل) وهي اى نزهون لو قالت بعبارة (او) لما كان لها ذلك الوجه الذي نحكي عنه . وانظر كيف تثيره (بل) هذه وتحملنا حملا على التنبيه اليه . فهي تقول ما كنت تبصر جميلة في ساعدى جميل فقط بل فتنة مشبوبة . تؤلف من اختلاف الطبائع طبيعة تجد معناها وحقيقتها فيما كان يمتاز عنها بالمعنى والحقيقة . وتجعل من القسورة الشرس حملا وديعاً . ينطوى بتحامل وحُوءٍ نشواناً بالمعنى الذي هو وراء وجوديهما فيشدهُ في خدر صليب . وسبات هانيء لذيد . وفي اللوحتين تعرض مثلاً من الجمال في الحب . ومثلاً من الفتنة في الحب . ومثلاً من الجمال العاشق . ومثلاً من الفتنة المحبة .

حقيقة ان معنى الصورة الثانية في صميم الالفاظ ولكن (بل) وحدها هي التي تثيره وتنبه اليه . ولولاها لكانت غفلة خاطر عن المعنى الحقيقية . (ونزهون) من بعد لم تقصد الا تنويع الصور كما يظهر

قال حافظ^(١) بك ابراهيم على ما أنشدنيه بعض خلطائه لما زار لبنان .

« يَاغْلَامُ . الْمُدَامَ وَالطَّاسَ وَالْكَأْسَ وَهَيْبِي لَنَا «شَرَابًا» كَأَمْسٍ »

« وَأَسْقِنَا يَاغْلَامُ حَتَّى تَرَانَا لِأَنْطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسٍ »

« خَمْرَةَ قَيْلٍ إِيَّاهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمَلَّاحِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ »

وروايتها في الديوان (وهيء لنا مكاناً كامس) ونحن سنمضي بالكلام عليها على النسق الذي بلغنا منها . فانه التعبير الذي يستوقفنا اى (شراباً كامس) على تقدير ان متعلق الجار والمجرور . صفة الشراب لا (هيء) والا فهو يعدل رواية (مكاناً

(١) الشاعر الفند الذي لم يحسن المصريون شرحه وقدموه فهدموا من نهضة بيانهم علماً خالداً

كامس) ويبدو البيت بعد ذلك عادياً صرفاً وحديثاً منظوماً. ووجه الجمال فيه والزائدة انه وضع الامس هنا كناية عن الذكرى . اى شراً يفعل بنا نشوة كما تفعل الذكرى . واذا صححت هذه الرواية لحافظ . فيكون قد وقع على معنى مرقص غير مسبوق به . ولما ان حديث الادب ذو شجون وقد جاءت مناسبة . فما احببى (قيل) عنده . واظن بانها لم تحسن فى شعر باكثر مما حسنت هنا . وما ابرعه تَطَرُّفاً لو قال (قَطْرُوهَا) فى محل (عَصْرُوهَا) ولا اقول هذا لما استدرك به بعضهم (١) من ان عصر تقال فى الاستعمال العامى على الدمامل . فانا لو اردنا ان نحمده اى الاستعمال العامى . لآتى على اكثر الادب واستقيم اعلق الالفاظ بالملاحة . وَاَدَهَا ظَرْفاً كَمَعْرَسٍ وَعَلَقُ . وما اليهما . مما لو اعتبرناه لاسقطنا ثروة من اللغة . وكفى الشاعر انه ينظم بالعربية الخالصة او عربية البيان الرفيع على انها لفظة عريقة فى الادب العربي بهذا الاستعمال والمعنى . وفى هذا الموضوع بعينه . وارفَع الالفاظ نسباً بهذا الاعتبار . فقد وقعت فى القرآن (اِنِى اَرَانِى اَعَصْرُ خَمْرًا) ووقعت عند ديك الجن قال .

« وَقَهْوَةٌ كَوَكْبَهَا يُزْهَرُ يَنْفَحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَبْرُ »
 « وَرَدِيَّةٌ مَجْدَهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تَعَصَّرُ »

ووقعت كذلك عند كثرة من الادباء . لم يعد يحضرني منها الا ما ذكرت . على انه فى غايته استدراك بارد يارد كما يقولون . وما مثله فى الواقع الا كمن يأخذ على متكلم بالانجليزية مرادف كلمة هواء . لانها فى العربية تقال على مايقبح ذكره . او كمن يدخل متحرشاً بين محبين يطلب المدلَّةُ منهما قُبلةً تُنْدَى عليه حبه فيزجره لانها تقال فى العربية ايضاً على الصنوا الآخر . وانما ملحظنا ان عصر فى موضعها الشعري قِلَقَةٌ من حيث ان الحجرة التى ير يدها كالدكرى لا يتسق معها (عصر) . هذا اذا صححت الرواية التى بنينا الكلام عليها . والا فهي سائفة كما تكون العقار فى حلق شاربها .

(١) هو المرحوم مصطفى صادق الرافعي الاديب الواحد فى نهج من الادب امتاز به واما فى النقد فانه يبدو كما هو اديباً فقط . فيه صورة من الادب وليس فيه صورة من النقد

قال الصافي (١) من قصيدة

« وَاسْكُنْ كَوْخًا مَا بِهِ أَىُّ زُخْرَفٍ وَكَيِّنَهُ كَوْخٌ أَقَامَتُهُ لِي يَدِي »

هو بيت بُرَى على اشد ما يكون الوضوح . حتى كاد يكون حديثاً عادياً ولكن رغم ما يبدو عليه من بساطة سابعة . اشعر بانهُ مُتَشَقِّبِي نَزَوَاتِ شَتَى وَفَلَسَقَاتِ وَجَدَانِيَةِ عَمِيْقَةٍ . وهو بين القناعة والكبرياء . والزهد والادِّلال . يَحْتَمِرُ الْعِظَمَاتِ الَّتِي تُقِيمُهَا اِيَادٍ اٰخْرَى . ويسخر من القِنْفَخْرِيَّاتِ (٢) الذليلة التي تَصْطَنِعُهَا جِهَاتٌ . تستعبدُها استعباداً يدعو على كل حرية . ويرى العظمة غير المزيفة والقِنْفَخْرِيَّةَ الْحَقِيْقِيَّةَ فَمَا تَهَبُهُ الْيَدُ لِصَاحِبِهَا .

وكذلك يَطَّلَعُ على كل الناس من كوخه مُدِلًّا تِيَّأَهَا وهو بعدُ كوخ حقير . وانا لم اسمع اشد نكاية . ولا اكثر سخرية . ولا ابلغ تهكماً . ولا امرَّ تعريضاً . من قوله (اقامته لى يدى) وهذا كله ليس محل الشاهد وانما اردت التعريف (بيت) يمر به اكثر الناس . ولا يشعرون بالجانب الروحي فيه . والزائدة في البيت (ولكن) هذا الاستدراك الموطأ له بكلمة (زُخْرَفٍ) . ومن ثم استمع لِأَذُنٍ بِلاَغِيَّةٍ شاعرة . تدرك مقدار ما تثير من معنى عميق تنزل عنه الالفاظ . ويبقى حيث هو فى تسام مدهش .

قلت من قصيدة (٣)

« مَنْ رَأَى الرَّوْضَ يُغْنِي السَّحْرَا مَنْ رَأَى الظَّبْيَ يَسَاجِي الْجَوْذَرَا »

« مَنْ رَأَى الْفِتْنَةَ فِي رَاوُوقِهَا سَكَبَتْ فِي الرَّوْضِ حَتَّى نَوَّرَا »

« مَنْ رَأَى الطَّيْرَ يُعَاطِي الْفَهْ رَشَفَاتِ الْحُبِّ فِي جَوْفِ الْكَرْيَا »

(١) احمد الصافي النجفي ، شاعر عصرى ثائر حتى فى صموته . وشعره لا يشف عنه كثيراً . ولو استطاع ان يفرغ كل نفسه فى شعره . لجاء به شعراً فوق الشعر . وشعره على وجه العموم صامت واعني بالشعر الصامت . الذى ينزل عن مستوى المعنى ، ولا يتناوله الا على غموض

(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (الارستقراطية) و (قِنْفَخْرِي) فى محل الارستقراطية من قول العرب (قِنْفَخْر) للمقتخر بنسبه التاريخي

(٣) هذه ابيات من قصيدة قلتها فى خطبة اخي الشقيق

« مَنْ رَأَى الْبَلْبُلَ يَشْجُو صَادِحًا مِنْهَا مَثَلًا يَشْجُو مُحِبُّهُ هُجْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْجَدْوَلَ مَضِيًّا عَلَى ذِكْرِيَاتِ أُسْكِرَتِهِ فَجَرَى »
 « مَنْ رَأَى الْغَابَ يَصِيحُ خَاشِعًا لِأَلْيَفِينِ اسْتِمَاحًا الْقَدْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ اخْتَوَاهَا مَرْجُوبًا (١) لَعِبَ الرِّيحُ بِهِ فَاسْتَكْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ تَعَاظِينَ مِمَّا بُوَهَازَ (٢) يَسْتَبِي كَلَّ الْوَرَى »
 « مَنْ رَأَى هَذَا فَإِنِّي مِثْلُهُ لَعِبَ الْمَيْدُ بِهِ فَارْذَخْرًا »

تأمل في ذوق النقد (استمحا القدرا) تجدد تجتته سريراً من المعنى . هو من هبات الالفاظ وحدها . التي لم يكن من عوالقها في الخيال الامعنى غامضاً اشد الغموض . او كان في سماوة من الدهن تائهة . ارتسم في نسج الالفاظ خلقاً سوياً . وهذا شيء لا احكيه عن الغير فاتهم به . ولا اقدره تقديراً مرسل فارمى بالتخطئة . وانما هو شعور النفس بالنفس .

« العربية واللغات »

يوهم هذا العنوان شيئاً لا أقصده الآن بالحديث . وأيضاً لا أفرغ اليه فيه . فلست أريد أن انتشر بمقارنة دقيقة على العربية واللغات . ولا غير دقيقة . ولست معنياً كذلك بأن أمثل من طبيعة اللغات وطبيعة العربية . ما نخرج بعده بموازنة تحكى عن المميزات الحيوية لكلا الطبيعتين .

وانما أريد أن أتناول بالتحليل التريوي والبسيكولوجى عناصر الشكوى التي لا يفتأ يطالع بها كتاب العهد الجديد . ومن ورائهم الناشئة على اختلافهم بالدار والبيئة والنشأة .

هذا الشكوى التي يخطئ أ كثر الدراساتين بتمثيل أسبابها على الوجه الصحيح .

(١) من وضعنا الجديد للاتوموبيل الذي لا يسع الا اثنين اولوتوسيكل السل « السبت »
 (٢) من وضعنا الجديد للرقص التوقيعي

فهم يعزونها أحياناً إلى ما في طبيعة العربية من صعوبة تنزل منزلة الشخصية . وأحياناً إلى خطل الأسلوب التعليمي . وأحياناً وأحياناً إلى أشياء أخرى يجهدون في التماسها ظناً منهم أنهم يُسدِّدون أو يقاربون . وما هم منه الا على مقدار مما ابتدؤا بشرحه وتعليله .

وذلك لأنهم يطلبون أسباب الشكوى في العربية طبيعتها وبيئاتها وموسوع استعمالها وما برحوا الا عكوفاً على هذا النظر . فان تكون لهم الالهة النتيجة بكل ما عليها من تهافت ومجانبة وضعف . وان أسبابها الحقيقية تقع بعيداً عن العربية في مُلابسات حياة العربي .

ومن ثم كان ضرورياً علينا أن نأخذ ببيان الأسباب الحقيقية عند نظرنا . لأنه يترتب على جلالها تصحيح الأسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي وتخفيف النصب الذي يقع دائماً دون ثمرته .

والأسباب التي نسميها حقيقية . ونراها كذلك (لا تتجاوز الواقع ولا تقع بعيدة عنه على اعتباراتها وأشياؤها من النظر) . أدت إلى صبغ النفس العربية بصبغة من التزوع . شديدة الأثرمت العربية بما أثار الشكوى . ويتأتى لنا حصرها في وجوه . (١) عدم الثمرة العملية التي يصادفها متخصص العربية . فان شدة الاتصال

الاوربي بحياتنا من أقطارها . فرض علينا لونا لا أظن اننا نتحلل منه بسرعة . وصبغ محيطنا بصبغة لا يمكن أن نعيش بدونها في سهولة . ولقد أصبح العربي في وسطه ومحيطه بل في ذوى قرابته يشعر بأنه غريب عن عصره بعيد عنه غاية البعد . فأساس المعاملات حتى الضروري منها يقوم بالأجنبية بله التبابع وما اليه . وقصارى القول قد أصبحت اللغات الاجنبية (أى الأوروبية الرئيسية طبعاً) تنزل من الحياة العامة منزلة اللسان من الانسان .

(٢) عدم الركون الثقافي . لان الانتاج الفكرى اجنبي من كل نواحيه وسيلنا

في التعرف اليه اللغة حسب . فاتفان اي فرع من فروع العلم . وتحقق اي بحث من الابحاث انما نستطيعه اذا ضربنا بسهم وافر من لغات الغرب . فليس لنا افكار

يرغب الغرب في ان يتعرّف اليها . بينما نحن في حاجة الى ان نتعرف بكل افكار الغرب .

فبدت لذلك العربية اثرية بكل المعني . وهزيلة في نواح عديدة . مالم تستوفها فلن تكون عصرية تكفل مطالب الحى .

ومن هنا يمكننا ان نمثل مقدار تقصير حكومات الشرق العربى في عدم انشاء مؤسسات خاصة شتى اللجان على فروع الاختصاص . تهتم بترجمة كل كتاب وكل فكرة . ونشرها على نسق كتب دورية تصدر بالتتابع (serial) . العمل الذي به ينشط الفكر العربى للثقافة وتفهمها ومناقشتها والمساهمة في اعدادها .

واما الاعتماد على العمل الشخصى الذي يقوم به في فترات طائفة من الابداء والعلما . فلا يكفي ابدأ لاعداد العقل العربى على الوجه الاكمل ولا على اى وجه . فان كثرة من العبقرىات المخزونة في محيطنا العربى لم يسعفها الحظ بدرس اللغات . فلا يتسنى لها الانتاج الصحيح . وانما تقضى كذلك وافكارها الثرية الغنية لاتزال في غلاقتها .

واقرب مثل اسوقه الشاعر العبقرى المرحوم (صادق الزهاوى) فان شاعراً كما هو في لغته . وفيلسوفاً كما هو في ذهنه . يضرب في كل وجه . ويفكر احياناً على نهج علمي . وينتج ثروة بالغة عظماً . وفيها افكار لاتنكر قيمتها . يشاء ان يناقش نيوتن . ويفهم داروين وهيكى وسبينسر وهكسلى وستيوارت وماركس وبرجسون . ومن اليهم من الكثرة التى لا تحصى وهو لا يتصل بهم الا عن طريق (المقطف . والهلال) ونف من الكتب المترجمة ويتجاوز هذا وهو غير جامع للنصيب السكافي من الثقافة الى مناقشة الشرائع الدينية والتقليدية . والنحل الاجتماعية من حيث ملائمتها لمقدّرات العصر . ومقادير الاستعداد الشخصى للاجتماع .

وبهذه المناسبة اتمكن من التصريح بان هيمنة السوريين وبالاخص اللبنانيون منهم ردحاً غير قصير من الزمن على التفكير المصرى . انما كان بالترجمة وحدها . ومن ثم قيل عنهم . بانهم باعثوا اليقظة الفكرية الشاملة بما القوا من لقاح في محيط العرب الراكد .

وربما كان شاهداً حقيقياً (الدكتور شبلي شميل) . بما ترجم من افكار جريئة في ذلك الحين . وبما تظاهر به من استفزازات أغرّت بالتطلع وحملت على التساؤل الذى هو طريق المعرفة (كما يقول ارسطو)

وبالجملة فان من التخلف الذى يؤخذ على العرب ان كتاباً ككتاب (داروين) وهو بحق منقطع النظير في منهج تناول النظريات واسلوب تقريرها . وبسطها ومنطق مناقشتها . لا يعرف في محيطهم حتى يقوم بهذا الواجب لسنوات خلت استاذ^(١) يدفعه اليه الشغف الموضوعى . واعنى بهذا ان الفكرة لو لم تكن تعنيه او لو لم يكن من انصارها لما وقف عنده وعنى نفسه باخراجه .

وايضاً كتاب (ماركس) لا يجد من يتهدى لنقله وقد اصبحت الاشتراكية من دوافع العصر ومعنوياته . وهو في واقع النظر من اجل ما عرف حتى اليوم . في تحليل حوادث التاريخ بعلم اقتصادية بحثة . والنقل لايعنى ملائمة الفكرة للحق .

والذى يضعف من وجه آخر . الركون على المثقفة فى ان يقوموا بهذا الواجب وخدم دون معونة الحكومات الشغف المتماكبهم بان يظهروا بمظهر المؤلفين قبل كل شىء . ومن هنا اصبحنا لا نعرف بفكرة الا ملتوية ممسوخة او مشوهة غاية التشويه لان الكتاب او المؤلف حمل نفسه على ان يتجاوز النقل الى كثير من التصرف . والاحتجاج بفداحة النفقات احتجاج يقصد به التوصل فقط . فان كثرة^(٢) من الاعتمادات الاضافية فى غير داعية اليها ابدأ .

(١) هو الاستاذ اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور وعضو مجمع الثقافة المصرى ويمتاز بدقة الترجمة وانزال المصطلح منزلته من الاعتبار .

(٢) منها الميزانية المخصصة لطبع الكتب القديمة فى الدار الملكية هنا بمصر . اذ حركة المطابع الحرة النشيطة اليوم تغني عنها وتسكنى امرها واذا كان القصد نشر النفاثس الخطية ذات الخطر . فان هذا (عدا عن انه يأتي دون غايته اذ لا يقوم الا بتعريف النذر منها) يمكن الاحتياط له بأخذ صور فتوغرافية عديدة عن عموم الكتب الخطية الموجودة فى الدار واباحة استعارتها كالكتب المطبوعة بحيث يتسنى للجميع الاستفادة منها وبهذا تحفظ شيئين (قيمتها العلمية) بالاستفادة منها الغير الحاصلة اليوم لانه لا يسمح بها الا بمعاملات مخصوصة على وجه مخصوص . وايضاً لاشخاص مخصوصين . فهذا الخصوص فى الخصوص يجعلها على مثل الفصوص تسمع ولا ترى او ترى ولا تمس . و(قيمتها الاثرية) بالابقاء على النسخ الخطية بدون كبير مساس يجعل اليها التلف

وإذا استطعنا أن نحقق مؤسسة من هذا النوع . ضمننا التهوض بالمستوى الثقافي العام . والتهوض بالمستوى التعبيري . الاصطلاحي والبياني للغة . وبحسبنا الآن هذا المقدار من التعريف بالفكرة . ونشرها لنتناولها في مناسبة أخرى . تكون موضوعها فإن الاستطراد قد فصح عروة ما أنا أخذ بالكلام عليه .

وخلاصة هذا السبب الثاني . أن عدم الركون إلى تحقيق أية فكرة وفهمها إلا عن طريق الأجنبية . وقر العربية من هذه الناحية . نفي السأم عن دراسة الأجنبية فبدت على ماهي من سهولة تقابلها صعوبة مريرة في العربية التي لا تدرس إلا بانصراف وازورار .

(٣) كون اللغات الأجنبية بالنظر العام عنوان الحضارة في الحياة والشخص وعلوان الترف العلمي والعقلي والاجتماعي من كل الوجوه . ومن ثم أصبح الناشئ إذا ذهب يعبر عن آرائه يعترض بينها بكلمات أجنبية . ليس فيها شيء من الاصطلاح فيعذر له . وأحياناً يكون مرادفها مما يجاوز الحصر في العربية المشهورة . بحيث لا يعزى إلى شيء سوى أنه يقدم البرهان على امتيازه .

(٤) تعلق المرأة (التي هي ذات فطرة شديدة الولوج) باللغات الأجنبية حتى غدت ولا يلين لها لسان إلا بها . ولا يحقر أثر المرأة في موائل الاجتماع والحياة العامة . فإن المرأة من الحياة بمنزلة العنوان من الكتاب . الذي يبدو في كل سطر من سطور الكتاب . أيان قلبت من صفحاته . والواقع كذلك نجد المرأة وحدها . كيفما التفتنا إلى الحياة .

ولقد أذكرتني هذه المناسبة . قصة تحدث بها إستاذ^(١) من اقدراساتذة العربية في لبنان . كان مغزاها أن المرأة دائماً عدد صحيح . والرجل بجانبه (صفر) فليعرف الرجل كيف يقف منها . فهو لا شيء إذا لم تكن . وقد يكون كل شيء إذا كانت . ولكن المرأة هي المرأة في كل دور . وكذلك هي (الدرّاز)^(٢) الشاخص في حياة الناس .

(١) هو الاستاذ جورج المقدسي مدرس اللغة العربية في جامعة الاميركان ببيروت
(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (model) واشتقاقها من مسادة (درز) التي من معانيها (النسق)
العالمى من الملبوس

واذكر من وييل أثر هذا التعلق . أن سيدتين عربيتين رأيتهما في (ذهبية) (١) على النيل . وصادف أن نادتا احدهما (البربري) بلهجة كلها قحة (an arab) فانطلقت وأنا أشهد وأبصر كيف تذوب حصة الأمة في بوتقة التقليد إلى حد انكار الشخصية وانما نجعل المرأة وحدها سبباً نفسياً في هذا التخرُّج . لأنها سريعة الانطباع سريعة التحلل . فهي لا تأسف على ما تركت في نشوة ما تأخذ به . وهذا سببها في الحياة الدائمة فهي سريعة التأثر إلى حد التجاهل . ثم سريعة التقليد إلى حد الانكار . وهي مع ذلك (الطابع) (٢) للمجتمع من أطرافه تغير كل شيء على هواها بين الفتنة والدلالة . هذه هي الأسباب التي أراها حقيقية في الشكوى المذكورة . والتصعب في غير هُون . ومعنایي بهذه الأسباب . ان مَثَر الشكوى نفسى صرف أى ذاتى يبعد أشد البعد عن أن يكون موضوعياً بالمعنى المجرد .

فهذه الأسباب انكرت العربية فانكرها الناشئ بتحميل . وكيف يرجى أن تهون عنده . وهي مكروهة غير محببة . يدرسها بازورار فيشعر بما يشعر فيها من التواءات . والا فالعربية شهد الله أسهل من كل اللغات . إن في قانون نحوها أو صرفها أو املائها او اشتقاقها أو خطها . بل أكثر من جميعها آلية إذا صح هذا التعبير . على ما فيها من فوضى اجتهدنا بفهمها ومداواتها في بحوث المقدمة المقصودة .

ولا بأس من أن نأخذ بمقارنة مجلى تشمل النواحي البارزة على صورة موضوعية صرفة نستبين منها مقدار ما يُجَازَف في زعم ما يُزَعَم .

الخط العربي

هو أى الخط العربي أشغل الرؤوس في أقدم ما كان . وما فتى شُغلة على جانب عظيم من صعوبة الحل . وكذلك لا يزال يُرَاحى بالرؤوس بين الأكف لتتناهى في تفكير عميق .

وعلى صعوبة ما صادف الأولين من عنائه . فأن ما يصادفنا نحن منه يزيد على

(١) كلمة في العامية المصرية بمعنى حراقة

(٢) من اوضاعنا الجديدة بمعنى الاكليسيه

أعضلها أو عليها كاقها . وربما كانت هذه آخر معاضله . وإذا استقامت فيه فليس
أجل منه . وما أخصره قلماً .

وتلك هي مشكلة الخط المعرب . أى الدال بنفسه على الحركات . وسميانه مُعَرَّباً
بصيغه اسم الفاعل أو المفعول بملاحظة الاعراب بمعنى البيان . وهو مطلب خطير الشأن
غنى الجانب . ضرورى أن يشترك اللغويون والفنيون من كتبة الخطوط بالسعى الحثيث
اليه حتى يسقطوا منه على ما يكفي حاجة العربية

والحق ان متن اللغة فى أحوج ما يكون اليه حاجة . فكل ما يرمى به من صعوبة
آتية من سداجة الخط . فاذا كفت العربية أمره . لم يعد مفر من ضبط كل كلمة على ما
هو فى الأجنبية . وتلقينها كذلك وتداولها على وجهها من الصحة . بله تربية النشء
على أقوم اللهجات وأصحها . بحيث يمكن أن نضمن بمرور ربع قرن على شيوع هذه
الحروف أن تصبح اللهجة القويمية الفصحى . هي اللهجة المشتركة العامة

وفى هذا شئ كبير من تشذيب العامية ورفع مستواها . وتقريب ما بين مختلفها
كالمصرية والسورية والعراقية والحجازية واليمنية والمغربية . وما اليها مما يكبر
على الاحصاء .

وبالأخص حين يصبح التعليم اجبارياً فى عموم المحيط العربى وهو آخذ فى
تحقيق هذه الصفة له . على أنه وإن لم تكن له اية صبغة رسمية . فالنهضة التى شامت
الناس عامة . والصحافة التى شغفت الجميع . وانبت كل امرئ إلى تقدير المسؤولية
ولو من بعض وجوهها . ستحققان هذه الغاية من وراء الخط المذكور على شكله .
وسيجمعان الأقطار العربية على ثقافة لسانية لم يكن العصر العباسى الذهبى على
شاكلة منها .

ولا تعجب إذا سمعت أن الأجنبية فيها كثير من هذا الاختلاف وهذا الضبط
والضبط وحده شغل جزءاً كبيراً من المعاجم . وربما كان على وجه أصعب من العربية
ولكن انما سهلت على الأجنبية واستعصت فى العربية . لما أنها تلقن كذلك
وتقرأ كذلك . ويتخاطب بها كذلك . ومن ثم لم يعد لها مناسبة تجاوز فيها فصيح
نطقها فيلتوى الذهن على الخطأ . وتنطبع كذلك على الهوى .

واليك المثل عليه من الانجليزية ففيها .

(pear) بمعنى الاجاص . وتضبط هكذا (par)

(pear) بمعنى أميراوند . وتضبط هكذا (par) واليك مثل منها على وجه آخر

(patrol) وضبطها (patrol)

(patron) وضبطها (patrun) وهذا كثير يفوت الحصر . ولذلك كان واجب

المعجم عندهم . كما هو الحال عندنا يقضى بضبط كل كلمة حتى يكون المرء على بينة من فصيح نطقها .

ومنه نبين أن ليس الخط العرب . هو كل السبب لشيوع الفصيح في الأجنبية . بل وراءه أيضاً أسباب أخرى . نثرنا ذكرها بين هنا وهناك من موضوع الاملاء وغيره . وأهم الأسباب فيما تبدو عليه العربية . مزاحمة العامية . فللحديث اليومي وجه . وللحديث العامي وجه آخر . وأيضاً التلقين الخطيء الذي يصف من شأنه الخط العرب . وفي غير بسط وتطيط من جوانب الموضوع وحواشيه . نذكر اقتراحنا هذا الذي نرى فيه أنه علاج لا يبعد صلاحه . وإذا لم يكن مما يحقق كل المراد فلا ريب في أنه يمهّد السبيل الفنى في أقل التقدير .

ونحن نقترح ما نقره من أمره مع المحافظة الشديدة على الشكل الهندسى والارتفاع به حتى يكون دونه مجال الاقتراح . فان ما وراء هذا الرسم لانشاؤه مجال . وترى أنى لا أتكلف لهذا الاقتراح (عرق القربة) واعتصر الدهن على أشكال مناسبة . وإنما غاية ما كان من أمرى ان اخذت بالاققتصاد في زمن يكثّر الاسراف فيه . فان المجموعة الخطية المختلفة الاوضاع عندنا تشكل ثروة تجوز العد . وهى تتقارب في أشكالها وهندسة الحروف تقارباً لا يبلغ حد الاشتباه بل تختلف بما تمتاز به . وهذه الثروة عوضاً عن أن تبقى لتطريف الخط على مثل التطاريف . نضعها موضع الفائدة . ونأخذ بها مأخذ الاستثمارية . ونحكم منها خطأ قدياًتى موزوناً جداً . وستمجد له أشكالاً نعرضها هنا حتى لا يعزّ الشاهد .

ومن رأينا أن يؤلف (الخط الجديد) من النسخ . والرقي . والفارسي والديوانى

والثلث .

فالثلث - للحروف المضمومة . أولاً ووسطاً وآخرًا .
والنسخ - للحروف المفتوحة . كذلك .
والرقعي - للحروف الساكنة كذلك .
ومن الفارسي والديواني - للحروف المكسورة كذلك .

وهذا وإن كان يعسر التمييز بينه للتقارب في أول الأمر . فإنه يُعبد على المران
والتعهد . وفي اليونانية حروف على هذا النسق متقاربة . ولكن لا تبعث على الاشتباه
للمزاولة المتعاهدة من أول الأمر بالتعليم . حتى ينتظم بها حاسة دقيقة جداً . كما هو
الحال في كل الأشياء . وكذلك نجد في السريانية تقارباً بين بعض الحروف . وفي
العبرية أيضاً . ومع ذلك يشعر قبيل كل لغة بسهولتها .

وكذلك نجد لها سائغة إذا أردنا أن لا نتصعب عليها . ونعتلها متأفين . وقد
يؤخذ بأنها تُكَبِّد الطالب إتقان فروع من الخط كثيرة . ولكن يجب أن لا ينسى أنها
تكفيه أيضاً مؤونة اللغة ضبطاً وتصحيحاً وأيضاً مؤونة النحو . على أن هناك فرقاً
بين المران على تمييزها وبين احسان رسمها . وإنما يكلف الطالب بالتمييز دون الآخر
الذي هو من هم الخطاط وحده . وإذا صرفنا النظر وجدنا في الأجنبية تعداداً
للخطوط . يكلف الطالب بجزء كبير منها . فهو مضطر ليسير الشائع أن يكتب
Capital-letter) أول الأعلام وابتدأت الأسطر وهكذا .

ومن ثم تصبح العناية بالنحو واللغة في التعليم الأولى قليلة من حيث ما يلزم
للمطالعة منها . وقد يُعتل بأن هذا الخلط في الخط . ربما أضع جمال الهندسة
العربية . وهذا قد يكون صحيحاً . بيد أن الخطاطين إذا تناولوه بالتهذيب . أخرجوا
منه قلماً جميلاً بدون ما شك . ولا يبعد المثل عليه فهذا (الخط الأيوبي) (١) الذي اخترع
بين الثلث والنسخ . ما زالت أيدي الخطاطين تراوحه حتى بدا أجمل منهما معاً .
ويكفي أنه اتخذ قلم دولة . ومظهر حكومة

ولا نجد داعياً إلى وضع حرف مشدد بل نلتزم الاحتفاظ بالشدة . ووضعها فوق

(١) راجع كتاب قانون الرسائل للصيرفي ص (٨)

الحرف الذى بشكله يدل على حركة الشدة . وأما (ال) الشمسية فنرى رسمها فى الساكن (الرقى) وإذا وقعت بعد ساكن . تحرك بالكسر أو بالفتح . وإنما اخترنا أن تكون هى دليل الحركة فى الحرف . لثلا يظن أن الحركة أصل فى الساكن قبلها . وليكون دليلاً على عروضه لالتقاء الساكنين . وأما همزة الوصل فترسم فى الساكن (الرقى) وأما التنوين فى الحرف فإشارته (،) مثل (ل) .

على أن ملاحظة الآخر على سنة هذه الحروف . صعبة لعل الأعراب فى العربية الذى يتغير كثيراً . مما يصح معه أن نصلح على أعمال الخط العرب فيما عدا الأعراب الذى لا يفتقر إلى كبير مجهود . وبما أن الأصل فى الآخر (الوقف عليها بالسكون) . فنرسم أواخر الحروف مطلقاً التى هى متراوح الأعراب فى الساكن (الرقى) . ولما هو مقرر من أن (العارض بمنزلة المعلوم) . وأيضاً الشكوى ليست من الأعراب وإنما من البناء أى تحقيق ما هو مقتضى الابنية فى العربية الصحيحة .

هذا ما تراه . وتستجد مثاله فى الحروف المثبتة والأشكال المعروضة . وللهيات الخطية أن تبدى رأيها . وتأخذها بما يلائم من اصلاح وافية .

يبقى رغم كل ما يدخل عليه من اصلاح وتهذيب وتحسين . صعباً على الطفل البدى . فهو من الناحية التربوية . يبدو عميقاً بعض الشيء وهذا مأخذ قد يكون جوهرياً ولكن يمكن أن يحتاط له بأحد أسلوبيين

(١) أن يعلم شكلاً من أشكال الخطوط العربية كالنسخ والرقى ساذجاً . وفى الأول ابتدائى يؤخذ بتعليمه الخط العرب .

(٢) أن يكون تعليم هذا الخط العرب على طريقة التوزيع بمعنى أن يعتمد إلى الكلمات المضمومة فى كل حروفها . والتى توضع فى الثلث - والكلمات المفتوحة فى كل حروفها . والتى توضع فى النسخ - والكلمات المكسورة فى كل حروفها . والتى توضع فى الخط المختلط - ويقتصر عليها فى ترويض الطفل للوهلة الاولى . حتى يتمرن من مزاولتها على هذا الشكل . وتنطبع فى ذهنه فوارق الخطوط بكل وضوح وهكذا حتى يدرك بنفسه مييزات كل خط بدون تلقين أبدأ . ولكن بالاستنتاج المجرد . ومن ثم يؤخذ

الطفل إذا قطع هذه المرحلة . بالكلمات المختلفة الحركات والمعترضة بالسكون . حتى
تم منزلة هذه الخطوط من نفس الطفل كما لو كانت من طبيعة الحروف . وبهذا يعود
الخط في ذهن التلميذ . وله قياس مترتب الحلقات . مطرود النظام . بحيث يستسيغه
استساغة مطلقة .

وهذا الاسلوب الثاني . أفضل من الأول في الترويض على الخط . ومن هنا
يصبح كما ترى خطأ سائغاً لا مشكلة فيه .

ونحن إذا حمدنا لهم هذا المقدار من الشكوى . أو حمدناها شكوى في هذا المقدار
واصفينا اليها بانتباه حكيم . حتى كان من كافة رجالات العربية مناولة لها مشتركة .
بأفضل الوجوه والأوضاع الممكنة التقدير والاحتمال . فأننا لا نحمد ما ورائها مما يزيد
على مقادير الجد . ويكون غنجاً من الغنج . ودلالاً من الدلال . هذا الغنج المرتسم
بالشكوى أيضاً من صور الحرف على موقعه من الكلمة أولاً ووسطاً وأخراً . وهو لا
يفسر الا بأحد تفسيرين .

إما ان الجماعة تريد أن تدرس العربية ولكن كما يقول العامة (بدون نفس)
وما احيلاها كلمة فيها قوة . وفيها حقيقة وفيها براءة اخاذة .

وإما أن يكون استشارة مثل هذا الأمر مقصود وراء ما تعطى الألفاظ . ووراء
ما تخفي الظواهر . وهو على المكشوف وضع العربية والعرب . أمام الأمر الواقع الذي
لا مفر معه من اعتماد العرب على أحد لوزين . إما الكتابة بالحروف الصوتية .
وإما الكتابة بالحروف اللاتينية من أول الأمر . مما يختار أولاًها وهو الثاني في بادى
النظر قطعاً . وذلك لما يسببه الأول من ارتباك لا أقل فيه من الذى اجتهدوا بالخلاص
منه . ونحن نميل الى الاتهام ونعتبرها ليست شكوى . بل طلائع محاولة خطورة . إذا تم
وأخذ المصريون بها انعزلت مصر . وفقدت كل ما تتمتع به من مكانة سامية . فان
هذا الطرف منها والحق . ليس له لون الشكوى فى شىء وانما هو الإلجاء والإخراج .

حروف الضمة

«أول»	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
«وسط»	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
«آخر»	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
«أول»	و	ي	ك	م	ن	ج	د
«وسط»	و	ي	ك	م	ن	ج	د
«آخر»	و	ي	ك	م	ن	ج	د

أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ

حروف الكسر

أول	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
وسط	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
آخر	هـ	ز	ح	ط	ف	ر	هـ
أول	و	ي	ك	م	ن	ج	د
وسط	و	ي	ك	م	ن	ج	د
آخر	و	ي	ك	م	ن	ج	د

أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ
 أ م ن هـ

نموذج من الخط الجديد

نظمت عقود جما نهما لكن بدت

(١)
في كلها قطفنا وبكري الزبرق

الاملاء

يخصون الاملاء بجزء كبير من شكواهم . المطبوعة على غرار لا يختلف في كثرة ما يختلف الشا كون . ونحن وان كنا نتحسس معهم صعوبة في قواعد وضع الهمزة . وفيما يخص الف اللين المنقلبة عن ياء او واو . لانرى من الانصاف اللجاج في الشكوى . فان العريه اذا كان في هذين وجه صعوبتها فقط . ففي بعض اللغات الاجنبية ما يضا هي . هذه الصعوبة باملاء كل كلمة . كالانجليزية التي تنطوي على اختلافات . وبقايا وزوائد اثرية تارة . وتقليدية تارة اخرى لا تنظر الا الى مصدرها البعيد . ومع كل ما نجد في الانجليزية من هذا لانسمع تأقفاً يصم الآذان . ويستغل كل مناسبة على كثرة ما تدرس بين ظهرانينا .

(١) بيت من قصيدة قلتها في صديقي الاديب (بكرى الصديقي) وقبله . . .

« صديقي اکتنتت على لآيء رطبة قد جادها مطر رخي غيدق »

« وکاتما اصداقها درية قد اطبقت حملا زهاها رونق »

والزبرق من اوضاعنا الجديدة لكلمة (locket) في الانجليزية ومعناها المداليون والذخيرة وكان يقول العرب في معناها (واسطة العقد) والاصل في الوضع قول العرب للبدر زبرقان وهو مشى أميت مفرده على مانص عليه المحي في (جني الجننتين) فأحييناه لمعني بدر اللآيء الذي هو واسطة العقد عادة . . .

« تنبيه » وقع في حفر الا كليشهات تقديم بعض صور الحروف على بعض كما في حرف الحاء من حروف الكسر . والابقاء على أذئاب الحروف الواقعة اولاً كالم من حروف الضم . فليتنبه الى امثال هذا .

ولا اجد داعياً الى ان اسوق شواهد واستكثرتها من هذا الاختلاف .
فانه اللغة برمتها وافية . وان كان قد يلتمس له علة لغوية فلا ينافي صعوبة الاملاء
الى حد الارهاق .

ورغم اننا نرى العربية ليست على صعوبة من هذا القبيل . فلا علينا ان
تبقى على ما هي من املائية لا ترهق دراستها . كنا ابدينا رأياً يضعها في نحو ايسر طلباً
واطوع عملية . نأى هنا على تلخيصه فانه لا يعدو مناسبته .

لا نظن بان احداً يستريب في قواعد الاملاء . وان خضوعها للفرض باكثر مما
خضعت للمحاكات الدقيقة والاستنتاج عليها . وهذا ضروري في جانب تراث حظه
من التقدم الكتابي ضئيل . ومن وجه آخر نشاهد بان اللغة مفرداتها وموازينها . لم
تستقر على وجه التمام . مما يكون معه على جانب كبير من البدهاة . تقدير وجود
املاآت قبلية مختلفة اختلافاً بيناً بصورة غير يسيرة . ويشهد لهذا حتم عثمان (ض)
على كتابة المصاحف (الام) بان يكون الرسم آخذاً سنة قريش في الكتابة
والتصوير . على ما ذكره الداني والسيوطي وغيرهما .

فلا سبيل اذن الى انكار ان بعضاً من الصور الاملائية التي تقبلها اللغويون
على علاتها . اى كصورة متممة للاستقراء الاملائي . باعتباره موضوعاً من الصرف
هي من الاملاآت الاثرية التي تمثل عهداً انقضى او ينقضي باوزانه ورسومه .
وانما بقائها في العربية الحديثة كبقاء حيوان من الفضائل المنقرضة يغالب الحياة في ان
تقبله مع منافسه الاصلح . (ويمكن ان تسمى هذه الاثریات بالمتحجرات اللغوية التي
يبقى عليها لصالح التاريخ ومن ثم يظهر وجه كيف تكون اللغة ايضاً في سلك التاريخ
الطبيعي) .

وفي اللغة تبقى النفايات لاعتبارات عدا المنافسة . تتبع القبيلة في سيرها الارتقائي .
وعليه فالخطأ الذي وقع فيه اللغويون من وجهين .

(١) ظن ان الأثرى من اللغة الحديثة التي عرضوا لدرسها واستنتاج قواعدها

(٢) اخذ القبائل جميعها بملاحظة واحدة . فلم يستقروا الملاحظات القبيلة في

وجه الاختلافات .

ومن هنا يظهر بعض من سر الابقاء على املائية القرآن من غير تغيير . او حجر هذا التغيير كذلك . لان القرآن كتب ممثلاً من قبيلة بعينها . هي اتقن ماتكون للوسائل الكتابية . عند مقايسة القبائل . ولما تعهد اللغويون وضع قواعد الاملاء . تناولوا الآثار الكتابية . وحكوا اجتهاداتهم الصرفية بصورة كبيرة . رفعوا مستوى القرآن عن ان يأخذه بها .

على ان اللغويين كادوا يتورطون باجتهاداتهم على القرآن . ولكن لما اجتمع امر القراء بانفصال القراءة عن اللغة . واصبح لهم بما يسمى في لغة العصر (تقابة) او شبهها . وقفوا وقفة كان لها مطلق الاثر بمد ذلك بحفظ هذه الاملائية . وصيانتها من التغيير وزادوا محافظة حين افردوا املائية القرآن بالتأليف وجعلوها فرعاً من علومهم . وهنا اذكر قصة تقف منها على صحة ما نقول من اخذ اللغويين بقواعدهم على القرآن رغم اختلافها . فكاد يكون في القرآن رسمان مختلفان اشد الاختلاف او رسوم . ذكرها (ابن الانباري) في كتابه ^(١) نزهة الالباب قال :

(ويحكى ان بعض أكابر أولاد طاهر . سأل (أبا العباس ثعلب) أن يكتب له مصحفاً . فكتب والضحي بالياء . ومن مذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتب بالياء وان كان من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالألف . فنظر (المبرد) في ذلك المصحف فقال ينبغى أن يكتب والضحي بالألف . لانه من ذوات الواو . فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب لم كتبت والضحي بالياء ؟ فقال لضمة أوله . فقال له ولم إذن ضم أوله وهو من ذوات الواو . وتكتب بالياء ؟ فقال لان الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء . فتوهوا ان اوله واو . . . فقال أبو العباس المبرد أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة ؟ . .)

وكذلك لم تضبط قواعد الاملاء . ولم توضع اصوله بعيداً عن النظر الصرفي . ولذا لم يفرد بالتأليف . ومن كتب فيه كتب بصورة عامة لا تخصه بالذات كأبن درستويه في (المتمم او ادب الكتاب) . والصولي في (ادب الكتاب) .

(١) نزهة الالباب في اخبار الادباص ٢٨٨ ..

وابن قتيبة في (ادب الكاتب) واكثر ما يظهر فيه هذا . قواعد وضع الهمزة .
والف اللين المنقلبة . ولذا بقيت فيهما مشوشة نوعاً ما . ومن ثم لانرى مانعاً يمنعنا من
المضي في تقرير قواعد جديدة للهمزة ومكانها لا تكون على هذا المضطرب البين
(وكل هذا اذا لم تقرر حروف مشكولة) .

وانما لم نر مانعاً لاننا بعرض نسق الكتابة عند العرب لانستطيع ان نخرج
بقواعد واحدة . او لانخرج بقواعد ابدأ . مما ندرك معه ضعف التعويل على اسلوب
عربي عريق في شرعة الاملاء . وبالاخص حينما نعلم ان الاملاء أخضع لتطويرات
على مقتضى الحاجة فكان يُتَأَنَّى وَيُحْتَمَطُ به مع ما يستوى والحاجة الباعثة قال (١) أحد
لغويينا اللبنانيين ظاهر الشويري (ان قواعد الاملاء اصطلاحات كان لبعضها أوجه
قبل النقط والشكل وأما الآن فقد صارت ليست عديمة الفائدة فقط بل من جملة
العوائق) . ومن ثم نتركه للاجتهاد الصرف او للأرتقاء وحده كالخط . فلم يكن
التجديد فيه . وتحديد قواعده خاضعاً لملاحظ اعتبارية . وعليه فلم يعد صعباً
اختصار قواعد وضع الهمزة . اولاً ووسطاً وأخراً ومفردة ومركبة على حرف من جنس
حركتها . او بعبارة ابن درستويه . (على حرف من جنس ما تسهل اليه) . وفي حالة
الاسكان تكتب على حرف من جنس حركة ما قبلها .

وقواعد كتابة الالف المقصورة تختصر بكتابتها على مثل لفظها الذي هو الالف
الهوائية . بقطع النظر . لان ما وراءه ملحوظ صرفي يضاف الى اللغة ويتعلق بالاشتقاق .
ويجب ان لا يعزب عن البال . باننا نرسل نموذجات لا قواعد محتومة التقليد .
وهي بعد دعوة مرسله قد تجدد وقماً . وتصادف هوى .

ومع انى اعتقدها دعوة . حتم علينا الاخذ بها . ووضعها موضع العمل . تسهيلاً
على الناشئة . وترفيهاً على الاحداث . فلا ارى ان نتناول بها القرآن . لانه برسمه
التقليدى يجمع العالم الاسلامى على راموز واحد . له مسحة قدسية عميقة . مما تصغر
معه اية غاية اخرى .

(١) راجع رسالة اللمع النواجم في اللغة والمعاجم ص (٤)

البيان

مضينا في دراسات واحاديث حتى جاء حديث البيان . وللبيان حديث طويل واسع . تناوله فتناول به علما غير واضح القصد ولا ظاهر الغرض . وموضوعاً لا يقوم في مسائل وانما يقوم في خواطر . فجاء البيان كذلك منجرداً عن صبغة مابه يكون العلم . وانت حين تأخذ فيه تشعر بكل ماتريد ان تشعر به من تكلفه . حتي اذا اتيت عليه لم يبق منه الا انه (ايساغوجي والقاطيغورياس) . اجريا على الادب في غير تقليد محكم . والا فأي معنى لمثل (فخرى التشبيه من الكلليات للجزئيات) الا ان يكون تصويراً لحركة النفس في المعقولات .

ثم أي معنى لان نأخذ في اللغة بتقسيمات دقيقة من نوع الوهيمات وما اليها . مما هو خليق بان يكون تصنيفاً للصور الحاصلة بالحصول الشبهي . وايضاً فاي معنى لرأي السكاكي في (انبت الربيع البقل) الا ما تقرر من الانتزاع الفلسفي البعيد عن قصد الاديب .

والواقع ان درس البيان . لن يكون بهذا البيان . ونحن لانتكسر على المعلومات . التي يطالعونها بها في هذا العلم (كما يشاؤون تسميته) . انها صارت وتقررت قسماً من علمنا . فلا نشجيبها باستغناء مطلق . وانما نريد ان نجعل دراستها للمتخصص . فهو يدرسها على انها حلقة من حلقات تطور هذا العلم . وهو يتقنها لا من حيث ان لها ضرورة . فيفهم على شاكتها بيان العرب وادبهم . بل ليتحقق لونها من دراسات الاولين .

والا فاي اخذ هذا ياقوم . لاسلوب العرب اذا كان على نهج (ليس كمثل شئ) الذي كان نهجاً كافراً جعل لله امثلاً . في نفس الآية التي جاءت لتتفي المثلية والمثل . وما أضر وأوضر الالزمنطق المتفلسفة في محيط الادب . واخذه على هذا النسق البعيد عنه اشد البعد . ومن اجل ما كانت عليه الآية من تجاذب الرد والمناقشة . الفت فيها رسائل كأنها المعضلة الخطرة . ولما نزل يبعضونها .

وانا لا استجيز لنفسي ان اقف من هذه المجموعة الثرة بالافكار . موقف الملحد

لها او المقبر . وانما اريد ان ندرسها (كما سبق وصرحت) في دور الاختصاص .
كفكرة نبتت في محيط هذا الفن . من مثل ما يدرس المتخصص للفلسفة . نظرية
الحكماء في الافلاك . والعقول العشرة . ونظرية ادراك الكواكب وما اليها من الالاهى .
ونظريتهم في الثقل وانه قوة او كمية وما اليها من الطبيعى .

* * *

واما ما يجب ان ندرس من البيان كفن عملى لنا اليوم . فشىء غير هذا ابدأ .
لا يستقيم معه ولا يسايره ولا يأخذ نهجه . وانما علينا ان ندون فنه مرة اخرى .
ولقد تمثل هذا للاولين على اوضح صورة واليك ما يحدثنا (الزركشى) في
عبارة مأثورة عن تقد العلوم (اما علم الحديث والفقه فقد نضج واحترق . واما علم
النحو والاصول فقد نضج وما احترق . واما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا
احترق) ونرى لنهجه الجديد احد وجهين .

(١) الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية . فان ما بقي يرجع
اليهما من أقرب الطرق . إذا أنصفنا التطبيق ولم نتحرَّجْ عليه بتحليل محض . فهذه
(الاستعارة بالكناية) يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائى فيقال في مثل .

« وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انْشَبَتْ اظْفَارَهَا الْفَيْتَ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

شبهنا المنية بشىء له أظفار . وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق .
وما وراء هذا من التخييل تخيل . أو بدون ملحظ التشبيه أصلاً . وإنما من أول الأمر
يقال جعل للمنية أظفاراً . كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

ويمكن أن نرد مثل (لا صلبنكم في جذوع النخل) إلى الكناية أيضاً والمعنى
لا صلبنكم صلباً في الجذوع . كناية عن شدته . لأن التعاق في الظرفية أشد . وإذا
أبقينا على التضمنين النحوى في اصطلاحاتنا (وما فهمناه على أنه حيلة اللغوى ليعمل به
فوضى العربية في الأدوات وعدم استقرارها كما سيجىء بحجته في موضوع التعدية
واللزوم من المقدمة) أمكن رد الآية اليه في غير عناء .

وعندى أن الأولى أن ترد الاستعارة في الحرف إلى التجريد . وعليه

(١) راجع كتاب شرح عقود الجمان للسيوطى ص (٣) .

فالكلام - حقيقة . ومجاز . وتجريد .

والحقيقة - قسمان (ا) لغوية وهي ما كانت على مقتضى الظاهر (ب) بيانية وهي ما كانت على خلاف مقتضى الظاهر . وتشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة . من كل ما كانت الحقيقية مرعية فيه بلا بسة أو رمزية . وهذا يقطع النظر عن أن يكون في الاسناد أو في ظرفية أو في فضلة تابعة .

والتجريد - قسمان (ا) تضمين نحوي (ب) تضمين بياني .

والمجاز - قسمان (ا) تشبيه (ب) كناية وكل منهما مطلق . ومرشح . ومجرد . (وتعريف المجاز عندنا كتعريفه عندهم وهو الاستعمال في غير الموضوع لعلاقة مع قرينة مانعة) . ومن ثم يرد كيف يعد التشبيه مجازاً ؟ والجواب عليه ليس بعسير بعد إنعام النظر . فان التشبيه بأنواعه الثلاثة يصدق عليه أنه استعمال في غير ما وضع لعلاقة وهي وجه الشبه . مع قرينة وهي التصريح بالمشبه . وتنقوى القرينة بأداة التشبيه . ولكن بعد أن نفهم في (القرينة والعلاقة معنى على التسامح)

فالتشبيه المطلق - هو المذكور فيه الأداة ووجه الشبه .

والمرشح - هو المحذوف منه الأداة ووجه الشبه .

والمجرد - هو المذكور فيه أحدهما .

والكناية المطلقة - تشمل . الكناية البسيطة كزيد كثير الرماح . والمجاز المركب مثل (أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى) .

والمرشحة - تشمل . المجاز بالاستعارة مطلقاً من كل كناية مبنية على تشبيه . والكناية المركبة مثل (ليس كمثل شيء) .

والمجردة - تشمل . المجازات المرسله مثل (إني أراني أعصر خمرآ) كناية عن شدة وضوح الغاية وهكذا ينبغي أن لا يفهم من عبارتنا بالاصطلاح . انا نبقى عليه وفيه موطن العلة . بل كان الغرض منه توضيح كيف ترد مسائل علم البيان إلى هذا التقسيم . وإلا فالاصطلاحات التي يتم الاحتفاظ بها هي .

(الحقيقة . والمجاز . والتجريد . والتشبيه . والكناية . والمرشح . والمجرد . والمطلق

حسب) وما وراءها لغو من اللغو في سياسة التعليم .

- (٢) من الوجهين - أن يقال . الكلام حقيقة ومجاز . وكل منهما . كناية . وتجريد .
والكناية الحقيقية - تشمل الكناية البسيطة . والتشبيه . والمجاز المرسل .
والمجاز المركب .
والكناية المجازية - تشمل كل كناية انبنت على تشبيه . والكناية المركبة .
والتجريد الحقيقي - يشمل التضمين النحوي .
والتجريد المجازي - يشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة .
وكلا الوجهين منبنيان على اعتبارات مختلفة لم نأت عليها اقتصاداً في بيان الفكرة .
واقصراً على مقدار الاقتراح . وإذا أبدى المحيط العربي استعداده لدرس هذه
الأفكار بجد . بعيداً عن الهوى الثائر . أخرجنا مانقف منه على مقدار الضبط والسهولة
في كل من الوجهين بل الدقة أيضاً في حصر مسائل الفن .

المعاني والبرع والنحو والصرف

سأتكلم عليها كلاماً مجملاً وعاجلاً على مقدار اجمال العنوان . لأن ما تناول
من النواحي . اما بيانية صرفة كما في الاولين . واما لغوية على وجه الاعراب أو البنية
كما في الاخرين .

فالمعاني - للغة بمثابة المنطق في علوم المعقول . وتنقيحه بعدم درسه في كتب القواعد
كعلم . بل يدرس على نهجه في كتب الأدب كما نجد عند الجرجاني في (دلائل الاعجاز)
وعند الزمخشري في التفسير . تهذيب يتسق عند أخذه . في اسلوب مدرسي تخريجي .
وبهذا يكون أدخل في الذوق وأقرب مناظراً بالنفس . وكذلك البديع

والنحو - صعوبته ليست في نفسه . وليس لأنه يحتاج إلى تكميل . أو من نقص
يبدو في قواعده . فإنه بحق أو في المجموعة الدراسية التي أعطاها علماء الأدب وأصحابها
أيضاً . وإنما صعوبته آتية من أن الاجتهادات التي تمت عليه في خلال عصور عديدة
كانت تنضاف اليه مجتمعة . بحيث يستوعبها الفن بدون تصنيف ولا ربط بينها . ومن
ثم كان كمثل مجموعة اجتهادية لم تنقح ولم ترتب .

وعليه فليس يلزمنا فيه إلا أن تقتصر من علمه على أبسطه وأدخله في شائع الاستعمال دون ما وراءه . ونختار من مذاهب النحاة ما ينتهج وذوق العرب اليوم . دون ما نظر إلى كبير موافقتها للآثار الأدبية المحفوظة . مادامت قد عرفت لغةً عربيةً . وحفظت على أنها كذلك لا نُكْرَ فيها ولا دَخَلَ . وبذلك ينسبك في شكل فنى . واسلوب تخريجي مدرسى . وطريقة تربوية . والحق أنه كذلك واف بالمراد . وكافل للغاية التي يطالب من أجلها . وليس في حاجة إلى زيادة درس فيما سوى تصنيف تلك الافكار وتأليفها على نحو يدخل في (سيكولوجية التربية) وبهذا ينتقل اصلاح النحو من أن يكون لغوياً إلى أن يكون فنياً محضاً يعنى شعبة اختصاص أخرى .

والشئ الذي يجب أن لا يغفل عنه هو أن التصنيف المذكور ضرورى أن يدرس على ضوء القواعد التي أقرناها في القسم الثاني والثالث من المقدمة وعلى بصيص التطور الذي أثبتنا أثره على العربية من كل الجهات . وهناك دعوة ترمى إلى إصلاح النحو على صورة تجعل قواعده كَيْفِيَّةً . بيد لا أفهم لها وجهاً يجعلها موفقة .

وأما الصرف - فهو في حاجة إلى التدوين مرة أخرى ويقتصر منه على أدخل مباحثه في النحو كالنسب والتصغير والجمع . وما بقى من الاعلال ومثله يضاف إلى علم الاشتقاق . وسترى في ابحاث المقدمة ما ينسفه نسفاً . ويلاشى اعتباراته المرسله ارسالاً .

العروض أيضاً :

العروض وان يكن وجه المناسبة فيه لموضوعنا ضعيفاً . حتى يبدو وأسبابه في مثل خيوط الشعاعة . تناولته وقصدته بالحديث كما لو كان من أركان الموضوع . لما أنه من جملة أشياء العربية التي تستثار بالشكوى . ومهما يكن من ظروف هذه الشكوى وقوتها ومناسبتها . فالحق انها في هذه الفرع من فنون العربية حقيقة بالاثارة وجديرة بالاستماع .

فان العروض هو الفرع الوحيد الذي بقى لا يدين إلا إلى عمل واحد فقط . فنحن ندرسه على ترسم لحدود (الخليل) . وهو نتاج العقلية الأولى التي توفرت على

اختراعه . والخليل عدا عن أنه عمل منفرداً في شيء لم يسبق بلون منه . ينتشر انتشاراً واسعاً على ما للعرب من أدب شعري يقايسه ويوازنه ويحاكي بينه . ويستمتع لأذن دقيقة الحس ثم يجتهد بضبطه وتسميته . ويفرغ عليه كل ما به يأخذ صبغة الفن . . وهذا عمل مهمما قيل عليه . فانه واسع النواحي . رحب الجنبات يقتضى استقراء في الرواية وتعاوناً على النظر . لا يقوم له الواحد .

وعلى انى أنظر في الخليل أمة عبقرية . وجماعة مولدين ونسباً فذاً . فلا أستطيع إلا أن أحكمه بالشخصية التي لا يمكن أن تجيء إلا في افاق محدودة . وكأنما لمس هذا أولسه بالفعل (السكاكي) في بحث الشعر من (المفتاح) فقال عبارة تنصف الخليل وتنصف الفن وتكبر من العلم والعالم .

« لا (١) يظن أحد الفضول عندهم في الباب من ضم زيادة على ما حصروه ليست في كلام العرب . فضلاً على الامام الخليل بن أحمد . ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع . وعلى الأئمة المغترفين منه من العلماء المتقدمين رضوان الله عليهم أجمعين . والا فمن أنبأهم . لم يكونوا يرون الزيادة على التي حصروها من حيث الوزن مستقيمة . والزيادة عليها تنادى بأرفع صوت

لَقَد وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ فَانْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ)

إلى أن قال وهي أى استقامة الطبع المعلم الأول المستغنى عن التعلم . فاعرف واياك أن تقل اليك وزن منسوب إلى العرب لا تراه في الحصر . أن تعد فواته قصوراً في المخترع . فلعله تعمد اهماله لجهة من الجهات . وأى تقيصة في أن يفوته شيء هو في زاوية من زوايا النقل لا العقل . على أنه أن عد قصوراً كان العيب فيه لمقدمي عهده حيث لم يهيشوا لامام مثله ما يتم له المطلوب . من مجرد نقل الرواة ومجرد الاستظهار بذلك اللهم صبراً .

فالخليل تفرغ بمفرده لوضع الفن بكل ما فيه من اصطلاحات . وبكل ما فيه من شكليات معتبرة اعتبار القاعدة . فمن ثم كان عملاً غير هين . وعملاً قد يترك

واضعه متصعباً بضبطه . بيد أن النبوغ يفتزع الصفا . ويستندى الحجر . (كما يقولون) .
وهنا تنجلي عبقرية الخليل بكاملها حين بدأ عملاً وانتهى منه . فانهى في اعتبار الناس
كذلك . وان كنت تعثر على اجتهادات للاخفش والزجاج وقطرب والحامى فانها
اجتهادات في الشرح فقط .

ونحن من وراء ما قدمنا نريد أن نصل إلى أن الخليل حين قرر ما قرر . لم
يقصد به أنه كذلك قضية حاصرة . وإنما يعنى انها ظاهرة فقط . وأظن بأن الفرق
بينهما واضح . وذلك لان كونها قضية حاصرة . يقضى بعدم جواز الخروج عليه . وأما
انها ظاهرة فتعنى وصف ما هو واقع دون حظر أو تحمك . والفرق فى أخصر عبارة
كالفرق بين التعليل والوصف .

وان كان قد أخذ عمله بعد ذلك على وجه الإلزام للشاعر بأن لا يتنكبه . غير
ان الشاعر كان جوابه الصريح على هذا التحرج بلسان أبي العتاهية (أنى سبقت
الخليل) حينما قيل له فى بعض شعره انه على خلاف علم الخليل . فقد وقع ان جاءت
عنده فى الخفيف عروض مجزوة مخبونة مقصورة تصير فيها (مستفع لن) إلى
(متفع ل) وتحول إلى (فعولن) وكذلك الضرب فيكون هكذا .

« فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن »

قال . . . « عَيْبُ مَا لِلْخَيْالِ خَيْرٌ بِنِي وَمَالِي »

وكذلك ما استحدثت من وقع المدق عند قصار وقال عليه .

« لِلْمَنُونِ دَائِرًا تٌ يَدْرُنَ صَرْفَهَا »

« حَتَّى يَنْتَهِيَنَّا وَاحِدًا فَوَاحِدًا »

وما أجدر كلمته أن يرسلها مثلاً . كل مجدد ملهم يقف منه المحافظون موقفا حرجا .
وما أجدر الشعراء أن يقولوا اليوم كذلك . أو يتخذوا كلمة أبي العتاهية شعار نهضتهم .
على معنى أنهم فوق سلطان النقد من هذه الناحية التى تعنى الشاعر قبل الناقد . ثم
هى من هبته على الادب . لا من هبة الادب عليه . ولقد كان هذا فى قرارة الشعراء

على التاريخ كشيء هم أولو أمره . فهذا (المتنبي) لا يلتزم ما التزموه من وجوب القبض في عروض الطويل . على ما أخذه به الصاحب بن عباد في رسالته (الكشف عن مساوىء أبي الطيب) . وهذا (البهاء زهير) . يشذ كذلك في أبيات بحيث لا يعرف لها بحر على ما ذكره (الصبان) في حد الشعر . وان راح يتعمل بلزها فمن بعض المجازىء بعنف .

وكذلك وجدنا الشعراء يفتنون دائماً - فكان ان استحدثوا المستطيل وما اليه من الموشحات والقوما . الى غيرها من الانواع الكثيرة التي ذكرها ابن خلدون وغيره . والذي لا ينكر . انه قد عرى الجماعة ضرب من التحكم في بعض دراستهم أو قصدوا أن يأخذوا الموضوع بشيء منه . واليك ما يذكره السكاكي وفيه نلمس مانعني ، قال في الكلام على البسيط من المفتاح (١)

(وعن الخليل ان العروض المقطوعة لا تجامع غير الضرب المقطوع والكسائي يروى خلاف ذلك الى أن قال وفي قصيدة عبيد بن الابرس وهي
(أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ)

كثير من هذا القبيل . وهذه القصيدة عندي من عجائب الدنيا في اختلاف الوزن . والاولى بها أن تلتحق بالخطب كما هو رأى كثير من الفضلاء)
قف عند قوله (الاولى أن تلتحق بالخطب) ففيه الشاهد الصريح لما تقرر .

واليك قصيدة (٢) النمر بن تولب العكلى التي يقول فيها

« صَحَا الْقَلْبُ عَنْ ذِكْرِهِ تُكْتَمَا وَكَانَ رَهِينًا بِهَا مُغْرَمًا »
« وَقَصَرَ عَنْهَا وَأَيَاتَهَا يُدَكِّرُنَهُ دَاعُهُ الْاِقْدَمَا »

وهي تصح من المتقارب الثمن المحذوف والضرب والعروض . الذي اقتصروا فيه على العروض السالمة وهكذا مما نلمس نقصه . وعلينا أن نحرر من أمره ما يتساق مع مطالبنا . ويتسع لها وينهض بالادب .

(١) ص ٢٨٢ (٢) راجع مختارات ابن الشجري ج ١ ص ١٦

ونحن من اعتبارات الاوائل بين ما يبيح لنا هذا الاخذ . فقد ذكروا في حد الشعر انه القول الموزون دون زيادة قيد (على نهج مخصوص) . مما يعلننا بانهم لا يتحرجون من قبول النظم على غير الموازين المحفوظة . أو عليها مع تغييرات في الضروب لم تحفظ . ولا يستضيئون من اطلاق كلمة (شعر) عليها وان خرجت على ما لوف ما اثر . ويؤكد هذا قول السكاكي حينما عرض لتعريف الشعر قال (١) { ومذهب الامام أبي اسحاق الزجاج في الشعر انه لا بد من أن يكون الوزن من الاوزان التي عليها أشعار العرب . وإلا فلا يكون شعراً ولا أدري أحداً تبعه في مذهبه هذا } . . .

وعليه فلا مانع من أن نعمل بجد في هذا السبيل . وأن نأخذ بقصد وعزيمة . . . وإن أبي علينا جماعة من الناس هذا النهج . فما أجددنا أن نترك لهم كلمة (الشعر) ومجموعة أوزانه المحفوظة . ونعتمد في شأننا مذهب الامام أبي اسحاق الزجاج . من أن الشعر لا يقال الا لما هو جار على وزن من أوزان العرب . ونسمى مانعده اليه من التحلل . اسماً غير الشعر إذا كان كل ما في الأمر تغيير الاسم . ومن ثم تطلق للأديب الحرية بحيث ينسئ له ا فراغ ما يريد به بكل مطاوعة ومواناة . . .

ويستوى هذا القصد عندنا في أن نقسم الكلام الموزون إلى شعر . ونظم . والشعر - ما جاء على وفق ما حفظ عن العرب الأولين في أوزانهم وضروبهم . والنظم - ما جاء موزوناً على غير ما حفظ عن العرب . وهو مباح للأديب

ما دام صحيح الموسيقى لا تباين في مقاطعته ونبراته وهو على قسمين . . . (١) نظم يأخذ منهج الشعر ويتقيد به . ولكن يتحلل باجراء التغيرات مطلقاً في كل بحر مادامت معروضة لتفعيلاته . ولا تخرج بالبحر عن جرسه . ولا يتقيد بوضع تكون عليه العروض في البيت أو الضرب . بل يتحرر على نسق ما رأينا عند أبي العتاهية في الخفيف . وتجد شواهد في كثير من الشعر الذي مثلنا به في المعجم . واليك قطعة من قصيدة (٢)

« خُلبَ الشَّيْخُ عَلِي حُنُكَيْتِهِ يَدِهَانٍ وَطِلاءَ وَرَوَاءِ »
« ظَنَّ مَعْنَى الخُلْدِ فِي غُضَنِ الحَيَاةِ وَيَنْجُهُ مِنْ خُلْدِهَا الزَّاهِي الكِسَاءِ »

فأنك لو أخذت العروض في البيتين لوجدت بينهما في وزان تفعيلة العروض اختلافًا لا يصح في نهج الشعر . فالأولى . محذوفة . والثانية محذوفة مزالة واليك مثالاً من قصيدة (١) على الخفيف ليتضح عليها الغرض .

« إِنَّمَا بَسْمَةُ الْحَيَاةِ أَمَانِيٌّ فَاعْظِمِ بِبِسْمَةِ الْآمَالِ »
 « فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن »
 « يَا مَلِيكَ بَدَتْ طَلَاُئِكَ الْغُرَّاءُ فِي مَجْدِ اعْظَمِ اسْتِقْلَالِ »
 « فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن »
 « عَلَّمْ فِي الْجُبُوبِ قَدْ ظَلَّلَ الْأَجْيَالَ تِيهَا وَآخِرُ فِي الشِّمَالِ »
 « فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن فاعلاتن . متفعِلن . فاعلاتن »

وبمقايسة ما صارت إليه التفاعيل من أبيات القصيدة يتبين لك مقدار ما قصد من الأخذ الجديد . الذي يتسع بالاعراض اتساعاً لا يخرج بها على سنة البحر ولا يغير من موسيقاه ولا جرسه . بل ربما كان إلى بدائه الأذواق أقبل من بعض الزخافات التي قبلوها لشعراء سابقين . من مثل (٢) ما ذكره الأمدى في شعر أعشى بن النباش التميمي .

« وَيْلُ أُمَّ بَنِي النَّحْبَجِجِ إِنْ نُدِبُوا لِابْتِحَالِ فِيهِمْ وَلَا فِي الْخَصْمِ إِبَارُ »
 وتقويمه (ويل لأُم بني الح .

وكذلك نجد الجماعة تقرر في زخاف الخفيف . ان التشعيث يجري في فاعلاتن الضربية والعروضية . ولكن مع التصريح لا غير . واختلفوا في كيفية إيقاع التشعيث . وهكذا مما تجد في القصيدة المثبتة مجاوزة شأنه وخلافه . وإنما قيدناه بالنظم الشعري من حيث هو جار مع أوزان العربية بازاء تام إلا في تعميم اجراء التغييرات على الشرط السابق من عدم الخروج بالبحر ولا الاخلال بالتوازن الموسيقي . كما يظهر من عمل أبي العتاهية على الخفيف . فعندهم التشعيث لا يجري في بعض البحور . وعندنا يجري

(١) هي قصيدة الاهداء الى جلالة الملك التي توجنا بها الكتاب

(٢) المؤلف والمختلف ص ٢١

في كل وتد مجموع من أى بحر وهلم جرا . ونعني بالتجاوز والخروج أن يجمع في القصيدة الواحدة بين بيت تام وبيت مجزوء . أو التغيير بحيث ينقل البيت من بحر إلى بحر آخر يداخله على قرب . ومن ثم نعرف ان المحذور هو هذا فقط . وما وراءه من لزوم للعروض في القصيدة أو للضرب أو للتنغيم على وجهه فما لا نرى أمره . حتى ولو كان بين البيتين في العروضين . حذف وكف كمثل (١) (شعر)

« وَفِيهِ افْتِدَاءٌ حَقُوقٌ غَدَّتْ تَبْنُ بَدَلِيلٍ إِذَا مَا اعْتَرَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ يُصِمُّ يَرُوعُ ظَلُومًا غَشُومًا إِذَا مَا اخْتَكَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ أَيَا الظَّالِمِينَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا فَلَمَّحَقَّ يَوْمَ »

فانك تجد بين عروض الأول وبين عروض الثاني والثالث مخالفة . إذ الأولى محذوفة . والثانيتان مكفوفتان . ولا وجه عندى لمنعه . وإن كان الأكل التزام التغيير على أى الوجوه ولو في النظم .

(٢) النظم الجارى على ابتداء واختراع ككثير من أخذ شعرائنا اليوم وفي السابق . فالمستطيل يقال له نظم ولا يقال له شعر . وكذلك الموشحات . ومن ثم تجد كيف اقتصرنا باسم الشعر على ما كان بالوفاء التام على أوزان العرب وبمجردهم . أو بعبارة أدق بالوفاء التام على أوزان الخليل وبمجرده . لأننا لانستطيع أن نَحْكَمَ العرب بعمل الخليل الذى لا بد أن يكون قد أتى فاصراً عن الاحاطة بعض الشيء

وأرجو أن أكون أوضحت بهذا . منجى قد يجد الشعراء عليه سهوله تحقق بعضاً من أهدافهم . فلا يعالجون من الشعر كما يعالج من علك الشكيم . وأنا أعرف أشخاصاً عندهم سري من الألهام الشعري قعدوا عنه لاعتياصهم بالشعر على فنيته المقررة . وهذا الاعتياص شمل كل شاعر مهما اتمده . فقد حدثنى بعض من لغوييننا هناك فى لبنان . بأن الجزء الاول من ديوان المرحوم أمير الشعراء (شوقي) فى الطبعة القديمة . مملوء بالأغاليط العروضية .

وفى الحق لا أرى أفضل من اعتماد رأى الزجاج . وبه تتمكن من احلال ما تريد محل الاعتبار حتى من جماعة المحافظة المستدقة .

(١) من قصيدة لنا بنوان (ذكرى عاشوراء محرم)

« داء العربية ودواؤها »

« أو تخصيص الموازين »

ليس ما أحاول هنا عملاً من تلك الأعمال التي قد تكون هينة المطلب . ولا عملاً يركب الخاطر الشارد في جذر الدهر ومد الفطرة الأولى . وتأتي نتائجه على نسقه من التقدير المرسل . فان ما عمله وأريده مجتهداً . هو شيء خلاف التقدير وغير الخاطر فهو لا يتناول اللغة في تاريخها . ولا الفكرة اللغوية من حيث خيالها على اللغة . وإنما يتناولها في مقدار قرارها بين أشياء المستقبل المعتم . ومقدار ثباتها في جانب الموجودات الحقيقية . التي لا تقبل إلى جانبها موجوداً ليس منها وليس له ذلك النصيب من الحقيقة الذي يحفظه . وإنما كل ما فيه من معني الوجود انه كان فقط .

ولذلك فهو موجود غير متماسك . حيث تكون الحياة فيه على انفصالات . وفي أطراف غير متواصلة . ومن ثم كان الاخلاص عند رجال اللغة يدعوهم إلى الأخذ في مذهب آخر أكثر جدية . يمكن أن يركن إليه وتكون به اللغة . فان عمل اللغويين في الفترة الماضية . لا يعدو أنه برهان على قدرتهم اللغوية وعدم عجزهم المسيطر فقط . واما اعداد اللغة للوجود بين متنازع الحياة ومعتك البقاء . فهذا ما لا أظنهم يستطيعون أن يزعموا بصراحة أنهم فعلوه . وربما كانت مثالة عملهم كقلب السعادة الذي يجمعه الساحر من كل قلب وما هو في الحقيقة الأمزاق فانية من كل قلب .

وأنا أعدو هذا الآن لأخذ في مذهب الجدد الذي أراه . واجتهد بتقريره وأدعو الناس إليه في جرأة وصرامة . وإنما استجيز هذا المنطق الصارم . لأن الناس لا يزالون يتمسكون بأوليات . يزعمونها . لم ترق في يوم من الأيام إلى الظن فضلاً عن رتبة العلم فالضرورة . والذي جعل لها هذه الأولوية . مزاوله درسها والنصب على تعاطيها بدون مناقشة لها ولا تردد في قبولها . وهذا شأن كل دراسة مهما كان نوع صحتها . ومهما كانت نسبة العقل فيها . ولعل أقرب مثل لهذا ، التنجيم المنبني بدون شك على اعتبارات تجريدية وضوحية فقط . ومع ذلك نجد من الهنديين من لا يجروا على الشك بنتائجه .

ولا يسمح لنفسه أيضاً في قرارة الضمير أن تتساءل عنها . على أننا أصبحنا اليوم وجهاً لوجه أمام المذهب العلمي الذي يأخذ كل شيء على أنه في حاجة إلى الدرس مرة أخرى . ويتساءل ما استطاع في صدق كل هذا . وبعبارة أحصر امام المنحي العلمي الذي ينتدى كل تفكير . وبحق كان (ماركوني) مديناً للجرأة في هدم الأولية الطبيعية التي حالت زمناً دون تقدم اللاسلكي . .

واظن قد آن لنا ان نتحلل من مسحة التفكير الصوفي (سلم تسلّم) . لان السلامة أصبحت في شيء آخر يبعد اشد البعد عن التسليم باى معانيه . فقد أصبحت اليوم في ضد ذلك الشيء . الذي عبر الناس على تسميته بالفضول . فالعلم اليوم يفرض الفضول . ويفرض ان يكون كل عالم بحق فضولياً ويفخر بهذا الفضول الذي هو ضمانه التصحيح العلمي .

على ان العهد برجال اللغة الاولين عدم هذا الركون الذي نأخذ انفسنا به . بل ونحملها عليه حملاً فظيماً . فقد حدثنا ابو البركات ابن الانباري في (نزهة الالباب) حيث ترجم لشيخه ابي منصور الجواليقي . كيف كانوا يناقشون باستخفاف بالغ اية فكرة حول مسألة لا تشرحها . وانما تتكف فيها مالايسهل التسليم به . فهو يذكر لنا كيف اعتمد شيخه ما ذكره ابن دريد في (ليس) وان اصلها (لا ايس) . وكيف انبعث ابن الانباري يناقشها عليه في سخرية لاذعة .

هذه الحكاية على كونها طرفة او نادرة ترينا منحي من فقه اللغة في سير الدراسات الاولى التي لا تخرج في مجموعها عن كونها التماسات مجردة . ومن ثم قالوا (النكات لا تنزاحم) . .

ومن وجوه الضعف فيها ايضاً الاجتهاد بتعليل كل شاهد على حدة . بدون اية ملاحظة عمومية . ومن ثم انتهت بهم دراساتهم الى ما انتهت اليه من عدم التلاؤم وزاد فيها هذا المعنى . حينما ظهرت حاجة العربية الآن الى ما لم يكن لها به عهد فوقفت على معنى الحرون لانه اخذ لا يلائمها فاعتاصت عليه .

وجملة ما نكثر من الحديث بين يديه . ان تكون نظرتنا الجديدة في درس

العربية نظرة اقتصادية محضة تعمل على الاستثمار وحده . وان نجتهد في الاستفادة من الموجودات التاريخية في غير ما نتركها دُمى او عاديات او شواهد قبور . فان الاحتكام بمنطق السماع يجعل مخلفات العربية شيئاً من هذا القبيل فقط . لا فائدة فيه اكثر من انه ثروة من التاريخ . واذا جاوز وضعه التاريخي . سقطت قيمته واعتبر كالمزيفات التقليدية تصادر وتطارد بين هنا وهناك .

وسبيل الاستثمار عندنا يقع في نحوين .

(١) توحيد المعاني في المادة الواحدة . ونعني بهذا جعل كل معاني المشتقات مزيدة او مجردة من مادة . معاني للمادة . مما يصح معه اشتقاق المجرد من المزيد الذى جوزه الشاطبي وغيره . ومن ثم تكثر الوحدات المادية . للمادة الواحدة . وقد أرى ذلك شيئاً من هذا عند العرب ودلنا عليه في غير هذا الموضوع من المقدمة . وفي اللغات الحية الاخرى مما يكون له اعتبار المذهب اللغوى العام . على ان هذا قد وقع في ملحظ الامام ابى اسحاق الزجاج حين قرر^(١) في كتاب (الاشتقاق) ان كل لفظين اتفقا ببعض الحروف . وان نقصت حروف احدهما عن الآخر . فهما مشتقان فكان يقول بان (الرَجُل) مشتق من (الرَجَل) و (العَقْل) مشتق من (العاقول) وهذا كله بحسب ظهور المعنى ووضوحه بين المشتقين .

ولقد نص رجال اللغة باشتقاق العرب . مثل مزكوم من ازكاه ، ومقرور من اقره ، ومكروز من اكزه ، ومغموم من اغمه ، ومحموم من احمه . فلا مفر من اعتبار الوحدة المادية لتوسيع باب الاشتقاق . وهو اعتبار من صميم اللغة وروحها في غير اعمال ولا افتعال . ولكي يبقى هذا كشيء له وجه صحيح . يجب ان نجيب على سؤال . وهو اذا سلطنا ما يقضي به توحيد المعانى ووضعناه موضع العمل على سنة الموازين المخصصة . فسيكون من المفرد الواحد عدد كبير من الكلمات على عدد الموازين . ولا يخفى ما يكون من تداخل بينها مع الاختلاف المعنوي طبعاً . او لا فيكون الوضع تحكيمياً . والجواب باختصار الشق الثانى ولاضير فانه من السنن اللغوية التى تتفق على تباين

(١) راجع معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

ما بين اللغات . . فلو اخذنا مادة (سَفَح) بمعنى صب الدمع و (سَفَح) بمعنى وجه الجبل . وجعلنا هذين المعنيين وحدتي اشتقاق واجرينا عليهما الموازين ذات الخصوصية .
لزم ان يكون معنا (سَفَح) بمعنىين على حسب الوحدة المادية . وعليه فنعمد الى التخصيص الموقوف على التحكم . والاختيار الارتئائي المجرد دفعا للاشتراك . .

(٢) تخصيص الموازين بمعان وتأديات تقوم بها مقام اللواحق في الأجنبية وهذا سبيل لا مفر منه . ما دامت العربية من اللغات الاشتقاقية لا التركيبية . فلا بد من أن تعني الصيغة فيها غناء مآ . وتراد لارادة بعينها . ويرى المتبع لكلمات العربية انها قد أخذت بعضاً من هذا الأخذ في صيغ بعينها سيمر بنا تعدادها والكلام عليها في فصل (تعليق واستنتاج) . ولكن لم تماثل فيه . فظل أثره كأخذ محدود

وهذا في نظري شيء قد كانت العربية على دراك له . لولا أسباب إقليمية مفاجئة وقفت بها عند حد مانراها مسطورة في غضون الكتب المعجمية . ومن ثم أصبح حتما علينا نحن اليوم أن نقوم بهذا العمل عمل تخصيص الموازين . واحلالها لتأديات بعينها قارة . ومن وجه آخر نطلق سبيل الوضع عليها . والاشتقاق وفق ابيتها من أية مادة . وإلا فأي معنى في قرارة وجدان العربي لتخصيص وزان (فعَفَعِيل) مثلا بمرمر يص . ووزان (فعَمَال) بحلبلاب . دون أن نقول منها حَسَمَسِين و حَسَمَسَان إذا ثبت أن لا امتياز لمادة عن مادة . وأما امتياز التمدي واللزوم فسيأتي الكلام عليه . وبيان وجهه والأسباب فيما يظهر لنا أنه مذهب العرب .

ومن الشطط في العبث إذن . أن لانزوم ما كان يرام وأن لانقول من فمفعيل الامرمر يص وهكذا . بل ضروري أن نستفيد من هذه الموازين الكثيرة الجملة كما استفاد العرب منها . على مقدار الحاجة الذي هو التعليل الصحيح لعدم وجود الأمثال أو مثالين من الوزان . عدا عما اضاعه الرواة وفات المعجميين .

وأنا لا أفهم شيئاً وراء هذا من تعاليل تروح هكذا ملتوية حيرى . وكيف أستطيع أن افهم خلاف هذا وفيه وحده ثروة العربية وروحها الوثابة . مما يضمن لها

حياة ثرة في غير تخاذل ولا وهن ولا ضعف . وتعود من قوة حيويتها كما كانت تسيطر على مطلق الأفكار . وتذهب مع شتى التصورات مذاهبها من الدقة والاحتمال ولا تضعف أو تلين لشيء من الآثار المنتشرة بين ضمير السكون وحسه . ولا يلحظها رهق ولا معجزة في هضم وتمثيل علوم وآداب الأمم المختلفة . بينما تكون حافظة لشخصها رغم ما حمل عليها وما تمثلته في وجودها .

والحق ان دراسة هذه الموازين من الصعوبة بمكان . ولكنها في الوقت نفسه طريفة ايماطرافة وهي توضح من سير الاشتقاق في العربية وسنة التفريع . وسر الزيادة وان كان على شيء من الغموض ايضا نظرا الى ان النصوص التي بين ايدينا اليوم لا تبي بكل المقصود من الدرس . فهي لا تحتفظ بشيء زائد عما يسمى بالمعاني المطلقة أي لا تحتفظ بخصوصيات هذه المعاني حتى يتأتى لنا درك الملحظ الاعتيادي الزائد في الوزن الشكلي . بيد أنها تكشف في الحين نفسه عن أنها خضعت لتطورات كثيرة لبدت فيها الخصوصيات الزائدة حتى لم يبق لاكثر هذه الزيادات الا دلالات مبالغية فقط واليك (وزان فعّال كخطاف وفعّال كقذاف وفعّوال الذي منه جلاواخ الخ) مما لو ذهبت تنبئه تنقص أمره لوجدت دلالات متفاهمة ومعان متصاقبة . لا تباعد بينها الا في اعتبارات قد لا تكون ملحظ العربي ابدا . والشىء الآخر الذي يعتبر التقصير فيه أبلغ . ان الكلمات التي جاءت على هذه الموازين لم تحتفظ لنا في استعمالات وشواهد يمكننا أن نطمئن اليها .

ونحن رغم هذا التقصير اجتهدنا في استخراج معان قارة وثابتة لها . بعضها من لطائف الاستعمال . وبعضها من التشخيص المادي . وبعض أخذنا فيه بالتحكم المعلى في مواطن الاصطلاح . وما هذا بفرييب عن اللغات حتى التي تنبني انبناء تركيبيا يسهل معه ايجاد الملاحظة بصورة وافية . فلم يكن اذن مقابلة اللاحقات الكيميائية شيئا يمكن استنتاجه على مقارنة بل بالتحكم المحض والاصطلاح وحده . ولا ضير في هذا ما دامت الكيميائية نفسها تنبني انبناء اصطلاحيا حتى في الاحتمالية نفسها .

والواقع أن العبء الذي نضطلع به من هذا . ليس باليسير الهين بل يتقل الى حد الارهاق ويطلع دونه . وهو حري بهذا فانه يقتضي نفوذا الى ضمائر الالفاظ وهي مستدقة .

وأنا بعد ذلك لا انزلها منزلة أكثر من أنها أفكار لها نصيب من الجهد . تدفع بالعربية في طريق معبد . يزداد مع الجهود المجموعة المستتعبة تعميدها . ولا أظن أى دارس منصف يرى فيها فرى على العربية . بل الفرية الحقيقية فى أن تقف بهذه الموازين على المقدار الأثرى فقط . والفرية فى أن تبقى دراستنا صادرة عن (أى كذا خلقت) هذا الذى كرم العربية فى شتى أوقاتها . وجعلها حتى فى أخصب عهود دراستها . لا تخدم مجتمعها فى شىء ولا تصوره ولا تتلون على نسق منه . والسبب فيه هو ما قدمناه من درس العربية على النحو المذكور .

ولقد يتعاطاك العجب حينما تتولى تاريخ الأثر اللغوى . فى جنب الحضارة الإسلامية فلا تجده الا نذرا أو لا تكاد تعثرله على أثر . إن فى لغة العلم أو الفن أو السياسة أو الادارة . ونظرة واحدة تأتى بها على مثل كتاب (صبح الاعشى) للقلقشندى وديوان الرسائل للصيرفى و (رسالة الديوان) للاسعد ابن ممتى . التى الفت لتصوير الحياة الادارية . وجانب من علم الدولة . تكفى للاقتناع بتخلف اللغة وعدم خدمتها لشىء ما من أشياء الحياة الجديدة . سواء فى جانب الجد أو الهزل . هذا الجانب الذى يشتمل على الطرف السار المرشح من تطريات الحضارة ومباهجها .

وكبير جدا هذا التخلف الذى نشهده . فان لغة كالعربية امتازت بالسةة فى مذاهب البيان . والتفصح فى جنبات القول الى حد المعجزة . تقف على هذا الشكل عن تناول هبات الحضارة . يبدو عجيبا .

وليس لهذه الظاهرة التى تناقض طبيعة اللغة . وتناقض مرونتها المعهودة . حين كانت تدسع لكل الاشياء ولادق الخواج . بين الانسان والانسان . وبين الانسان وعواطفه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان وكونه الا تعليل واحد هو عدم فهم قدامى اللغويين . مذهب العرب ومعقولهم فى اللغة حتى اضطر الادباء والناس من ورائهم الى تناول الاشياء على ما هي . لان التقدم سنة الطبيعة يشمل كل شىء على رغمه والبيان سنة الانسان التى تلازمه ولا تنفصل عنه . ومن ثم خضع حتى اللغويون فى النهاية لتناول هذه الاشياء واستعمالها على علاتها . بدون ما تشذيب فيها . ولا تغيير لما هي عليه من الشكل .

وهنا استطرق بذكر قصة مؤلفة من بعض الوجوه أوردها أبو بكر الصولي قال (١)
(ناظر فارسي عريا بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي ما احتجنا اليكم قط في
عمل ولا تسمية . ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم . حتى ان طيخكم
وأشربتكم ودواو يشكم وما فيها على ما سميناه . ما غيرتموه كالاسفيداج . والسكياج .
والدوغياج وأمثاله . وكالسكرنجين والخننجين والجلاب . وأمثاله كثيرة وكالروزنامج
والاسكدار والفراونك ومثله كثير) فسكت عنه العربي فقال يحيى . قل له اصبر حتى
تلك كما ملكتم الف سنة بعد الف سنة كانت قبلها . لا نحتاج الى شيء كان لكم)

هذه القصة التي ننطوي منها على وخز ضمير وألم مرير . كل المسؤولية فيه والتبعة
تقع على كاهل هؤلاء الذين وقفوا موقفا حرجا غير مرغوب فيه كما يقولون . وكأن
الجماعة فهمت في العربية أنها لغة لا تنتسب الى عربي الفالودج والوونج . كما تنتسب الى عربي
الشيخ والقيصوم . بل هي ثروة خلفها عربي الجزيرة فهي وقف عليه . وهذه الثروة في
عدد محصور محدود من الكلمات طبعاً . فلذلك ينبغي أن لا يتجاوز بها رقم هذا العدد .
ويدل على ما نقول من هذا الظن . اختلاف الجماعة في التعريب وحدوده . فان أولئك
الذين كانوا اكثر مزاولة للحياة في حدودها . وخوضاً في شؤونها الدائمة كانوا أرفق شروطاً
وأكثر اقتصاداً . وبالأخص حينما وجدوا الحاجة ماسة اليه فقررره (٢) في معالم واضحة
على أشد ما تكون وضاحة وجملوا كل ما جرى به اللسان العربي على أوزانه من غير
العربية . عربياً ومنهم الأزهري .

وآخرون وهم الذين كانوا يقيسون الحياة على مقدار مقدهم من حنقة الاملاء .
وينظرون الى دهرهم من وراء معلقة امرء القيس ومن اليه . منعوا التعريب على غير
العرب ومنهم ابن فارس .

ولكن يا هؤلاء اذا كانت العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به .
وتقف دون البيان عنه بأى لفظ من أية لغة فهي جديرة بأن لا تكون الا في متحف

(١) ادب الكتاب ص ١٩٣

(٢) لا يفهم من كلامنا انا نقرره كما قررره فانه سيمر بك رأينا في التعريب وانا لا نقره في
شيء ما من اسماء المعاني باطلاق القول وفي اسماء الاشخاص (الاعلام) تجريبه على قواعد
مخصوصة راجعها في بحث التعريب من القسم الثالث في المقدمة .

يكتفى الناس منها بالنظر اليها . وأُراني غير مطمئن الى أن الجماعة تقرر فكرتها على مثل هذه الغاية . ولكننا تعني شيئاً آخر هو ما سبق لنا أن تكهننا عنه . وهو أن الجدير بكلمة العربية . هي مجموعة الكلمات التي تضمها المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل أن عراه ما عراه . وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية . الحق بها فيما أرى نتائج كأسوأ ما تكون نتائج ومن أهمها :

(١) قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر . ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في العربية . فانك واجد في الشعبة المنطقية كلمات (المادة . والجهة . والموجهة) . وقد ذكروا في تعريفها أن كيفية النسبة في القضايا (مادة) . واللفظ الدال عليها (جهة) . والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) . ثم خذ أي كاتب كالسعد ومن يعنون باثار مثله كمبد الحكيم والمطار في حواشيمهم على التهذيب والشمسية . فانك تراهم ينشرون تساؤلاً عريضاً عن سبب تسمية الكيفية مادة . وهم محتمون بهذا التساؤل الذي لا يفرغون الى اليوم من جوابه . وان كان الاعتذار ليس بمحل من الاعجاز . وهذا الغزالي في (محك النظر) يرد اصطلاحهم في التصور والتصديق ويسميه معرفة وعلماً على أن هذه في جميعها لا ترجع من أية طريق الى جهود اللغويين أبداً . وانما تدين لعمل العلماء فقط .

(٢) جمود اللفظ في معناه فلا تجده على مرونة ولدانة كما يجب أن يكون . بل تشعر بأنه يتأرجح على نفسه . وينكمش في طبيعته . حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفها السيول تبقى كذلك حصاة غير متحولة شكلاً ولا اعتباراً . ومن هنا آتهم بعض مستشرقة الافرنج . اللفظ العربي بأنه (اكاشيه) لا اكثر وسمى العربية (لغة الاكياشات) وجره الى انكار ان يكون في العربية ادب بالمعنى الصحيح .

(٣) نشوء العامية . ولقد يرى عجيباً أن أعد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد . جر الى نشوء العامية . أو كان الأثر الفعال اليها . ولكنني على ما يرى من عجب . فأؤكد به بصورة لا تقبل الريب . وذلك لان الوقفة على هذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يهبر عن أغراضهم اليومية . وهي لا تنفصل عنهم بحال . أولاً يتأتى لهم أن ينفصلوا عنها بأي وجه . جعل العامة يهجرون تباعاً هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها

لغة التشريع والابتهالات . ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة إلا لأسباب ماسة لها حدثها ولها عنفها . والا فالعامة من الوجهة النفسية تميل جدا لهذا النوع من التقليد وتميل إليه حد الفتنة .

فالانصراف الذي نلمسه في العامية . قد كان اذن لأسباب لا يحقر أبدا شأنها . وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما . ولقد أخذ بان هذه النتائج التي ارتبها تصح اذا سلم أن العامية كانت عن الانصراف المذكور . ولم تكن لأسباب اكثر وضوحا من الدخيل والامتزاج . ولكن الواقع يقرر أن الدخيل وما إليه . لم يكن بذى بال الا في الاعراب . والاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها . وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح . المفردات المتخيرة المنتقات . التي تشمل عليها لغة الخطاب . ولعل غير بعيد أن تكون عادية اليوم أفضل بكثير من عربية القرون التي تقع بعد القرن العاشر . ولنا على هذا أوراق ثبوتية لا تزال تنطق بصراحة . وهناك نتائج يطول تعدادها . وأعتقد بأنه لولا غلبة العربية بحكم غلبة السلطان ولولا ضيق النطاق العلمي بحيث لا يتجاوز محيط العلماء لضج اولئك العرب كما نضج نحن العرب . وما ذلك من طبيعة اللغة ونحن نشهد مقدار ما هي عليه من السعة يوم كانت اغراض المتكلمين محدودة . حيث الجاهلية حقيقية . مما يصحح معه ان تقول بأن العربية القديمة كانت اسمى من تفكير العرب القدامى . ونحن العرب اليوم نغار على العربية . من أن ننظر اليها نظر سالفى اللغويين . وان كنا نعذرهم لان غرضهم اتجه الى وجه واحد وهو حفظ العربية من ان تأتي عليها الألسن الشتى . ونجتهد ونحن ورثة العرب الأولين أن نحقق كوننا خير خلف . وأن نعمل بملء اليدين . وجمع الكفين كما يقولون لاستثمار هذا التراث . دون أن نتركه على وضعه الذى كان عليه . ونكون مع ذلك اكثر صيانة للغة . واكثر فقها لمعقول العرب فيها . ولذا كان من نابهي اللغويين الذين يفسرون اللغة على مقدار ما تستوي مع الحياة . مجاهرة بان اخذنا من هذا القبيل اصبح لارما . واول من اذكر له صرخة جريئة وحكيمة اللغوي المأسوف عليه ظاهر (١) الشويرى .

(١) هو من لغوي لبنان . وضع عدة رسائل منها (رسالة مفصلة) ورسالة تعقب فيها اخطاء القاموس ورسالة اللامع النواجم في اللغة والمعاجم ضمنها بعضا من افكاره الجريئة . ويمتاز بالهدوء العلمى في درس ما يدرس . وقد وضعها كقدمة لمعجم المأسوف نليه جرجس هماد الشويرى

ولقد لخص جملة افكاره في عبارات نوردها هنا على اقتضاها قال بعنوت تنبيهات

(١) يجب أن يجعل متن اللغة قياسيا .

(٢) يجب أن نقول بقول ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب وهو انه لا يقال

بالشدوذ ما وجد له وجه قياس

(٣) أن نقول بقول المازني كافي الاقتراح وهو أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم

(٤) أن نقول بما في مادة (حلف) من المصباح . وهو أن عدم السماع لا يقتضي

عدم الاطراد مع وجود القياس .

ولشدة خطورة الموضوع من وجه . ولما احمل من موجدة على الدراسات البتراء

التي نتعبد بها في غير ما مبرر حكيم . تذهاني المناسبات وتحتكم بي على مقدار أن انتقل

اليها بالموضوع .

وبحسبي من حديثها ما ذكرت لانتقل الى درس فيه تفصيل على الموازين . وان

كنت لا أرى في موضوعات العرب عليها فوارق حملت الواضع على اختصاصها . الا اذا

صدق الظن الذي تقدمنا به من أن الفوارق تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول

الرواة . وقد يقوى هذا الظن أن تكون آخذة شكلا تقنيا^(١) . على منحنى موزون

خذ (فَعْفَعِيل) الذي يظهر أن أصله (فَعِيل) و (فَعَائِيَت) الذي يرجع الى (فَعِل)

و (فَعَلِين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الرأي في جميعه . باعتماد المقارنة

التشاكلية . وان كنت أفطع بأني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكنني اطمن

اليها على أي الأحوال .

والملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين . أن العربية كانت تصدر عن لواحق

تزداد على الوزن اذا أريد لافادة معني اللاحقة زيادة على معناه . بدليل السوابق وما لها

من المعني المعتبر في العربية الشاهدة كسابقة (أَسْت) في (استعمل) التي تفيد الطلب

أو الصيرورة أو العد . وأظن بأن هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان في العربية

سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

(١) كلمة من وضعنا الجديد حملناها ترجمة لكلمة (technical) واصلاها من مادة (تقن)

العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والموافق من كل الجهات .

وكنا سنذهب إلى تقرير هذا الذي وضح لنا واعتبرناه ظاهرة ليس فيها شك
يبد امتنعنا منه الشئيين .

(١) انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو عقابها من بعثرة وفوضى
مستطيرة . وليس ذلك من عدم صدق النظر . وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه .
ولندرة الأمثال المحفوظة على هذه الموازين التي تحتفظ بالواحق من وجه آخر .

(٢) حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة . أن يضاف إليها ما لم يكن
منها . ومعناي بهذا أنا بتقرير معنى اللواحق بعيداً عن الميزان ثم اضافتها على الوزان
لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي إلى تزيد كبير في الموازين الجديدة على أشكال لم
تعرفها العربية العريقة . لانها لم ترم حاجة إليها . وان كانت ظواهر الدرس تقتضي
ان العربي كان يعتمد لواحق بعينها للدلالات بعينها . ومن يشك في هذا إذا تناولنا
(بعيدين عما تسببه الدهشة من استنكار عابث) مثل وزان (فعَلَوْتُ) (وفعَلَلْتُ)
و (تَفَعَّلْتُ) ووزان (فعَلَّان) و (فعَلَّان) و (فعَلَّان) ووزان (فعَلَّم) و (فعَلِّم)
و (فعَلِّم) ووزان (فعَلِّين) و (فعَلِّين) و (فعَلِّيت) وهكذا .

وانما خصصنا مثل هذه الموازين بالذكر . لأنه يظهر فيها بصورة قاطعة للتردد
أو الاسترابة . ان العربية كانت خاضعة لما يدعونه بالواحق في مذهب زيادتها
ولكن تشذبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزان لا تنفصل عنه وكان
هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

وينبغي أن يتنبه إلى الفرق بين كون اللغة تصدر عن لواحق . وبين كونها تصدر
عن موازين شكلية . فان الأول يكون أوسع نطاقاً لان الواضع لا يتقيد معه بشكل
من أشكال الموازين ، بل يضيف اللاحقة على أي وزان مجرد عنها لافادة المعنى
الزائد . فمثلا لو فرضنا أن لاحقة (غَسَلِينَ) التي هي عندنا نظرنا (ين) تدل على معني
الخلاصة وأردنا أن نفيد خلاصة من اسم مفعول (كَلَبُونَ) مثلا الذي هو بمعنى . المضاف
اليه اللبن نقول (مَلْبُونِينَ) وهكذا مما لو أخذتها في (فعَلِّين) و (فعَلِّين) وشبهها
لوجدت بأن مجال العمل عليها أوسع نطاقاً من حيث الفائدة . ولكن يُقَعَّد دونه أنه

اصطناع للعربية اصطناعاً. بخلاف ما إذا كان التفرع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط ، فإنه يكون في غايته اشتقاقاً متوسعاً . وقد تدرك فرقاً واضحاً بينهما . وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذي أخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا وأنه مذهب العرب ، ودليله ان لاحقة (وت) لم تختص بوزان ما . له طابع يميزه كما رأيت في فعلوت . وتفعلوت . ولكنه كان مع ذلك خاضعاً لشروط أهمها .

(١) أن لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذي تكون منه الكلمة في العربية .

(٢) أن لا تجتمع فيها لا حقتان (كفَعَلان) مثلاً فلا يجيء منه (فعَلانين) و (كفَعَفَعِيل) لا يجيء منه (فَعَفَعِيلين) وهكذا .

ويظهر أن اللاحقة تعتبر في أكثر من حرف . فكل ما كانت الزيادة فيه حرفاً فقط كان وزاناً أصلياً يجوز أن تنبعه اللاحقة وتنضاف عليه . ونحن رغم أننا نطن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة . فلا نرى العمل عليه للمحافظة على شكلية العربية . على أن كثرة هذه الموازين المحفوظة مغنية عن أحياء اللواحق والاشتقاق عليها . ولناخذ في عرض خصوصيات الموازين . كل ميزان على حدة لينجلي أمرها على صورة لا يتوقل من بعدها سير الاشتقاق . وهذا الأخذ وحده الذي ينقذ بحق الوضع العربي ويمهد السبيل إليه بحيث لا يبقى عائق . عن افراغ التعبير بما لا يتفاوت معه في تعبير النفس وتصوير الضمير .

وأهميته هذه آتية من حيث إنه يضمن توزيع الوحدات المادية على نسق علمي صحيح ، وهنا يجيء أمر التنبيه على شيئين لهما أهميتهما في بحث الموازين .

(١) مسaire الجماعة في اعتبار الاسمية والوصفية في كل وزان . ولكن على أن لا نستثني من الموازين واحداً عن هذا الاعتبار . ولا نتقف عند^(١) قولهم (وقد يختصون الصفة بالبناء دون الاسم . والاسم دون الصفة . ويكون البناء في أحدهما أكثر منه في الآخر الخ) لأنه وقوف مع الموجود من العربية بدون مجاوزة في النظر من أجل

(١) راجع الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٣١٥ .

التماس التعليل الصحيح . وإلا فأي معنى لهذا التقسيم الشاك غير المطمئن سوى الحيرة في فهم مخلفات العربية على الوجه الواقعي .

(٢) هذه الزنات جميعها تقبل زيادة التاء المتحركة والتجريد . لاعتبارات من التأنيث والوصفية والمبالغة مما يجمعها قولهم (علامة الفرعية) وهذا قد نص سيويوه عليه في غير موضع من الكتاب وبالأخص في (باب (١) ملحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل)

فَعَل

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بوحدة المادة تقول (رَتَج) للشئ فيه الغلق .
فَعَلَل : خصوصيته الدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف تقول (زَبَدَد)
للمتعدد الزُبْد .

فَعَلَّأ : خصوصيته الدلالة على المكان يوجد فيه الشئ على معنى التمييز . وعلى تعدد الشئ في غير انفصال . تقول (حَرَجَاء) لمكان الغابات الكثيرة و (صَنَعَاء) للمكان تكثر فيه الصناعة .

فَعَلَّان : خصوصيته الدلالة على تكامل الوصف في الشئ تكاملاً من كل الجهات تقول (رَوَّان) أي صوت متكامل وآلة ذات رومان .

فَعَلَّت : خصوصيته الدلالة على سرعة التأثير أو الانفعال . وعلى سرعة الاحتراق . تقول (عَصَبَتْ) لتأثر الاعصاب السريع .

فَعَلَّن : خصوصيته الدلالة على نفوذ الوصف إلى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر العقل الباطن تقول (نَفَسَن) للرجل المختص بالأعمال النفسية كالمنوم المغنطيسي .

فَعَاوَة : خصوصيته الدلالة على البروز من الوصف تقول (أَثْبَوَة) للجدول ينبثق من أعلى الجبل ويوافق الجبل في انحداره . (حَبْنَوَة) لتتواء الداء البطني المسمى بهذا الاسم .

فَعْلُوتٌ : خصوصيته الدلالة على الاستحالة من شيء إلى شيء تقول (فَلَزُوت)
لاستحالات المعادن إلى أسيائها العنصرية . وفي (الاقرباذين) يدل على الموصول تقول
(كَلْبُوت) لمصل الكلب و (حَلْبُوت) لمصل الحليب .

فَعَل

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمادة مع توزع وعلى ما هو مثل (الزنبرك)
للو صف تقول (رَعَج) لذي المال الكثير الموزع في أيدي الناس بالترابي .
فَعَلٌّ : خصوصيته الدلالة على الذي يحتوي على المائة الألفية من الوصف تقول
(عَقْدٌ) للذي يحتوي على أكثر من ألف إلى مائة ألف عقدة . ويدل أيضاً على الخلل
في الشيء تقول (نَعَمٌ) للنغم المحتمل المضطرب و (مَعَدٌ) للمعدة فيها ضعف .

فَعَلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الامكان من الوصف أي ما يلاقي الزائدة (ble)
في كلمة (salvable) أي ممكن التخليص تقول حالة الجو (سَحَبَاء) أي ممكن أن
ينشأ سحب .

فَعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على التفاعل والاضطراب خفيفاً أو ثقیلاً تقول منه
لاضطراب الأنهر الرقيقة ولاضطراب الآليات تقول (هَرَمَان) للضطراب من الهرم .
وفي كونه اسماً يدل على الذي يبدو ويختفي كالأضواء القائمة على وضع كيمي .

فَعَلَّانٌ : خصوصيته الدلالة على الألف الألفي تقول (عَقْدَان) إذا كان
يحتوي على أكثر من مائة ألف عقدة

فَعَلْنِي : خصوصيته الدلالة على ما يحدث إثارة عظيمة تقول للقبلة (فَنِينِي)
أي تثير الفناء و (فَنِينَاء) أيضاً .

فَعْلُوتِي : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء بما لفته تقول
(رَكْبُوتِي) .

فَعَلِيًّا : خصوصيته الدلالة على النفاذ إلى الصميم تقول (حَزَنِيًّا) أى حالة حزن نافذة إلى الصميم .

فَعَلُول : خصوصيته الدلالة على القابلية السريعة تقول (مَصْحُوح) للشئ يتلاشى ويمصح بسرعة .

فَعَالِيل . خصوصيته الدلالة على ذى الخاصة التى يفرزها فى الغير فتكتسب خاصته أو يفعل فيها ذلك ويأخذ اسما من الخاصة تقول (خنصيص) للنبات السام الذى يضاف على الأشياء ليفعل فيها هذا الأثر .

فَاعَال : خصوصيته الدلالة على الذى يفعل الوصف بنفسه أو الذى يفعل نفسه ويقوم مقام السابقة الأجنبية (auto) ولكن يغلب فى المعنى .

فَاعَل : خصوصيته كخصوصية فاعال ولكن يغلب فى الحس .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على مثل ما تدل عليه فاعال بملاحظة الملكة ويدل على الخاصية أيضاً .

فَعَالَاء : خصوصيته الدلالة على الانتصاف بالمعنى مع محاولة خلافه تقول رجل (شَرَارَاء) يقع فى الشر مع محاولة الخير .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على المبالغة فى الفاعل . وإذا سمي به كان المراد منه ظهور الملكة والتخصص . فإذا قلت (نَوَّار) كان المعنى الشئ الذى يعطي النور بكثرة عن ملكة ثابتة . وأما (نَوَّار) بالتخفيف فالمعنى فيه . الذى خاصيته النور فيقال على (الفوسفور) .

فَعْل

خصوصيته الدلالة على الشئ ذى الوحدة من الوصف تكون فى مضاعفات تقول (رَبْل) للذي لحمه فى طبقات . ويدل أيضاً على معنى (كثير وأكثر) الذى يقال له فى الأجنبية the comparative أى تفضيل المقابلة . وهو لا يراد منه معنى (أَفْعَل)

التفضيل تماماً بل يخص بما الوصف فيه من نفسه بخلاف (افعل) فهي أصل عام في باب التفضيل مطلقاً .

فَعْلَةٌ : خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجانح إلى المستقبل تقول (الدُّلْجَةُ) ومعناه سرداب المستقبل المظلم

فَعْلَانٌ . خصوصيته الدلالة على التكاثر بالانقسام تقول (حَيَوَانٌ) أى حي نقاعي يتكاثر بانشطار الخلية وهو التوالد الذاتي .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل في الطبيعة تقول (طَيُورٌ) لأعظم الطير سرعة و (فصيلة طَيُورِيَّة) وأيضاً (سَبُوحٌ) لأعظم السمك سرعة . وهو يفيد معنى (الأكثر) الذي يقال له في الاجنبية the superlative أى تفضيل المبالغة

فَعُولِيٌّ : خصوصيته الدلالة على الأقل ملكة مما في (فَعُولَاءٌ) الآتي تقول (ليلة بَرُوقِيٌّ) أي بروقها ليست من كل الجهات .

فَعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الخاصية المتفردة وفي اكل ما تكون عليه تقول (ليلة بَرُوقَاءٌ) .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي والاعتباري العددي تقول (شَبُورٌ) للقياس المنبني على اعتبار الشبر .

فَاعُولٌ : خصوصيته الدلالة على الأشد كثرة في الحس أو المعنى وهو وفَعُولٌ وفَعْلٌ ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية وترتيب معناها (أكثر والأكثر والأشد كثرة) وهذه الثلاثة عند نظرنا تنويحات محضة لا تنظر في ثلاثتها إلا إلى معنى واحد تقول (رَوْنٌ) للكثير الصوت و (رَوُونٌ) للأكثر صوتاً و (رَاوُونٌ) للأشد كثرة .

فَاعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الكثرة المطلقة في تعمل تقول (آلة قاسوماء) أى تقسم الحجم إلى ما لا يحصى كثرة .

فَعِيل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يكون أكثر انفعالا بالوصف أو هو مصدر الانفعال أو محل توارد الانفعال . تقول (نَفِقَ) لمصدر النفوق .

فَعِلٌّ : خصوصيته الدلالة على المبالغة في وزان فَعَل .

فَعِلَانٌ : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف مع تماسك تقول (نَوْرَانٌ) .

فَاعِلٌ : خصوصيته الدلالة على الفاعل .

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف لزوماً لا ينفك إذا سمي به تقول (صَنِيمٌ) لحبث الرائحة التي تلزم بسبب علل فيزيولوجية في الجسم .

فَعِيلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الصناعي يكاد يكون كالطبيعي تقول (صَوِيْفَاءٌ) للصفوف الصناعي الذي يعمل من اللبن المبتكر في إيطاليا وتقول (قَلِيْبَاءٌ) للقلب الصناعي الذي اخترعه الدكتور كاربل .

فَاعِلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة في الفاعل تقول (بازناء) أى آلة تحفظ الحرارة في استطالة .

فُعْلٌ

خصوصيته الدلالة على المتصف بالوحدة في لزوم طبيعي أو آلي تقول (كُنْدٌ) للشيء المنجمع بعضه على بعض انجماعاً لا ينفك إما في الطبيعة كبعض الآفات المرضية وأما في الصناعات كالزئبركات المضغوطة .

فُعْلَةٌ : خصوصيته الدلالة على المفعولية أو الانفعالية وتخص بمعنى الاستعداد في الاشياء تقول (فلان أدبٌ) أى مستعد للادب ومطبوع عليه . وتزاد التاء فيه لزوماً

فُعْلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على ما يشبه التكهرب تقول (رُوْكَاءٌ) أى صوت الصدى المكهرب ويمكن أن يوضع للموجة الكهربية .

فُعْلَمُ . خصوصيته الدلالة على الذي توجد فيه مضاعفات تجعله صنفاً آخر تقول
(خُضِرُم) للأخضر الذي ضوعف في خضرته حتى عد صنفاً آخر من الألوان
فُعْلَانُ . خصوصيته الدلالة على الوحدة أو الأصل في الوصف تقول (نُهْرَانُ)
لذي كأنه وحدة الأنهر أو مصدرها .

فُعْلُولُ . خصوصيته الدلالة على الترائي من الوصف تقول (مَطَرٌ هُطْلُولٌ) يترائى
أنه يهطل ومراة (قَطْرُورٌ) يترائى أنها تقطر .

فُعْلُلُ . خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ويفعلها دفعة
تقول (قُفْلَلٌ) للقفل الذي يقفل من جهتين دفعة واحدة .

فُعْلَاوَانُ : خصوصيته الدلالة على الأول من الوصف والاقدم في الوصف أيضاً
تقول (عُمُرُوَانُ) للانسان في أول العمر . وأيضاً لأقدم مُعَمَّرٍ .

فُعْلَلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ولا يفعلها دفعة
واحدة تقول (قُفْلَلٌ) للقفل الذي يقفل جهتين أو جهات ولكن على التعاقب .

فُعْلُ

خصوصيته الدلالة على الشيء المتصف بالصفة العجلى من المعنى على لزوم تقول
(سُبْحٌ) للمنطق الشديد في البحر .

فُعْلَلٌ : خصوصيته الدلالة على الاطباق في انتشار تقول (عُدْلٌ) أي العدل
المنتشر المطبق و (دُخْنٌ) للدخان المنتشر المطبق .

فُعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يلزم لزوماً في غير انفساك ويكثر في الظلمات
تقول (طُبْعٌ) للاكليشيه أو طُبْعَةٌ .

فُعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على الأصل تنفرع عنه الأشياء أو تقوم عليه تقول
(نُورَانُ) أي المصدر الموزع للنور و (حُجْرَانُ) للحجر تقوم عليه الاحجار كحجر سِنْمَارٍ

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على المثوي و (فُعِلَ) للدلالة على الاحادي و (فُعِلَ)
للدلالة على العشري تقول (عُمْدَانٌ) لما يحتوي على مائة عقدة إلى الف و (عُمْدٌ) لما
يحتوي على عشرة إلى مائة و (عُمْدٌ) لما يحتوي على عشرة إلى عشرة .

فُعُولٌ . خصوصيته الدلالة على الذي يفعل مضاعفة عديدة إن في الطبيعة أو الصناعة
تقول (سَيُورٌ) للذي يسير مضاعف معدل النسبة العامة للسيارات السريعة .
فُعَلِيٌّ : خصوصيته الدلالة على ما يكون بسببه الوصف تقول (لُهَجِيٌّ) لمن يثير
اللعب ولا يلعب وبعبارة أوضح خصوصيته الدلالة على كل ما يثير صفة في الغير بدون
أن يكون متصفاً بها . . .

فُعَلٌ

خصوصيته الدلالة على الذي يأتي الوصف من أخفى وجوهه حقيقة أو على التنزيل
مع المبالغة فيه تقول (خُدْعٌ) الذي يخدع خدعة خفية .
فُعَلَّةٌ . خصوصيته الدلالة على التناول المترتب الجانح إلى الماضي تقول (الدُلْجَة)
لسرداب الماضي المظلم على التجوز .

فُعَلَاءٌ . خصوصيته الدلالة على مثل الترائي أو الاعتقاد حتى يصير صفة ومنه
يقال أيضاً على مثل التوقد والتألق وبعبارة أشمل الوصف على التوهم تقول (نُهْرَاءٌ)
للنهر الراكد الذي يوهم أنه جار .

فُعَلِيٌّ . خصوصيته الالة على التطفل الخفي كالأشباح والأوهام وما إليها تقول
(عُجْهِيٌّ) و (عُجْهَاءَةٌ) للتكبر على الوهم . . .

فُعَالٌ . خصوصيته الدلالة على مثل لاحقة (grah) تقول (رُوَانٌ) للفنوجراف .

فُعَالٌ . خصوصيته الدلالة على طبع الانطباع إذا وضع على بناء (فُعَالٌ) تقول
(طُبَاعٌ) آلة تصوير المطبوع و (طُبَاعٌ) الاكليسيه وإذا لم يوضع على بناء (فُعَالٌ)
كانت خصوصيته الدلالة على الملكة المصطنعة أو على شبه الملكة بمبالغة أي على شبه

(فَعَّالٌ) وبعبارة أخرى الذى تكون له صفة غالبية تجعله يوصف بصفة غيره خذ (عُوَّارٌ) الذى هو البثر في العين مما يجعلها أشبه شيء بالعوراء وعليه فيوضع منه تخصيصاً للشيء الكاذب ومن (فَعَّالٌ) للشيء الصادق تقول (مرض حُرَّاقٌ) إذا كان شديد الحرق حقيقة و (حُرَّاقٌ) إذا كان يومه كذلك

فُعَّالِي : خصوصيته الدلالة على تدرج الشيء في الانطباع بالصفة أو على فترات الانتقال تقول (ثمر نَضَّاجِي) أي في فترة النضوج .

فُعَّالِي : خصوصيته الدلالة على الانطباع الطبيعي أو شبهه ونعني بالطبيعي مطلق ما لا دخل للانسان في صنعه فيقال لصور الأحجار التي توجد كذلك في الطبيعه تقول (وجدت زُهَّارِي) أي حجرة مرسوم عليها زهرة ويقال بهذا المعنى من فُعَّالٍ .

فُعَّلَان : خصوصيته الدلالة على الطفيلي على الاشياء مطلقاً تقول (رُزَّانٌ) أو (رُزَّانٌ) للصوت الطفيلي على الأصوات مما يصلح أن يكون في مقابلة كلمة (parasite) على الأصوات . وإنما أخذناه من (فُعَّلَان) أيضاً بهذا المعنى لأنه يقارب (فُعَّلَان) بالدلالة وأخف منه . وتقول (كُتَّبَانٌ) للكتابات التي تضاف بين الاسطر للتوضيح أحياناً وهكذا مما يشاهد في المطبوعات التركية .

فُوَّعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التداخل والنشر أي ما يفعل هذا الفعل تقول (ظُوَّهَارٌ) لكل ما يختفي ويظهر .

فَعَّل

خصوصيته الدلالة على المحدود . وعلى الضئيل الناعم تقول (نِصَلٌ) للنصل الذي لا يترك دقيق الشعر وتسمى به (آلة الخلاقة تحت الصفر) و (نِعم) للناعم جداً وتسمى به (البودرة) .

فِعَّلَالٌ : خصوصيته الدلالة على الضوؤلة البالغة على معنى أنه يدل على ما هو دون معدل الصفر كثيراً تقول (نِصَالٌ) لآلة الخلاقة التي هي دون الصفر بعدد كبير .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على الكثوفات والامتزاجات وعلى مثل الدوائر في الشيء
تقول (خَضِرِم) للخضرة دخلتها كثوفات تلوينية و (لِينِم) لمطابق اللون الذي
دخلته كثوفات .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على مادون أن يقال عليه الوصف أو على الأقل النسبي
عما يقال عليه الوصف تقول (لِينِم) لمطابق اللون الذي هو أخف من أن يوصف بصفة
من الألوان الرئيسية وتقول (خَضِرِم) للأخضر الفاتح ..

فَعَلِنَ : خصوصيته الدلالة على ضوؤة الوصف الباطني . وعلى الخلاصة الروحية
تقول (قَدَسِن) بمعنى الطهر الباطني الضئيل وتقول (كَتَبِن) لطلاسم المكتوبة
التي تفعل فعل الخلاصات

فَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على أداة الوصف تقول (صِيَاء) أي أداة الصوت
ويصلح لأن يسمي به (الميكروفون) و (الريناء) أي أداة الروف ويصلح إسماً
للميكروفون أيضاً .

فَعَلِيلَ : خصوصيته الدلالة على الاقتران بالشيء . إقتراناً كالاتحاد تقول
(إِرْضِيض) لما يقترن بالأرض من المعادن الأولية و (زَغِيْب) لما يقترن بالزغب
من الدوبيات تقول فصيلة (زَغِيْبِيَّة) ..

فَعَلَيْتَ : خصوصيته الدلالة على الاستتار في الوجدان أو الضمير والرجوع إلى
التحولات المندثرة تقول (إِبْدَيْت) للذي تحتكم به روحان إحداهما جيلية والأخرى
عصرية . وبعبارة أوضح يدل على الرجوع إلى التاريخ السحيق والابتعاث فيه ويدل
أيضاً على ما خالط الوجدان أو حل في موطنه تقول (عَقْرَيْت) للذي ينطوي على
ألم مرير كأن فيه عقراً ينز على الدوام فهو يتأفف منه

فَعَلِدِينَ : خصوصيته الدلالة على ما ينزل منزلة اللاهقة (ine) في الأجنبية
كفسفورين ، ويدل أيضاً على الأصل الفعال في الأشياء تقول في (الشاي) إذا عددناها

كلمة من العربية باعتبار أنها قد تمكنت فيها إلى حد ان أخذت مسحة عربية سابعة .
ويمكن انزالها منزلة كلمة (باز) الطائر المعروف وعليه فتكون الألف منقلبة عن (واو)
فيقال في بناء فعليين منها (شويين) وبالاعلال الواجب (شيين) لاشايين) ومن
(قهوة) (قهوين) لا (قهوين) .

وخصوصية هذا الوزن العامة للدلالة على انجماع الوصف في شيء من أشياء أو في
جزء من كل . لاحظ جيداً (غسيلين) التي بمعنى ما يغسل من الثوب . وإذا لاحظت
أنه يرد الى (غسل) ومعناه الماء يغتسل به كان معنى الوزن الذي يفعل بالغسل .
وبما أنه جاء بمعنى المدّة أيضاً فلا بأس من أن نجعل له اصطلاحاً طيباً ويراد به
الافرازات المتغيرة مطلقاً تقول (صفرين) لافراز الصفراء المتغير (ييلين) للبول
المتغير وهكذا .

فعلياء : خصوصيته للدلالة على وحدة الصفة النفسية التي أصبحت وجداناً وطبعاً
تقول (عشقياء) أي وحدة انفعالات العشق .

فعلوة : خصوصيته للدلالة على المستخفي وله عمل افرازي تقول لشجر (caoutchouc)
وغيره من النباتات مما له هذا العمل ومنه نشق (جبنوة) للمغارز تكون في منعطفات
الأشجار تفرز افرازاً ما . وفي الطب يدل على ما في الغدة من المادة تقول (جبنة)
ترجمة لكلمة (thyrosis) أو الثان تطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن
انحلال المادة الأولية .

فعلية : خصوصيته للدلالة على البعثة مطلقاً تقول (حينية) داء له بعثة في الجسم
فعليان : خصوصيته للدلالة على المائل إلى الشيء أي ما يقوم مقام اللاحقة
(ish) في الانكليزية من مثل (greenish) أي مائل إلى الخضرة . ويدل على
الذي يتعلق بالوصف تقول (طيريان) وهكذا . وقد يوضع منه للدلالة على المعنى
الذي يشف عنه الحس تقول (شيريان) أي النحلة في صنابير زجاجية تعيش فيها
النحلة ويرى من خلالها كيف تقوم بوظيفة التعميل .

فَعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الشيء المحشو من معنى الوصف أو في معنى الوصف
تقول (مِلَانٌ) أى خبز محشو بجنز ويصلح أن يوضع اسماً (لخبز فينو)
فَعْوَلٌ : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً أو المرضية فقط بدون تخصيص بشيء
من نبات أو حيوان تقول (إِبْوَطٌ) للداء يصيب الابط و (عِضْوَلٌ) للداء
يصيب العضل .

فِعْوَلٌ : خصوصيته الدلالة على الذى له طبيعة لينة إلا أنه يتصلب أو يفعل
التصلب تقول (قِشْوَرٌ) للقشر اللين يتصلب .

فِعْوَالٌ : خصوصيته الدلالة على التجمع من شتى الأشياء مع وجود الفة بينها
يدخل فى الكيمياء وغيرها تقول (لَوَانٌ) أى لون متجمع من عدة الوان ليس
بينها الفة .

فِعْيَالٌ : خصوصيته الدلالة على التجمع كذلك من شتى الأشياء مع وجود الفة .
تقول (لِيَانٌ) أى لون يجمع من عدة الوان بينها الفة وتقول (طِيَّاسٌ) أى جمال
مع تناسب والفة فى التقاسيم والأعضاء .

فِعْيَلٌ : خصوصيته الدلالة على الألفة النفسية و بعبارة أوضح يدل على التمشيق
بين الأشياء فى النفس . تقول (ظَرِيْفٌ) للألفة بين الظرائف المختلفة عند النفس .
ويدل أيضاً على كل ما له اتصال بالنفس تقول (حِجِينٌ) أى اعوجاج نفسى .

فِعْيَوَلٌ : خصوصيته الدلالة على المركبات التى تأتى بعمل تفاعلي سواء كان آلياً
أو طبيعياً أو عضوياً ولكن يغلب فى الآلي تقول (كِسْيُونٌ) للآلة المركبة من قطع
تحدث تفاعلاً من الوصف الذى هو العدو فى استرسال سريع . مما نضعه ترجمة لكلمة
(autobus) ومن هذا الوزن يوضع لأى (motor) وتقول (بَزْيُونٌ) لمطلق المحتفظ
بالوصف من حرارة أو برودة .

فِعِل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يتعدد فيه نظير الوصف تقول (بهز) للآلة التي لها عدة دفعات عنيفة بالتوالي .

فَعِلَّ : خصوصيته الدلالة على التعمير الحيوي بانفصالات وغير الحيوي بتولدات ذاتية تقول (كَتَبَ) للكتاب الذي مضى عليه زمن واحتفظت به ظروف كأوراق البردي المكتشفة في (تل المارنة) أو تسمى (سِجِلًا) بهذا الملحظ . وفي (العددي) يدل على أكثر من المليون تقول (عَقِدَ) إذا كان يحتوي على أكثر من مليون عقدة .
فَعَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على الصفة البالغة في الشيء تقول (حَرِكَانَ) للبالغ الحركة . وفي العدد يدل على (المليار) فأكثر العدد تقول (عَقِدَان) إذا كان يحتوي على مليار فأقصى العدد .

فَعَلَّى : خصوصيته الدلالة على الانتشار والتقبض نتيجة عمل آلي تقول (الرِسِّي) للآلة تطوي الحبل وتنشره .

فَعَلَمَال : خصوصيته الدلالة على الذي يتفعل بسرعة ويدوم انفعاله طويلاً تقول (سَخِطْخَاط) أى يسخط بأشد ما يكون سرعة .

فِعَل

خصوصيته الدلالة على اقتران المتعدد في الوصف اقتران خليط أو اقتران إزاء تقول (إبز) للشيء يكون على أطراف تتوثب على اقتران .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على التكاثف تقول (منظر ظَهَار) أى ظاهر من خلال كثوفات .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على شدة التكاثف دون الشيء تقول (حِبَار) للحيوان البحري الذي يولد الحبر ويختفي فيه .

فَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الثني والامتداد هنا وهناك تقول (نِهْرَاءَ) للنهر المثني الممتد .

فِعَالَةٌ : خصوصيته الدلالة على العلم أى ما يقوم مقام لاحقة (logy) في الأجنبية تقول (نِبَاتَةٌ) أى علم النبات و (صِحَافَةٌ) أى علم الصحافة .

فَعَلَنَ : خصوصيته الدلالة على المنفعل كثيراً بالباطن وبعبارة أخرى الذي يتسلط عليه آثار الباطن تسلطاً شديداً . ويدخل فيه المنفعل بمناطق اللاشعور تقول (شِعْرَنَ) لمن يتسلط عليه شعور باطني عميق .

فَعَلَنَى : خصوصيته الدلالة على التكيف بصفة أو شكل أو القدرة علي التشكل مطلقاً تقول (صِوْرَنَى) لمن يتصور بكل صورة ارادها .

فَعَلَنَاءَةٌ : خصوصيته الدلالة علي خصوصية (فَعَلَنَ) ولكن بزائدة وهي الدخول من تأثيرات الباطن في سبات شديد تقول (شِعْرَنَاءَةٌ) لمن يسبت تحت شعور ما .

فَعَلَى : خصوصيته الدلالة علي الاتصاف بالشيء علي تفرد وامتياز تقول (الدِّئَنَى) لأشد الأمراض بحيث يتميز من بينها .

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة من الوصف تقول (مِرْنٌ) للشيء ذى الرنين الطويل الصدى والرجع

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على التوجب أى الكون حباً تقول (خِالصٌ) لعظم الاذن الدقيق الذى له عمل دائم من قولهم (خالص) العظم نشط

الزيادة بالهمزة :

أَفْعَلٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل مطلقاً . فاذا وضع اسماً كان الملاحظ فيه مضاعفة الوصف .

أَفْعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل المطلق ويظهر أن هذا الوزن هو إسم التفضيل القديم في العهد الصوتي وقد تطور إلى (أَفْعَلٌ) وتوسعاً تقبل الصيغتين .

ونخص الأول بالترفضيل النسبي والثاني بالترفضيل المطلق . ومن هذا الوجه قد يشابه ما هنا . ثلاثة الموازين السابقة وهي (فَعَل) و (فَعُول) و (فاعول) والفارق بين الطائفتين أن (أفعَل وأفعَال) ملاحظ في خصوصيتهما الأفضلية الاكتمالية . و (فَعَل) واخواته ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية .

إفعل : خصوصيته الدلالة على الندرة المطلقة الممتازة ويدل أيضاً على علام الأشياء المطلوبة تقول (إعلمة) للعلامة التي يستدل بها المهندس الجيولوجي على البترول . ولا يبعد أن يكون هذا الوزن متحلاً عن وزن (إفعيل)

إفعيلي : خصوصيته الدلالة على ما وراء الظواهر أي يدل على الاستخفاء تقول (فلان له إعتيلى) أي تعقل باطني وانجذاب إلى اللاشعور و (فلان عنده إغريفي) أي تعرف وتكهن باطني و (إكليمي) أي تكلم في الباطن مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (فنترولوكستس ^(١)) في الأجنبية (أي المتكلم في الباطن) .

إفعل : خصوصيته الدلالة على مطلق الآلي وأيضاً على الشيء الذي تنجم به المواد أو تفصل . وبعبارة أخرى يدل على مايفعل فعل آلة خفية في غيرها من غير أن يكون آلة . وعليه فيشتق منه لكل التجربات الكيمية والتحليلية . فيقال لعملية تحميد الماء (إمآة) ويظهر أنه متطور عن (إفعال) .

إفعال : خصوصيته الدلالة على الآلي المحكم وعلى التفاعل أو التفاعل الذي يثور وتظهر آثاره فتقول منه للمواد التي إذا وضعت على بعضها حدثت آثاراً شديدة . ويظهر لي أنه محول عن مصدر الرباعي وليتنبه هنا إلى أن التسمية بمصدر الرباعي من (أفعال) سواء في الحس أو المعنى لا يكون إلا بملاحظة معنى (السلب والازالة) ولاجل أن لا يشبهه تخص التاء في غير المصدر لزوماً .

أفعل : خصوصيته الدلالة على التفرق في الدقائق والانتشار المحدود .

أفعل : خصوصيته الدلالة على الامتداد في تقطع أو في ذبذبات وتكسر فيقال

منه للموجات الصوتية القصيرة وما يشبهها كالمدخان المتقطع من مدخنة آلية تقول (أذخُن) . وهو متطور عن وزان (أفْعُول) .

أفْعُول : خصوصيته الدلالة على الامتداد في استواء واستطالة فيوضع منه للموجات الطويلة وما أشبهها .

إفْعُول : خصوصيته الدلالة على ضد (فَعُول) أي يدل على نفي المبالغة والمبالغة في السلب تقول فلان (سَخُوف العيش) أي رقيقه وفلان (إِسْخَوف العيش) .

أفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على الاستغراق أو على السكل تقول جاء الخصم (بالأشْهَدِي) عنده أي بكل شهاداته .

إفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على الانتشار الخفي المصدر تقول تسري في البلد (إِكْلَمِي) أي كلام منتشر غير معروف المصدر .

أفْعَلَّة : خصوصيته الدلالة على التخصيص أو التخصص تقول هذا مكان (أَهْصَرَّ) و(آلة أَهْصَرَّة) أي تخصصت للهرس .

أفَاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعلية المقاومة على استمرار تقول (رجل أَدَاثِر) أي متمول بالمراية .

إفْعَل : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى لسبب باطني تقول (رجل إِنْسَهَم) أي ساهم اللون لعله مرضية . ويظهر بأن هذا الوزان أصله (فَعَل) المصدر زيدت عليه الألف والنون كسابقة .

أفْعَل : خصوصيته الدلالة على المنفعل بشيء والفاعل في شيء آخر وبعبارة أخرى يدل على المكنسب للوصف بحيث يكون مصدرًا له يكسبه للغير . تقول (أَجْنَدَب) للقطعة من المعدن تمنغظ بحيث تنقل الأثر إلى قطع أخرى . ولسريان التجاذب في قطع كثيرة على التسلسل وربما أكثر هذا الوزان في الثلاثي بالتضعيف كثرة مطلقة . والذي أظن فيه أن أصله (فَعَل) زيدت عليه الهمزة لإفادة تعدية الأثر .

أَفْعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على استيلاء المعنى على الشخص استيلاء يأخذ عليه مذهبه وبعبارة أخصر الانطباع بالشيء يقال (رجل أَرْفَنَانٌ) متعلق بالرقص كذلك .

إِفْعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على التعلق العقلي والقلبي والشعوري بالوصف ويدخل فيه الأمراض العقلية بهذا النوع . ويستعمل في الآليات توسعاً . تقول (رجل إغْرِسان) استولت عليه فكرة الغراس استيلاء ملكه .

أَفْعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على التحولات التي تشمل الشيء من أطرافه . وتكون تحولات تغييرية . ويشمل التحولات العنصرية في الكيمياء .

إِفْعَلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على علائم الأشياء غير الطبيعية وعلى الآثار غير الطبيعية مطلقاً تقول (إظْلِمَاءٌ) أي ظلمة ناشئة عن سبب غير طبيعي .

أَفْعَلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على انجماع اللطائف وضغطها فيوضع منه للهواء المضغوط وما أشبهه .

فَاعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الجزء (كالذرة) .

فَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على الأقل جزئية (كالذرة) .

فُعَائِلٌ : خصوصيته الدلالة على التحامل تحت الشيء . وعلى الكل في الأشياء التي لا تقبل مهايها القسمة وإنما تفرض فقط كما في الجوهر الفرد والغازات . . .

الزيادة بالتاء :

تَفْعَالٌ : خصوصيته الدلالة على تجسم المعنى . وعلى الخفي واللطائف والأفكار . لاحظ بدقة قولهم (تَمَّالٌ) أي تمثيل و (تَمَّالٌ) أي صورة شاخصة تقول (تَظْلَالٌ) للظل يتجسم فيصير صورة .

تَفَعَّلَ : خصوصيته في غير ما يكون مصدرًا للدلالة على جمع أجزاء المعنى في نقطة أو بؤرة تقول (تَطَالَال) اسماً لمحل اجتماع أجزاء الظل في آله التصوير . وعلى الاجتماع أيضاً .

تَفَعَّلَ : خصوصيته للدلالة على ما يجدد الوصف المادي كل حين تقول (شَجَرَ يَشْمُرُ) و (فصيلة يَشْمُرُ) للاصناف التي تثمر في العام مرتين أو أكثر ...

تَفَعَّلَ : خصوصيته للدلالة على المنفعل من الوصف لأسباب غير معروفة الكنهة تقول (رجل تَفَزَع) أي يَفَزَعُ من غير أسباب معروفة . ويظهر انه ينظر إلى الفعل المضارع المبني للمجول .

تَفَعَّلَ : خصوصيته للدلالة على المنفعل من الوصف بأسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تَنُورُ) للحمشة التي تضيء في الليل . ويظهر انه ينظر الى (تَفَعَّلَ) ولكن أخذ بالاتباع فقط كما قرر سيديويه في (يَفَعَّلُ) ...

تَفَعَّلَ : خصوصيته للدلالة على مجيء الشيء في غير الأوان عادة تقول (تَحِيلُ) أي حبل في غير الأوان . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفَعَّلَ) ويدل على هذا ان أكثر كلماته تجيء على أوجه مختلفة . فمثلاً (تحلبة) جاء بضم التاء واللام ، وبكسرهما ، وبكسر التاء وفتح اللام ، وبضم التاء وفتح اللام .

تَفَعَّلَ : خصوصيته على مجيء الشيء في غير الأوان مطلقاً . ويظهر انه وزان قبلي ينسب إلى القبائل التي تكسر حروف المضارعة . هؤلاء الذين تقدر انهم متأثرون بالمنطق السرياني الذي هذه إحدى ظاهراته ...

تَفَعَّلَ : خصوصيته للدلالة على كون الشيء بين بين في الوصف تقول (تَتَوَلَّى) أي حادثة بين السحر والحقيقة . وهذه الأوزان متداخلة كما هو ظاهر من كلماتها التي لا تكاد تنضب فما من كلمة إلا وفيها وجه جواز من ضريعتها . خذ (تَفَعَّلَ) التي جاءت كَتَضَبُ و قُنْفُذُ و دِرْهَمُ و جَعْفَرُ و زَبْرَجُ و جُنْدُبُ ...

تَفَعَّلَتْ : خصوصيته للدلالة على الذي يتصف بالوصف عند حدوث الحادث

فقط أي يدل على مصاحبة الوصف للحادث الذي يفعله فقط تقول (تَزَعَمُوتُ) أي لا يرغم إلا عند اليأس .

تَفْعِيلٌ : خصوصيته في غير ما يكون مصدرًا للدلالة على ما يكون أداة للوصف تقول (تلوين) لا قلام التلوين

تَفْعِيلَةٌ : خصوصيته للدلالة على الاجادة في الوصف تقول (آلة تحديد) أي تحكّم التحديد . وكذلك وزان (تَفْعَالَةٌ) و (تَفَاعِلَةٌ) و (تَفَاعِلَةٌ) و (تَفَعَّلٌ) وان كان لها خصوصيات أحيانًا فأنها مقاربة

تَفَعَّلَةٌ : خصوصيته للدلالة على الآفة تحدث من الوصف تقول (تَأَبَّرَةٌ) اسمًا لربو^(١) المحددين الذي ينشأ من غبار الابر . وكذلك (تَفَعَّلَةٌ)

تَفَعُّوْلٌ : خصوصيته للدلالة على لين الوصف تقول (شجرٌ تَحْشُوبٌ) أي لين الخشب

تَفَعَّلَةٌ : خصوصيته للدلالة على الذي تهيوه الظروف طبيعية أو عادية تقول (تصوّرة) للصورة التي تحدثها الطبيعة . كقطعة الحجارة التي تمثل شيخًا عجوزًا بلحيته وهي من عمل الأمطار وتأثير هطولها

تَفَعُّوْلٌ : خصوصيته للدلالة على الاداة غير المباشرة في الوصف تقول (تَنْسُوخٌ) للكتابة بورق الكربون . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفَعُّوْلٌ)

تَفَعَّلٌ : خصوصيته للدلالة على (البهلوانية) تقول (تَحْطِرٌ) أي لعبة خطيرة بهلوانية

تَفَعَّلٌ : خصوصيته للدلالة على الأشياء التي تأتي في المناسبات أو معها تقول (تَرْبَعٌ) للنبات الذي يأتي مع الربيع

تَفَعَّلٌ : خصوصيته في غير ما يكون مصدرًا للدلالة على أظهر خواص عمل

(١) راجع دائرة البستاني ج (١) كلمة (إبرة)

الشيء تقول (تَمْشُط) أي آلة تصنع الامشاط وسواها ولكنها اكثر في الامشاط ..

الزيادة بالميم :

مُفَاعِل : خصوصيته الدلالة على المتصف بالمفاعلة بين منفعلين تقول (مُدَاوِر)
الذي يدور شيئاً آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على الموازين مطلقاً تقول (مَحْرَكَان) لميزان
الحركة و (مَحْتَمَكَان) لميزان المشي وهو آلة على شكل الساعة ترقم الخطوات عند
المشي واذا كان وصفاً دل على المبالغة في دقة

مَفْعَلَاء : خصوصيته الدلالة على الذي يوجد في المكان ولا يكاد يميز عنه
تقول (مَحْنَزَاء) للذي يوجد في مكان العفن والنتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح
أن يسمى به ميكروب العفونة

مَفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على المضاعفة والتضاعف تقول (مَوْزَقِي) للورق
المزوي . وعلى الورق يجعل لفائف . وهو يرجع إلى (مَفْعَل) الذي له عين دلالة
تقول (مَوْزَقِي) بالمعنى نفسه . وهذا يرجع إلى (مَفْعَل)

مَفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يعمل عملاً حرّاً كياً (١) وهو يرجع
إلى (مَفْعَل) وهذا إلى (مَفْعَل) ولها جميعاً خصوصية واحدة تقول (مَفْتَح)
و (مَفْتَح) و (مَفْتَحِي) للمفتاح الحرّ الكي

مَفْعِيل : خصوصيته الدلالة على المتأثر بتأثيرات خفية تضاف إلى عالم الغيب

(١) هذه الكلمة من ضمننا الجديد ترجمة للمصطلح الاجنبي (automatic) وتكاد تكون
ترجمة وافية وذلك لأن وزن (مَفْعَال) يدل على الجزء الاول منها والمادة تدل على الجزء
الثاني

ولونسيبياً وبعبارة أخرى انفعال عالم الشهادة بعالم الغيب مطلقاً ومن ثم يصحح أن يصاغ منه للموازين أيضاً. كميزان الحرارة والمطر وهكذا. وضروري أن يكون مع ذلك يدل على المعنى بدقة. ويظهر انه الصوتي الذي يرجع اليه (مَفْعَل) وهو اتباع لوزان (مَفْعَل)....

مَفْعُول : ظاهر الخصوصية .

مَفْعَل : خصوصيته الدلالة على الآلة . وكذلك (مِفْعَال) وكذلك (مِفْعَلَة)

مَفْعِل : خصوصيته الدلالة على الزمان والمكان ...

مُفْعَل : خصوصيته الدلالة على الانطراف في الشيء تقول (مُنْفَس) أي

المنظرف في النفس من أسيائها ...

مُفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يكون آلة للشيء ومكاناً له تقول (مُفْعَل) لآلة تصنع المروط وتكون وعاء لها و (مُفْعَل) للآلة التي تنقي القمح وتكون وعاء له.

مَفْعَل : خصوصيته الدلالة على مثل اللاحقة الأجنبية (scope) تقول (مَنْظُر)

بمعنى (microscope) ...

مَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يجمع كل اسباب الوصف تقول

(مَنْصُرَان) للموضع توجد فيه كل أسباب النصر. وأيضاً يدل على الموضع يستكن

فيه ويطمئن اليه تقول (مَقْمُرَان) للمحل الذي يستطاب الجلوس عليه في ضوء

القمر. و (مَشْمُسَان) لحمام الشمس. ويدل أيضاً على مضاعفة خصوصية (مَفْعَل)

تقول (مَنْظُرَان) للمجهر المضاعف .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يعمل عملاً ذاتياً. وأيضاً على التمكن من

الشيء تمكناً لا يفارقه. ويدل على طريق الشيء وطريقته. تقول (مِحْلَب) للوعاء

الذي يحلب به وله عمل آلي كمثل (the surge milker) ...

مُفْعُول : خصوصيته الدلالة على المفعول في الباطن تقول (مُكْتُوب) للمكتوب في الذهن (وَمُقْرُوء) للمقروء بالملاحظة الذهنية . . .

فُعَامِلٌ (١) : خصوصيته الدلالة على العروض والمألوق تقول (مُرَامِض) للمرض يصيب الشخص ويلتق بحيث لا يفارق و (عُلَامِق) للحيوانات ذات المألوق . وكذلك (فِعْمَال) (٢) و (فِعْمَائِل) (٣) .

زيادة النون :

فِنَعَال : خصوصيته الدلالة على كون كل ناحية من الشكل موصوفة بصفة ما منه الاشتقاق تقول (مِنَعَاد) أي حيوان يهضم بكل جزء من أجزاء جسمه أي كل جزء فيه معدة مستقلة كالأخطبوط فيقال (الفصيلة المنَعَادِيَّة) ويستعمل مجازاً في الشمره وهو تجوز مستملح . . .

فِنَعَال : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء استيلاءً شديداً ثم لا يصح عنه إلا بعد أمد طويل . تقول (خِينَاف) أي يستولي عليه الخوف ولا يزول إلا بعد مدة طويلة .

فِنَاعِل : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف كالسابق ولكن يزول بسرعة جداً تقول (خِنَاف) . . أو الأول وهو (فِنَعَال) يدل على تركب الشعورات من نوع واحد كالخوف الشديد . فانه في الواقع عدة شعورات خوفية اجتمعت . والثاني وهو (فِنَاعِل) يدل على الشعور البسيط أو الشعور الواحد

فِنَعَلِي : خصوصيته الدلالة على الانتقال بالحس إلى المعنى تقول (عنده فَرَنْصَى) أو (فَرَنْصَاة) أي تمزق وتقطع روحي أو عقلي . . .

فِنَعْلَاء : خصوصيته الدلالة على المائية أي الاتصال بالماء أو الانقلاب إليه أو

الذي فيه مائة تقول (الْفُنْصُلَاءُ) للحاجز يقام في المياه وكذلك خصوصية (فُنْعَلُ) .

فُنْعَلَاءُ : خصوصيته الدلالة على الغاز أي الاحتواء عليه أو الانقلاب اليه تقول (دُنْفَنَاءُ) للغاز المدفون . وكذلك خصوصية (فُنْعَلُ) تقول (دُنْفَنُ) ...

فُنْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الماضي مطلقاً و (فُنْعَلُ) يدل على الماضي الغامض ...

فِعْنَالُ : خصوصيته الدلالة على الشيء يقابله مثله فقط تقول (غِرِنْسَاسُ) أي غراس في مقابلها مثلها . وقد يدل على الذي يعطي كأنه مثل ذي الوصف ...

فَعْنَلُوةُ : خصوصيته الدلالة على ما يكون اداة آلية للمعنى تقول (قَمْسُوةُ) لآلة الغوص في الأعماق ...

فَعْنَعَلُ : خصوصيته الدلالة على الاتساع والتراكم بحيث يأخذ المسارب تقول (عَكْنَعَكْرُ) للذي يكر من كل الجهات على اتساع وتراكم تقول (سِيلُ عَكْنَعَكْرُ) ...

فَعْنَعَلُ : خصوصيته الدلالة على الضخامة في غير توازن ولا ضبط تقول (فَلَنْجَجُ) أي عظيم التقسيم في غير ضبط ...

فُعْنَلُ : خصوصيته الدلالة على ما له باطن على خلاف الوصف تقول (عُقْنَدُ) للمشدود الذي له باطن متحلل كشجر الاراك ...

فَعْنَلَةُ : خصوصيته الدلالة على التصنيف والتوزيع جماعات ويقال بدون تاء تقول (حَرْنَبَةُ) و (حَرْنَبُ) لتصنيف الحرب ولنظام التهيئة ...

فَعْنَعِيلُ : خصوصيته الدلالة على تضاعف العمل مع انفعال باطني تقول (خَرْنَقِيْقُ) لكل ما يعمل خرقاً مضاعفاً وهو مجوف ...

فُنْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الطبقات من الوصف تقول (قُنْتَرُ) للرجل الذي يخله في طبقات مجازاً . وعلى الأزمة الخائفة التي تكون كأزمات متداخلة .

فُنْعَلُ : خصوصيته كخصوصية (فُنْعَل) إلا أنه يفيد مع ذلك وجود فراغ بين الطبقات تقول (فُنْدُر) للقدر الذي في طبقات بينها فراغات مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (diplôme) التي تراد في الاصطلاح الكيميائي للوعاء على شكل مغرأة النجار وللغرض نفسه ...

فِنْعَلُ : خصوصيته الدلالة على ما يكون علامة من الوصف بصورة وييلة أو يكون بسبب الوصف تقول (فِنُور) بمعنى الذي يسبب التفور العظيم ...

فَنَعَلُ : خصوصيته الدلالة على الذي يثبت على وصف واحد . تقول (فَنُور) للدائم الفوران وعليه فيوضع للنبوع الحارة التي ترتفع إلى بعد .

فَنَعْلُو : خصوصيته الدلالة على ما يفعل الوصف على صورة بعثرة تقول (رِنَجَزُو) أي سيارة تسير في التواء .

الزيادة بالهاء :

هِنَعُولَةٌ : (١) خصوصيته الدلالة على اشاعة الوصف بحيث يناسب إلى كل جزء على الافراد تقول (هِرْمُول) للارض التي تشيع الرمال في كل انحاءها . وهذا الوزن ليس متفقاً عليه بل أنبته الخليل اعتماداً على مثل (هِرْمُولَةٌ) .

الزيادة بالواو :

فُعُوال : خصوصيته الدلالة على العلامة للشيء أو في الشيء ويدخل فيه الدلالة على الأصوات التي تحدث عند انتهاء المحروقات أو التي تكون لخلل في الآلات تقول (عَجُوار) أي فيه دلائل على حدث مستقبل و (رُوَّان) للأصوات المنبعثة عند فراغ المحروقات ...

فُوَعَال : خصوصيته الدلالة على الالتفات على النفس أو الذات . الناشئة عن القوة كما في الأعاصير والتيارات . وعلى كل ما يعطي هذه الالتفات ولو شكلاً

(١) ليس من سيديويه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١٥ .

والذي يتحرك تحركاً اسطوانياً . ولكن يغلب استعماله في القوى كالسكرباء . تقول (دَهْوَان) للدهان الذي يعطي التفافات بلمعانه ومجازاً للرجل الذي كأنه في التفافات من نفاقه ...

فَوَعَل : خصوصيته الدلالة على التعمل في الشيء . تقول (زَوَفَن) للرقص المتكلف ويدل أيضاً على الشيء يقوم بوظيفة آلية وان لم يكن آلياً تقول (هَوَلَب) للداء الذي يمسح الشعر مسحاً تاماً ...

فَوَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يحيل من صفات الى صفات أخرى تقول (عَوَظْمَاءَ) للآلة التي تحيل العظم إلى غراء ...

فَعَوَل : خصوصيته الدلالة على المتعلق بالنور وأيضاً على النور نفسه و (فَعَوَال) للأكثر تعلقاً أو اثاراً ...

فَوَعْلَان : خصوصيته الدلالة على الذي ينفعل بتعمل يحدثه فيه الغير . تقول (بَوَهْزَان) للمضخة التي تدفع الماء أو الغاز إلى مصب أرفع من المنبع ...

فَوَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على الانفراج في تداخل تقول (كَوَبَلٌ) للريش المثني نصف تثن في الحمام والبط ...

فِعْوَل : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً ويكثر في الآفة المرضية بدون تخصيص في النبات أو الحيوان تقول (عِضْوَل) الداء يصيب العضل ...

فَعَوَلٌ : خصوصيته الدلالة على عِظَم الدقيق تقول (كَمَوَس) للشخص ذي السَّلَامِي العظيمة ...

فُعُول : خصوصيته الدلالة على المتكرر تكثراً غير منفصل . أو الموحد من أشياء كثيرة . ويقال منه لدوائر الاسلاك وفصفاة الصناديق وهكذا تقول (رُمُول) للرمل الذي يعبأ تعبئة على هذا النسق ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على ثبوت الوصف ولكن في الliyونات واللائائف تقول (خَشَوَشَب) أي خشب النباتات اللينة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الموار من كل وصف تقول (حَزَوَّن) للرجل الذي يعتر به الحزن على صورة منكرة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته كالأول ولكن يغلب في الحس تقول (حِسَوَّن) للذي يظهر وكان الحسن يمور فيه موراً ...

فِعْوَلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي تأتي أفعاله على مقتضى الوصف تقول (شَمُورٌ) للمبضع الذي يختص بالأعضاء الدقيقة كالجفون ...

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي تقول (شُبُورٌ) للمقياس المنبني على اعتبار الشبر ...

الزيادة بالياء :

يَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الذي يتصل فيه الوصف اتصالاً يظهر في كل فترة انه ابتداءً .

يَفْعَلِيٌّ : خصوصيته الدلالة على مثل زائدة (de, de, des) في الفرنسية وهي تفيد انعدام الحالة أو العمل وتدل على الأصل وابتداء العمل وكذلك وزان (يَفْعَلٌ) ...

يَفْعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في امتداد واستطالة تقول (يَضُوءٌ) لآلة الضوء التي ينبعث منها النور كذلك ...

يُفْعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في الطبيعي أو الصناعي يشبه الطبيعي تقول (يُنْقَوْفٌ) للفرخ الذي ينقف في المصنع ...

يَفْعِيلُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن مع الظهور والغيوبة على التعاقب تقول (يَنْوِيرُ) للنور الذي يفعل هذا الفعل ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على الشيء تكون فيه وحدة الوصف فيشتق منه المثل الأعلى من كل شيء كالقوة والحركة والحسن تقول رجل (حَيْسَانُ) فيه وحدة حسن الرجولة ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على مثل سابقة (bis) في مثل biscuit التي تفيد معنى كون الشيء مفعولاً مرتين أو تفيد معنى (double) كذلك . تقول (مِيلَالُ) من مادة (مل) بمعنى وضع في الرماد الحار مرتين ترجمة لكلمة (بسكويت) وبذلك تكون ترجمة تامة للكلمة الأجنبية ...

فَيَعَالِي : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالماء ...

فَيَعْمَلُ : خصوصيته الدلالة على الظامة أو ما يتصل بها وكذلك (فَعْمَالُ) ...

فَيَعْمَلَانُ : خصوصيته الدلالة على اتصاف الشيء بصفة تكون لغيره أو تندر فيه فيقال لشجرة من الفصيلة تمتاز بشيء غريب عنها تقول (يَدَيْشُقَانُ) لكل ما ليس من شأنه أن يدبشق .

فَيَعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالروح تقول (وَيَلْبَانُ) للشخص لا يكاد يفعل الشيء حتى يتركه لتصورات فكرية ...

فَيَمِيلِي : خصوصيته الدلالة على النقل إلى المصدر أو إلى الصفة أي تقوم مقام اللاحقة (ness) في التصريف ...

فُيَعِيلِي : خصوصيته الدلالة على بذل الجهد تقول (دُرِّيَزِي) ...

فَيَعْلُ : خصوصيته الدلالة على البالغ مبلغ النضوج تقول (طَيَعْمُ) للناضج الطعم

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على المتخصص بالشيء تخصصاً بالغاً يقال (طَبَّعُ)
لواقف نفسه على الطبيعيات ...

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على التنظُّر المستقبلي تقول (خَيْفَ) للذي يخشى
المستقبل ويأخذ أعظم الاهبة له ...

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الاحتكام بالوصف احتكاماً يجعله كمسخر له
تقول (نِيْمُوسَ) للذي يتصلب في اتباع القانون وتطبيقه . وتقول (آلَةُ ظَيْلُومَ)
خصصت للظلام ..

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على طلب العلو مطلقاً . تقول (ضِيَجَمَ) للعوج في
الفم يأخذ في الارتفاع .

يَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الثبوت عند حدود الوصف فقط ...

فَعَيْلٌ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوة مولدة تقول (خَلِيدٌ) أي
خالد بقوة تولد فيه الخلود ...

فَعَمِيلٌ : خصوصيته الدلالة على التملؤ من الوصف مطلقاً ولو غير حقيق ...

فَعَمَيْلٌ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوى مولدة عديدة ...

فَعَمِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ذى الهجوم والامتدادات القصيرة تقول
(كُبَيْينَ) للعادي في استرسال قصير الامد كالمربات الحديدية الصغرى التي توضع
في طريق الحدائق أو في الجمارك أو في المناجم ...

فَعَمِيلٌ : خصوصيته الدلالة على المتصف بالطبع تقول (حَجَّيْنِ) للذي عوجه
طبيعي ...

فَعَمِيلٌ . خصوصيته الدلالة على المتصف بالتمكن تقول (حَجَّيْنِ) للذي عوجه
عن آفة متمكنة ...

فُعَيْلٌ : خصوصيته الدلالة على النباتات الحيوانية أو الحيوانات النباتية . وكل ما هو حلقة اتصال تقوم لتمثيل فترة انقلابية ويدخل فيها أيضاً الدلالة على فترات الانقلاب في العناصر تقول (سُمَيْك) أي السمك في الحالة الانقلابية . . .

فُعَيْلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يمك الشيء تقول (مُسَيْك) للآلة التي تمسك ابرة الخياطة في (الماشين) المسماة (afikeu) . . .

فَعْفَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على الطبع اللازم على اضطراب من الوصف وبعبارة أخرى على الطبع المضطرب من الوصف . . .
وهنا تأتي على أوزان أخذنا فيها بالتحكيم وان كان لها وجه اعتباري على غموض .
خصصناها بالعلوم

أوزان كيميائية

فَعْلِيلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (كومبوزي بينار اوكسجين) .
الذي يعرف بكلمة (اوكسيد) قبل الاسم الممتزج ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التاء المتحركة ويصير الوزان (فَعْلِيلَةٌ) . واما بالتجريد من التاء فيخص للدلالة على القسم من (الاوكسيد) الذي من خاصيته أن يتحد مع الماء . لأجل أن يعطي حامضاً (اسيد) ويسمى في الأجنبيةه بزيادة (ique) على آخر الاسم الذي يتحد مع (الاوكسجين) تقول بدل قولهم (خليك) . (خِيل) . . .

فَعْلِيَّتٌ : خصوصيته في الكيمياء . الدلالة على (كومبوزي بينار ايدروجين)
ولما انه قد يصادف في عداد (الكومبوزي بينار ايدروجين) انه يحوي خواص (الاسيد)
الحقيقي ويميز باسم (ادراسيد)^٢ ويسمونها في الأجنبيةه بزيادة (اسيد) على الاسم
المتحد مع الاتهاء (hydrique) مثال ذلك (اسيد كلوريدريك) نصتلع بزيادة التاء
لهذه الفارقة فتكون (فَعْلِيَّتَةٌ) . . .

فَمَفْعِيلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الكومبوزي بينار ني اوكسجين ني ايدروجين) أي التي لا هي ايدروجين ولا هي اوكسجين . وتميز في الاصطلاح الكييمي بالانتهاء (ure) متبوعاً باسم الجسم الآخر مثل (سلفير دي كاربون) ...

فَعِيلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (اسيد) ...

فُعَيْلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الباز) الذي يحصل من امتزاج (اوكسيد) معدني مع الماء ...

فُعِيلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الاملاح الاوكسجينية) ...

فَنَعْمِيلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الالياج) أي للمعادن المخلوطة ...

فُعْمَلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (اماجم) أي المعادن المخلوطة

بالزئبق ...

فَمَعَلٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على اللاحقة (eux) التي تضاف على الاجسام التي لها (فلانس) متغير . وتقدر أن تؤلف مع جسم آخر اثنين من المتزجات الثنائية ...

فَعْلَانٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (موتوفلانس) أي ما كانت نسبة الايدروجين في شبه المعادن واحد ١ .

فَعْلَانٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (ديفلان) أي ما كانت نسبة الايدروجين اثنين ٢ .

فَعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على (تيريفلان) أي بنسبة ٣ .

فَعْلَانٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (تترافلان) أي بنسبة ٤ .

فَعْمِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (بروتو) في الاجنبية ...

- فَعَيْلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (سسكي) ...
فَعَمَلِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (تري) ...
فَعِيَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الامتزاج ...
فَعِيَعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الاتحاد ...
فُعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التركيب ...
فَعَّالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التأليف ...

أوزان عديدة

- فُؤَلٌ : خصوصيته الدلالة على الأحادي تقول (عُؤَدٌ) لما فيه عقدة واحدة الى
عشرة ...
فُؤَلٌّ : خصوصيته الدلالة على العشري تقول (عُؤَدٌّ) لما فيه عشر عقد إلى مائة
فُؤَلَّانٌ : خصوصيته الدلالة على المثوي تقول (عُؤَدَّانٌ) لما فيه مائة عقدة الى
الف ...
فَعَلٌ : خصوصيته الدلالة على الألفي تقول (عَعَدٌ) لما فيه الف عقدة إلى المائة
الف ...
فَعَلٌّ : خصوصيته الدلالة على ما فوق المائة الف تقول (عَعَدٌّ) لما فيه مائة الف
عقدة الى الف الف ...
فَعَلَّانٌ : خصوصيته الدلالة على الف الألف فما فوق تقول (عَعَدَّانٌ) لما فيه
مليون عقدة الى المليار ...

فَعِلَّ : خصوصيته الدلالة على المليار تقول (عَقِدَّ) لما فيه مليار عقدة ...

فَعِلَّانَ : خصوصيته الدلالة على أقصى العدد تقول (عَقِدَّانَ) لما فيه أكثر من المليار إلى أقصى العدد ...

فُعِلَّ : خصوصيته الدلالة على الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) للواحد من العشرة و (سُبِعَ) للواحد من السبعة .

فُعِلَّ : خصوصيته الدلالة على نصف الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) لنصف العُشْر أي الواحد من العشرة و (سُبِعَ) لنصف السُبُع أي الواحد من السبعة .

مِفْعَال : خصوصيته الدلالة على النصف تقول (مِشْهَار) أي نصف شهر يقال (مجلَّة مشهارية) ...

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على الربع تقول (مِشْهَر) أي ربع شهر يقال (مجلَّة مِشْهَرِيَّة) للمجلَّة الاسبوعية ...

في الحيوان والنبات

فَعَّال : خصوصيته الدلالة على سائس الحيوان أو المتخصص به وكذلك في النبات تقول (أَسَاد) و (نَمَّار) وهكذا وفي النبات (زَهَّار) و (وَرَادَّ) أخذاً من قول العرب فيل وفيَّال وغيره ...

فَعَلَّ : خصوصيته في الحيوان الدلالة على المشي بذات العضو الذي منه الاسم تقول (رَجَل) أي مشي على الرجل و (رَكَب) أي مشي على الركبة تقول (مشي الرِّكَب) أخذاً من قول العرب (مشي الكُوع) أي مشي على الكُوع ...

هذه طائفة من أوزان الثلاثي في العربية . وليست هي كل ما في اللغة . وإنما أثبتُ منها ما رأيت . واقتصرتُ عليه نظراً لشيوعه وكثرتِه النسبية في مواضع

العرب . ولم أعرض إلى شيء من زنات الرباعي الأصلية . لأن كثرة كما ترى يمد بها الثلاثي لا تدع حاجة إلى مزيد .

ونحن أولاء نرى كيف يكون غنى الاشتقاق العربي . وكيف تعود عربية اليوم . على مثل قوتها يوم كانت للعرب القدامى . .

ونرى من خلال هذه الكثرة السر الصحيح . لسعة العربية في قديم ما كانت وليس إلى شيء آخر أبداً . كما نتحقق من الدقة التامة في وضع كل شيء بحسبه واعتباره وربما كان هذا لا يمتثل نزاعاً وتحت نظرنا . مجموعة كاملة من دورات مختلفة للجذر المادي الواحد . سواء في التقلاب أو في الزيادات التصريفية حتى ينتظم في تطورات ثابتة النسب قوية الحياة . .

وكما ذكرت في غير ما مناسبة ان ما أقرره من خصوصيات هو جهد يحقق امكان الأخذ وسلامة التطبيق . وان كان عمق الدرس ونفوذ البصيرة والأناة عليهما يديني الحقيقية أو يديني اليها وهي غاية التشدان . . .

المجمع ضرورة !

أما ان المجمع ضرورة فهذا ما لا شك فيه . واما انه حاجة من حاجات اللغة والأدب فكذلك لا يتجدد من ينازع عليه . فهو من اللغة بمنزلة السمع والبصر . يرى بدقة بحيث لا يختلط عليه البصر . ويسمع بدقة بحيث لا يدوي عليه السمع . .

ولتهذيب العربية المنشود . تكون الحاجة شديدة إلى مؤسسة تعمل على هذا الطراز خصوصاً والعربية في مرحلة تطور خالصة . لا بد أن تستقر في النهاية على شكل من أشكاله . أولى أن يأتي موزوناً لا يدعنا نفرغ إلى ثقافتين عامية ولفوية . نحتاج في كليهما إلى فضلة مجهود ربما كان فيما دون الثانية أقل اعتيافاً وأيسر أخذاً . .

وحيث كان المجمع عند ما نظن من خطره وأهميته . وان غايته أن يتقدم باللغة على سنة الارتقاء . لأن يرجع باللغة إلى الوراء على سنة التخلف . واذا كان الشأن تطور كل شيء على نسق ينزع به إلى الاصلاح . كان حتماً أن يعمل المجمع على غير

نظامه الذي أخذ نفسه به . وطبع وضعه على غراره . فما المجاز ، ولا التضمنين ، ولا التعرید ، ولا شيء وراءها من النقل والاصطلاح بمن قتيلاً فيما حمل وفيما عهد اليه من أمر اللغة .

وأنا هنا لا أعني مجعاً بعينه . ولا أشخص بنظري إلى مجمع واحد . بل أعني كل المجمع التي انشئت من مثل نادي دار العلوم القديم ، ومجمع القاهرة ، ومجمع دمشق ، ومجمع بيروت ، والمجمع الملكي . أو التي يراد انشاؤها . فانه لن يتأني لها الانتاج الموفور . وهي قائمة على دراسات سيمر بك ما فيها من نقص كبير وخطأ محض وملاحظ واهمة . . .

وأنا لا أدري أي معقول في محافظة المجمع على (السماع) الذي معناه على المكشوف علي ما تندّر به بعض^(١) أفاضل المغاربة (اسمع ولن تسمع غير ما سمعت بما يكون الجواب المنتظر عليه . إني لن أسمع ما قد سمعت وانتهيت) ونحن وإن كنت ستمجد إننا نقر السماع ولكن بمعنى غير معناه . ووجه على خلاف وجهه .

ومن ثم بدت خطة المجمع ملتوية ضعيفة . ووقتيه أيضاً . لا تداوي الآفة وإن تكن قد تحدر الألم . وهي محافظة في ناحيتين لا يتأني لها السير معهما إلى النهاية .

(١) القواعد وأخذها على علاتها بدون مناقشتها إلا على نحو شكلي صرف ..

(٢) فرض المعنى في مقدار ما ورد من اللفظ . ميزانه وهيئته وبنائه .

هاتان الناحيتان اللتان أفضنا بالكلام عليهما في شتى المناسبات من المقدمة . فلا نعيده مرة أخرى لثلاً ينقلب الحديث شططاً وتجاوزاً ممجوجاً .

وفي الحق لن يستقيم سير المجمع بما يضمن حاجة العربية وتقوم بالذي عهد اليها على أحسن الوجوه . إلا بأن توحّد النظر على إعادة درس العربية مرة أخرى وتصحيح القواعد على مقتضى هذه الدراسة . ولست أعني أن تكون النتائج التي انكشفتنا عنها

(١) هو الامير الجليل المرحوم خالد الجزائري . نافخ الروح الوطني في الجزائر . وكان ضمنى به مجلس قتناولنا اللغة في بعض اطراف الحديث . وبحق كان رحمه الله نادرة نادرة .

هي النتائج المحتومة والمتعمية . فاني انبهت غير ما مرة إلى أن عملي هذا لا يعدو الأضائة التي تعرّف بالسيل والتمدّد الذي يدل على النبع .
على أن الذي يعجب له من أمر المجامع توفرها على معالجة المفردات وحدها وكيف توضع منها وتضع عليها . بينما هناك جهات أخرى من حاج العربية تستدعي معالجة . ووقوفاً طويلاً . وبالأخص حينما نأخذها مع لهجات العرب العصرية التي يقتضى درسها بدقة . وتفهمها ببيان متعقل . والا ان كانت كل غايتها معالجة المفردات وحدها . فما أضالها غاية . وما أغنانا عنها نتيجة .

والدراسات التي يجب أن تفرغ اليها المجامع وتجمع هدفها فيها . عدا الاشتقاق الذي هو هدف رئيسي وغاية أولى . تنحصر في أمور :

(١) تأريخ المفردات وتنويعاتها واستعمالاتها على التاريخ . وهذا يفرض الانتشار الواسع على كل شاعر أو أديب . واحصاء كل ما انفرد به من جديد اقتضى تطويراً في الكلمة باشرابها معني غريباً أو بنقلها بلحظ اعتباري . على معنى أن نفرد كل شاعر أو نائر بفصل نتناول فيه أثره على اللغة من جهة ما انفرد به من تطوير على المفردات أو الاستعمالات .

(٢) تأريخ المؤكّد . والكلام على مولده ومنشئه ومرباه .

(٣) درس العامي والعامية . وكيف تم نشؤهما . والأسباب التي أفضت اليهما . ومقدار اختلاف اللهجات الحية اليوم . وافراد كل واحدة منها بالدرس ودرس الفاظ الاختلاف بينها . وتعيين مصدرها الذي تنظر اليه . . .

(٤) طريقة المرحوم (حفي ناصف^(١)) في درس اللهجات لوقتنا . والاستدلال منها بالمقايسة على توزع القبائل هنا وهناك . وهذا الدرس يفيدنا من وجه آخر فائدة جلي . لم يرم اليها المرحوم . وهو الوقوف على مقدار الاختلاف القبلي القديم بالنسبة إلى العربية العريقة . ومن ثم يمكننا أن نفهم تماماً المقدار الذي كان عليه الاختلاف مما يضع أعلاماً ومقادير ونسباً محدودة للتفاوت فلا يعود لقبائل

(١) راجع رسالة (مميزات لغة العرب) له

أن يقول من وراء التقدير ما شاء في اختلاف اللهجات وأثرها في اختلاف الكلمات .
وطريقة معرفة هذا بسيطة جداً بأخذ المفردات التي تنفق عليها اللهجات العامة
في المناطق العربية . ورقوب مقدار الاختلاف فيها وفي مخارج حروفها . على شرط
أن تعزل اللهجات الشديدة التأثير بالأجنبي . كعربية المغاربة في المغرب الأقصى
والجزائر لظهور البربرية فيها على نحو بارز وعربية أطراف العراق . لا على معنى إهمالها
من هذه الناحية بل على معنى أفرادها بالدرس العميق لنجدد مقدار تأثير اللغة باللغة
بعد تشخيص مقادير الاتصال . وهذا يوضح لنا مبلغ تأثير لغات القبائل القديمة التي
كانت تجاور في أطراف الجزيرة أجناب من أمم شتى .

وبالجملة فهي طريقة أخرى تبين طريقة (ناصف) . إذ الاستدلال عنده طردي
حين يعقد من التشابه الحاصل بين لغة مناطق من العرب الحاضرين وبين لغة قبائل
من قدامى العرب . جامعة واحدة بحيث يقدر معها انتساباً يبني عليه أن هنا حطت
قبيلة كذا الخ .

وأما هذه الطريقة فهي تعقد من التشابه عين تلك الجامعة ولكن لتبني عليها
فهم درجة اختلاف اللهجات الغائبة بالقياس على الحاضرة . بادعاء أن ما تقدرها تيممية
هي كذلك تيممية نفهم عنها لهجة تيم القديمة ومقدار ما به تختلف عن غيرها من
لهجات القبائل . وعلى ضوء هذه الطريقة الجديدة يمكننا أن نميز بعض الشيء ما أغفل
الرواة تمييزه بالنظر إلى اللهجة فقط دون البناء . وهي طريقة تحقيقية نرسلها هنا . وهي
جديرة بالدرس والتفسير حتى تأخذ صبغة من التحقيق بحيث يقال عليها الأسلوب
العلمي التاريخي . وإنما أدمجناها في قرن مع طريقة (ناصف) . لأنهما تصدران عن
اعتبار أولي واحد . وإن كانتا تختلفان في الغاية على مثل التباين . وبالجملة فهو أعمال
لاعتبار واحد على جهة الطرد والعكس .

(٥) العمل على ترقية العامية إلى العربية بشتى الوسائل . فانه من الضرورة
بمكان . وهنا أورد فكاهاة اقتصادية أرسلها المرحوم (حفي ناصف) في محاضرة (١)

(١) راجع مجموعة الخطب التي القيت بنادي دار العلوم القديم سنة ١٩٠٨ ص (٨٨) .

حول موضوع (تسمية المسميات الحديثة) قال (وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة من عمر المتعلم . فإذا تحققت الآمال وصار التعليم إجبارياً . فكم تخسر الأمة كل سنة من أعمار أفرادها . فإذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو (٤٧٠.٠٠٠) وطرحنا منه معدل وفيات الأطفال الى سن العشرة ونفرض أنه النصف (٢٣٥.٠٠٠) يكون عدد الباقيين (٢٣٥.٠٠٠) نضربه في عشرة أعوام وهي ما يخسره كل واحد فتكون النتيجة أن الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في (٢٣٥٠.٠٠٠) سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعة (١٢٧٥.٠٠٠) فدان على فرض أن الفدان يزرعه اثنان . فيا ضيعة الأعمار تمشي سهلاً) .

وهو يقترح شيئاً لا تقترحه لاحراز هذه الكمية الكبرى من السنين . يقترح نحو العامية واحلال العربية محالها في السوق والبيت والمدرسة . مما هو حُلم يصبح الانسان منه على ذكره . ونحن نقترح ترقية العامية على معنى غزوها بالمفردات الفصحى . وفي الواقع ان شيئاً من هذا أتى عَرَضاً بانتشار الصحافة العربية حتى بدت العامية العربية . أفصح من عربية (الجبرتي) الفصحى التي استعمالها لغة تأليف . وخذ أية مجلة تكتب بالعامية الصرفة . فلا ترى كبير فرق بينها وبين الفصحى إلا بالاعراب ومفردات أخرى تكاد تكون معدودة . فإذا أخذت المجامع بالحزم واستعملت مشوقات بنشر أطرف الألفاظ وأترفها . فلا تلبث العامية أن تكون عربية زايها الاعراب فقط . ومن ثم لا يبقى في المحيط العربي . لغة حديث ولغة درس . بل تصبح لغة واحدة تقريباً . أهم الفوارق بينهما كما قلنا أو أكبرها الاعراب . الذي نرى الكثرة المتعملة تتخفف منه في المحاضرات والخطب أحياناً بله الحديث . وليس معناني بهذا اني أرمي إلى الغاء الاعراب من العربية ولكن أقصد انه فارقة ليست بذات خطر . حتى وجدنا من الأولين^(١) من يحدث أن نكتة قد لا تحسن إلا وهي غير معرفة فإذا اعربت بردت وسمجت . وساق لها قول مزيد المدني (وقد أكل طعاماً

(١) هو ابو اسحاق الحصري في جمع الجواهر ص (٨)

فأثقله فقيل له تقيأه يذهب ما بك فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته قبيلاً
لأكلته . فلو اعطاه حقه من الاعراب فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته
قيماً لأكلته لخرج عن حده وأثلج في برده .

وكان من المتقدمين من لا يكاد يتكلم بالاعراب وهو (ابن خالويه) الممدود
في أئمة الادب واللغة كما حدث عنه ابن الانباري والسيوطي .

وبهذا يتحقق ما طالما صبونا اليه من توحيد اللغة ووضع حد للخلاف الطائش .
الذي ثار يوماً غباره داكناً بين اللغويين في . هل الأولى إحلال العامية محل العربية
بكل صلاحياتها ؟ فتقبل وهي لغة علم وأدب . أو الأولى القضاء التام على العامية
حتى في طبقتها الدنيا واهاجتها في القفير ؟ .

(٦) التوفر على دراسة المجموعة الأدبية في أقدم تاريخ الأدب . سواء الشعري
والنثري وتزييف المدخول والمنحول فيها . وإحلال موازين وافية بالعرض من
تمييزه إما بالنص أو بالظاهرة النقدية . وكذلك درس المجموعات الشعرية الأخرى
بحسب تسلسل التاريخ الأدبي عند العرب . ويتوسع هذا الدرس بتناول الجديد من
الأوزان والبحور المستحدثها أدباء كل جيل . ليفرغ في النهاية إلى دراسة مجموعتنا
الشعرية التي هي أغناها بالتجديد والافتنان . وإن كانت لم تستقر بعد على وجه عملي .
بما فيها الأزجال والمواويل والمعنى والقرآد . والحق أنها جديرة بالدرس فهي غنية من
الناحية الأدبية . خصبة أشد الخصوبة . ولا بأس من أن أورد (موالاً) على
البغدادي (لقوال)^(١) بيروتي . يذكر فيه بمضض وحرقة خيانة الجيرة وذوي القربى .

« لَرَكَبَ مِنَ الْبَحْرِ لُجًّا وَاسْرَجَهَا بَعْدَهُ »

« وَلَحِقَ بِعَاذٍ وَتَمَوَّدَ الْمُوحِشَاتِ بَعْدَهُ »

« وَهَجَزُ رُبُوعِي وَهَلِي الْفَيْنِ عَامٌ وَبَعْدَهُ »

« عَنْ جِيزَةٍ قَطَّ مَا لَهَا صُرُوفٌ اغْدِلِ »

الذي هو بحق أربع ما قيل في معناه المقصود . وهو في تصوير الرجوع إلى الماضي . والعودة إلى ضمير التاريخ السحيق في أبدية الغابر أفنن من (شوقي) في قوله (١) .

« وَطَوَى الْقُرُونِ الْقَهْقَرَى حَتَّى آتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ »

على دهشة ما طالع به (شوقي) . ووجهه ان (القوال) يتمنى على الدهر لو يركب من البحر لجة مسرجة ويلحق عليها الماضي مع وجهه إلى أعمق المغاور . حيث تقطن قبائل عاد وثمود في موحشات البعد السحيق . ومظلمات الأبدية النائية : هذا التصوير الذي بلغ فيه غاية الافتنان بالتعبير (بالحق وموحشات) . ثم يزيد الصورة خيلًا بقوله (وأهجر ربوعي وأهلي الفنين عام وبمهده) تأمل بدقة المهاجرة بعيداً عن الأهل والربوع في أنفاق الماضي . حيث يكون حاجز الزمن صفيقاً بمقدار التي عام . ثم قول (شوقي) على براعته المتمثلة في الاسناد إلى المكتشف بعبارته (طي القرون) لا نجد فيه شيئاً من الزيادات التي يظرفنا بها (القوال) بوضوح وظهور وقوة . وان كان لا ينكر جُماع القدرة عند (شوقي) في (بين طعامه وشرايه) . وفي الحجاز نوع آخر من هذا الشعر يدعى (المجرور) وهو مليء بأترف الصور الجميلة التي يجيء عرضها في الفاظ تكاد تعدل أحسن الشعر كل الشعر . إلى غير ما هنالك مما دعى إلى إيراد مثل منه . بيان ان عملاً من هذا القبيل لا يكون عادم الثمرة الأدبية من حيث هو كنز مليء بالطرف العبقرية . عدا عن الثمرة الفنية التي تعيننا موضوعياً من حيث هو شكل من الشعر العربي العصري .

(٧) درس الأمثال العربية بما فيها العامية . فانا تقع أحياناً بين تضاعيفها على ما هو أسى من كثير من المثل العربي الفصيح . وكم يخجلني مثل يقال هنا في (مصر) كناية عن طهر الطوية وبراءة الجانب وهو (باطي والنجم) . وفي الحق انه جميل متين التأدية مما يقل مثله في فصيح العربية جامعاً بين وضوح الكناية . وقوة الاسلوب . وبفضل تأمل يسير في الوصل بين الابط والنجم تقع على براعة البيان .

(١) من قصيدة (كارنارفون) ج ١ من الديوان .

(٨) تلخيص الدراسات العظيمة والمتفرقة التي قام بها العلماء الأولون على طيلة عصور الدرس . وتصنيفها بحيث تكون وحدة ويكون من مجموعها تاريخ للفكرة اللغوية على وجه مفصل . ومرتببة على طبقات يتجلى معها تمام تطور الفكرة وكيف تكاملت . . .

(٩) الوقوف بالمرصاد للاستعمالات والمفردات التي تنقل من معناها الأصلي إلى معان جديدة بحيث تفقد العلاقة اللازمة للاعتبار . . .

(١٠) تشجيع الرحلات الأثرية للقيام بمجريات في الجزيرة بحيث يكون للجامع مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم كما بدأ المصري يتم درس تاريخ المصريين القدماء . . .

وبعد فلم يعد من الصعب تناول هذه البحوث بعد أن قام المستشرقون بجزء كبير منها . فنحن نعتمد ما انتهوا اليه فيما يرى صحيحاً ونكل العمل كما ان تحقيق الهجاء الحية يبدو متيسراً بأعضاء الشرف الذين ينتخبهم المجمع من كل قبيل . ثم اذا وضعت قواعد الاشتقاق . على النهج^(١) الذي بسطنا من أمره . وقرر في موازين^(٢) العربية جميعها الشائعة والنادرة . مخصصة بخصوصيات تقوم مقام التركيب في اللغات الأجنبية . وأحكام التعريب^(٣) في قواعد واحدة فلا يعوز الوضع على المسميات الحديثة إلى كبير عناء وعظيم مجهود مما تقوم به لجنة قليلة العدد في فرصة محدودة . . .

المجمع والمصطلحات العلمية !

هذا قصد له مؤيدون وله خصوم . وله أشياع وله مستنكرون . وليس لي الآن أن أورخ له . لأن تاريخه من هم من تخصص وانصرف بالموضوع إلى نقد الحركة الأدبية المعاصرة . وهو طبعي أن لا يكون غرض من تخصص هنا لدرس الأصول

(١) راجع القسم الثالث من المقدمة

(٢) راجع فصل (داء العربية ودواؤها) السابق ص (٥٣)

(٣) في فصل (التعريب) من القسم الثالث من المقدمة .

الاشتقاقية والقاعدية . لولا أن الموضوع في صميمه يعني شيئاً آخر له مساس ببلغ بما نأخذ به . وهذا بدون ريب يدعونا إلى إبداء الرأي فيه وخصوصاً حين بدا على غموض شديد في محاوره الطرفين . أي لم يتخذ الطرفان هدفاً بعينه في التحاور . ولذلك جاءت النتيجة على نوع من المفارقات . وأرى ضرورياً من أجل تحديد الموضوع . أن أتكلم عن غرض انبعاث حركة المجامع . وفي غير إفاضة أقول بأن القصد الأسمى منها كان العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية . التي تجري مجرى الوسائط في تادية الغرض العلمي . وقد تشكل هذا القصد القومي في محاوره الطرفين بشكل علمي نقلها إلى غير سبيلها فكان قياس على المجامع الأوروبية . وهذا ما كان يجب أن يتحاشى لأنه خطأ من حيث النظر الموضوعي وسيمر بك وجه خطئه . . .

وبعد فاذا علمنا أن القصد القومي قبل كل شيء كما هو الشأن في حماية اللغات عامة . كان ضرورياً أن نترك للواضع للعربي حريته ليضع كل شيء ما دامت اللغة القومية بمعزل عن اللغة العلمية لا تأخذ عليها سبيلها . . .

ولأجل أن يكون ما أعنيه شديد الوضوح . أنساق مع الكلام في وجه آخر . فأقرر بأن منطق مناصري المجامع يقرر غايته في غير مساس ولا مزاحمة للغة العلمية (التي يريدونها تسميتها عالمية) على معنى أنهم يريدون أن يعدوا من العربية لغة شاملة لكل ما يظلم منها غير متخلفة في استعدادها عن أي مضمار من مضامير الحياة . صالحة لأن تبتلع كل شيء على أن تمثله تمثيلاً يعود بتكاثف الخلايا الحية فيها . مما يحفظ وجودها ويجهلها شاعرة بكل ما في الاجتماع على أدق كونه . لا أن يكتفي منها بتناول توافه الحياة اليومية على وجه لا تتخلف عنه البربرية نفسها . وكذلك يريدونها لغة تحبب اليها أبناءها والناطقين بها بسرف ، لغة يقعون منها على كل ما يطلبون في غير إرهاق ولا عنق وفي غير فقر ولا معجزة . ولا مناص لنا عن هذا القصد ما دامت غايتنا أن نعمم الثقافات وترتفع بالمستوى العام . بازاء ما يتطلب الاجتماع اليوم . ومن الخطل جداً أن تبقى المصطلحات العلمية (ما دامت الغاية قومية) مع ذلك في إهابها الأجنبي المرعب يدب حياً جباراً في جسم العربية . الذي هو ضرب من استعباد اللغة

ومن ثم ندرك ضرورة تناول العربية لكل الأشياء ما دمنا نريدها لغة لنا . وغنى العربية على هذا الوجه لا يعني القضاء على اللغة العلمية بين الاختصاصيين ضرورة ان التكميل اللغوي شيء . والاتفاق بين رجال الاختصاص على متواضع ما . شيء آخر . فاللغة للأمة جميعاً . والاصطلاح لذوي اعتباره . فدعوتنا نحن محصورة في أن تستكمل اللغة كل ما يدعوها للبقاء وليس للبقاء . فقط بل للبقاء السري أيضاً . وأن تكون على استطاعة لتناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بجمته تخدم الأدب والعلم معاً والفن والصناعة سواء .

وأما إذا تنكبنا هذا الطريق إلى منطق الجماعة . فعننا اننا لا نستطيع يوماً من الأيام الوصول إلى أسلوب ثقافي صحيح وخالص من العربية . ضرورة عدم وجود كلمات تؤلف الاسلوب . لذلك كان من التفرير العظيم أن ندفع بالعرب في مثل هذا المضيق الذي يضطر كل منقف على أية ثقافة كانت . أن يستخدم لغة أخرى في سبيل تكوينه .

وهذا هو السبب الذي أهاب بجماعه اللغة . منذ أن كانوا يعملون بدافع أنفسهم إلى أن انتظموا في مؤسسة رسمية تعمل تحت اشراف دوائر نظامية .

فكان قصدهم الأول إعداد العربية كلغة قومية وافية . وما عليهم بعد ذلك إذا كانت جماعة الاختصاص تنفق عالمياً على الفاظ بعينها تكون برسم العلم : وهذا شيء نظيره في كل اللغات الحية . خذ معجماً (كوبرستر أو لاروس) تقع على ما يجاوز العدد من الكلمات النباتية وسواها . التي يذكر مصطلحها العلمي ثم يردفه بالإنجليزية أو فرنسية المدلول البحثية . مما نقلب منه بالذي نريد تقريره من أن استيفاء اللغة من حيث هي لكامل التأديت شيء آخر غير الاصطلاح . وهذا ما ينبغي اعتباره وفاء بحق العلم واللغة . ولا يعتل بضخامة البرنامج اللغوي الذي يكلف المتخصص بحفظه . لأن معنى التخصص الاتساع في الفرع موضوعاً ولغة . على انه كشيء منزع من صميم الاختصاص فلا يكون مرهقاً كما يتوهم . والخلاصة إننا نشايح الفئة التي ترمي إلى وضع كل شيء على أن يكون وضعاً خالياً من الشوائب . صحيح التحديد والشمول .

اقتراح ومناسبة

تسعى حكومات الشرق العربي مجتهد كما يظهر . إلى غاية توحيد الثقافة وتقریب الأواصر المعنوية والروحية . حتى يكون منها في خاتم الأمر وحدة تنتظم الأهواء والميول . وتهتمضم الفوارق في تجاهل مطلق . وهذا بلا ريب لا يتم إلا بعمل مشترك تغذيه حكومات هذا الشرق العربي الواسع . تغذية حقة لا تقتصر على التمثيل بل تساهم مساهمة فعلية تشمل الصرف والاتفاق أيضاً .

لذلك كان على حكومات الشرق العربي أن يعنوا بفكرة المجامع عناية خاصة . إذا كان من قصدهم حقيقة تبادل الثقافة على شكل تكون منه وحدة ثابتة في الافكار والميول والأهواء . وإنما رأينا انه يتم كذلك على وجه محقق . من حيث ترى كل حكومة في تشريعها ومصارف أموالها . شيئاً بارزاً يعود نفعه على كل الاقطار العربية مرفوعة التخوم والحواجز . ويرى كل عربي أن له الحق فيها من حيث كونه يساهم في المشروع .

وأرى وجوب الاشتراك في أمور ثلاثة . اللغة . والقانون . والثقافة العامة . وذلك بأن تنشأ مجامع أو نواد أو مؤسسات سماها بأي اسم أردت . تغذى بأموال الحكومات العربية قاطبة بدون استثناء وتعمل في نواح ثلاث :

(١) اللغة . فينشأ مجمع يختص بها ولا حاجة لأن يكون غير المجمع الملكي المصري . ولكن على وجه أن يغير في قانون ادارته بحيث يتوافق مع المصالح المشتركة . وأما أن تقوم به حكومة وحدها كحصر مثلاً . فعدا عن أن المشروع قد يأتي يوم يلغى فيه . يأخذ على مر الأيام شكلاً إقليمياً يجعل احترامه في منطقته فقط مما يظل معه موضعي الفائدة والانتاج .

(٢) القانون . فإن الظواهر القوية الواضوح في حياة الامم . وصبغة الاجتماع التشريعات الخاصة بالعموميات . ومن ثم كان ضرورياً (ان كنا نقصد تحقيق الاتحاد العربي على وضع عملي محض) العمل على انشاء مجمع قانوني أو فقهي يضم النخبة الممتازة من الاقطار العربية الحائزين على صفة رسمية . للتواضع على القانون العام مرعياً

فيه القواعد الأساسية . التي تكاد تكون مشتركة بين هذه الاقطار عموماً . ويكون عمله بحيث لا يصح لأية حكومة بعد تصديقه المشترك من أن تنفرد بسن القوانين الأساسية أو بتغييرها . إلا بعد أن يبدأ المجمع فيعطي رأيه . ومن بعده تعرض على المجالس التشريعية لكل حكومة حتى يأخذ صفة القانون النافذ في الموضوع . ويغذى أيضاً بأموال الحكومات العربية جميعها .

(٣) الثقافة العامة ونعني بها مؤسسة الترجمة التي تكلمنا عليها فيما سبق من المقدمة (١) فلا نعيده ثانية هنا . . .

وقد راجعت بهذه الفكرة كثيرين من ذوي الشخصيات في المحيط العربي . ولكن كان من أحدهم ما لم أكن أنتظر . حين فاجأني بمركز هذه المؤسسات الذي يفرض على الاقطار العربية أن تأخذ بنظر جد ممتاز فتدوب في حُمى بوتقته تماماً . ثم انتهى إلى أن هذا لا يتم الاتفاق عليه بسهولة . وأن معنى الوحدة التي نامس عند الجميع استعداداً لتحقيقها والتي تلاقي دعوة جديدة اليها . أن تكون مبنية في عناصرها على قاعدة العرض والتبادل (تأخذ وتمطي) ومع أن منطقاً على هذا الوجه بدا ممجوجاً إلي . اقترحت عليه لحل هذه المشكلة أن يكون مركز كل مجمع منها عاصمة القطر الذي يقوم بتحمل نصف ميزانية المشروع . فقال ولا كذلك . ولكن على كل أصبح له اعتبار معقول . . .

المعجم كيف نضعه ؟ .

كنت أروم أن أتسع بالكلام على تاريخ المعاجم في العربية . فأتناول منها كيف بدأت والأسباب التي هيأت اليها . وكيف كان تقييد الرواة لمفردات الالفة وشواردها إذ كانت المعاجم على الترتيب الهجائي من عمل النحاة . ولكنني أقصرت لما أن الموضوع تناولته كثرة مستشرقة وعرب . بيد أنني أشير هنا إلى ملاحظة بدت

لي في تاريخ المعاجم قد تعبر عن ناحية غامضة وتفسرها بعض الشيء وهي أن فكرة المعاجم كانت فحوية أي من صنيع نحويين . ومنزعة من صميم اختصاصهم . فلم تكن في خاطرة الرواة ومن اليهم ممن اتسموا بالنحو إلى جانب الرواية أو بعبارة أدق عند طبقة النحاة اللذين كانوا قبل أن يكون النحو علماً بأصول . فكان علينا إذن أن نترك سراعاً ما قبل الخليل ونقف عنده . لأنه أقدم من عرف له معجم واسع المادة يتناول من اللغة أشياءها الجملة في شيء من الحصر أو في حصر حقيقي على الحروف .

ولكن يتساءل هنا في تحر وحذر عن فكرة الكتاب . وكيف نبئت ونمت في نفس الخليل . واستقل بعملها . وهو تساؤل جدير بالدرس وجدير بتوفير النظر الخليقيين بأن ينكشف من بعدهما سر الكتاب . ونحن في غير اطمئنان إلى الشك نجد مما يقوي فكرته وجوهاً :

(١) خروج الكتاب عن يد فارسية بجمته . مما لا يكون بعيداً معه الظن بأنه نتيجة جهد غير عربي أو على الأقل لا يفكر بفكر على طراز عربي خالص

(٢) ترتيب الكتاب الفذ فهو يبدأ في ترتيبه نهجاً غامض القصد . الذي روج لفكرة انه ينظر إلى نهج تقليدي عن السنسكريتية وجدوا عليه شواهد (١) وها قوة . ولقد يكون القصد منه نشوئياً . على معنى أن الخليل كانت عنده أفكار عن نشوء العربية بحسب طبيعة الحروف . فعمل لخدمتها على هذا الترتيب . وهو اذا صح كان تفكيراً مستقيماً من الخليل وآية من عبقريته النادرة . والذي لا يجعله بعيداً ما حدث به (حمزة الاصبهاني) ونقله (ابن خلدون) و (ملا كاتب چايي) من أن الخليل رمى بالفعل إلى حصر كلمات العربية المحتملة على نسق عقلي محض . هذه المحاولة التي تعرف بخطة تفكيره . وفيها حظ من النظر النشوئي غير قليل كما يظهر

(١) فقد ورد في دائرة المعارف الاسلامية ان الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب حروف لغتهم فأن حروف السنسكريتية تبدأ بأحرف الخلق (gutturals) وتنتهي بالأحرف الشفوية (labials) وهو قد رتب العين على الحروف مبتدأ بحروف الخلق فاللسان فالاسنان فالشفيتين .

(٣) تطلع المحيط العالمي إلى آثار الخليل . حتى في عصره وعنايته الشديدة بها فلم يكن رجلاً مغموراً كما تشاء بعض كتب التاريخ تصويره . بل كان شاغلاً الناس ومالئاً الفراغ كما يظهر من حكاية ذكرها (١) (أبو الهلال العسكري) . ومن شغف الشخصيات بالاجتماع اليه ومنادرته (كابن المقفع) . ومن الحاح الأراء بتقريبه (كالعباس بن محمد) . مما هو شاهد تقدير عبقريته . وانما يعزى عدم حظوته إلى أفكاره العبقرية أيضاً . التي لم تكن بحكم جديتها تلذ الجمهور لأنها ترتفع عن مدى مداركه . ولا الخاصة الذين همهم التعلق بالجانب اللاهي من الحياة . وإلى أسباب أخرى من العصبية للبلد ونفوذ الكوفة .

هذا التطلع الذي يقضي بانتشار الأثر . وبالأخص إذا كان يحوي مفاجئة حقيقية فتأخر ظهوره إلى حدود سنة (٢٥٠) نظوي منه على حذر شديد . تجتمع أسبابه على ظن أن يكون لمدرسة البصرة فرع نشأ في فارس . ينظم الأمير الليث وجماعة شملهم نفوذه . قام على تمجيد ذكرى الخليل وشرح تراثه وترتيبه على المقدار الذي وصلهم منه . ولكن تناولوه بعقلية غير عربية . وذهنية دربت على غير نحويتها . كان عندها من التنظيم الفني قسطاً أوفر مما هي لو عربية خالصة . فأخذوا العربية على نسق بدا كما هو غريباً جداً وأجانبياً واضحاً . ومن ثم يظهر كيف تأثر الكتاب بفكرة سنسكريتية قد تكون . عن هذا الطريق .

وأما الخليل نفسه فأبعد ما يكون عن ظن التأثير في كل ما انكشف عنه من إجماع عبقرية . في العروض . في اللغة . في الاشتقاق . وهو عندي مثل أعلى مما يمكن للعبقرية العربية أن تقدمه من مثلها العليا . والذي ننتهي به هو ان الكتاب ليس من تصنيف الخليل على صورته . وان كانت أفكاره الرئيسية من أفكار الخليل . أخذت صوغاً آخر واملاء طريفاً . ومن جهة أخرى يوضح لنا كيف وقعت فيه الأخطاء (٢)

(١) راجع ديوان المعاني ص (١٨) ج ١

(٢) بهذه المناسبة اذكر بان اشد المنكرين الحاحا في ان يكون من عمل الخليل هي مدرسة الخليل واعلامها مما يبدو معه مستبعداً جداً ما ظنه الدكتور محمد ابو شنب كاتب المقال عن الخليل ابن احمد في الموسوعة البريطانية من ان الحسد للخليل هو الدافع الوحيد لانكار نسبتته اليه . .

التي أخذت عليه وقال فيها (ابن جني) انها لا تقع من أصغر تلامذة الخليل فضلاً عنه .

وأما زعم من زعم أن الكتاب احترق وأملأه تلميذه الليث من حفظه . فأقرب أن يكون خرافة ونادرة . ولقد يكاد يتسق عندي هذا الظن . ولكن يعرض دونه سؤال وهو ألا تعرف آثار أخرى يمكن عزوها إلى هذا الفرع الفارسي من مدرسة (البصرة) الذي يمتاز عنها بأسلوبه في شرح الخليل ؟ . وهو يبدو قوياً ولا يمكن الجواب عليه بسهولة . وإن كان من المستطاع الاجابة عليه بمحاولة غير مقنعة . وذلك حين يظن انه قد كان له آثار عنى عليها ما بدت به مدرسة البصرة الرئيسية من قوة في شرح الخليل . ومن انتاج خصب متفوق . مما أضالّه وجعله يقضي في صموت . أو شماته بمنطقها فلم يميز عنها فيما أنتج . . .

هذا ما يستطاع فهمه من نطف النصوص المحفوظة . وما علمنا أن يكون من عمل الخليل . ما دمنا نقرر انها أفكاره مشروحة على نهج غريب . ومن ثم نتخلص إلى تصنيف المعجم العربي في مناهج ثلاثة :

(١) منهج الخليل : في العين وأعظم ما ظهر عليه الحكم لابن سيده . والجمهرة لابن دريد .

(٢) منهج ابن فارس : في كتابه مقاييس اللغة الذي لا أعلم أحداً سبقه إلى الوضع على مثاله وفيه يبدو نوع من تقدم اللغوية العربية وحنوحها نحو التهذيب والسهولة والتصنيف . وأهم ما ظهر عليه المحيط للمصباح بن عباد تلميذ ابن فارس والأساس للزنجشري والمصباح المنير للفيومي .

(٣) منهج الجوهري في الصحاح وفيه تمثل العقلية اللغوية على تمام قوتها . وملاكة التصريف الفلسفي ويعطي صورة من بلوغ المنطق في اللغة . وأهم ما ظهر عليه العباب للصغاني . واللسان لابن منظور والقاموس للفيروزبادي . وملخص الأساس للزنجشري . . .

هذه نتفة عجي حقيمية كما أظن . ولا يعنيننا ما قبلها كثيراً لأنه لا تجدر به

كلمة المعجم^(١)، وإنما تدخل في موضوع الأسباب التي هيأت إلى المعجم ومهدت إليه . . . وهذه المناهج وإن يكن بعضها وافيًا بالغاية من المعجم المادي . فهو في حاجة إلى مميزات تزيده سهولة . وإنما كان من هذا التخصص لأن من رأينا لزوم تنويع العمل في المعجم العربي على أنحاء :

- (١) المعجم المادي ويبحث على سنة المعاجم القديمة . . .
- (٢) المعجم العلمي . ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص . بحيث يكون للقانون جزء يختص به وللإجماع كذلك . وهكذا .
- (٣) المعجم الاصطلاحي . وهذا يكون على نسق الكليات لابن أبي البقاء والتعريفات للجرجاني
- (٤) المعجم التاريخي أو النشوئي . ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيمة بالعصور . ويكون على أسلوب مادي وسياقي بيانه .
- (٥) المعجم العلمي وهو يضم جميعها باختصار . . .

المعجم المادي !

نختار في ترتيبه أن يكون على سنة (المصباح) بيد لا يتقيد بالنظر إلى الأصول . بل ينزل الزوائد عليها منزلة الاعتبار أيضاً . ولكن كما أبدى بعض الباحثين من أن هذا قد يفهم عروة المادة العربية . أو هو يفصمها بالفعل بخلافه في الأجنبية . لأن

(١) جاء في ضحى الاسلام (ج ٢) ان المراحل للمعجم العربي ثلاث وانها كانت متلاحقة بانتظام وهو وهم والحق ان وضع المعجم على المعاني ليس بمرحلة وإنما فن يعمل في الناحية الأخرى التي يعمل في مقابلها المعجم على الأصول فهي مرحلة تاريخية لاحاقية وتأخر المعجم على الأصول إنما كان نتيجة طبيعية . لان العمل الصرفي ابتدأ على الحقيقة بعد الخليل . والمعجم على هذه الملاحظة كانت لخدمة التصريف قبل كل شيء ويظهر هذا من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إذ كان يصرح بأصول الكلمة كمثل (خضم) يقول الخاء والضاد والميم أصل الخ و فرق كبير بين أن تكون مراحل مترتبة بمعنى ان كل واحدة ادت الى نشوء الأخرى وبين أن تكون مراحل تاريخية او زمنية

الزوائد تغلب على الأول فيها (prefix) . وفي الأجنبية قلما تكون عنده وتكثر في الآخر (suffix) . وهو ملحوظ يمكن الاحتياط له بأن يبني الكلام على الزوائد بضرب من الاحالة . على معنى أن يثبت في باب الهمزة والراء مثل (أرونان) وان يحال الكلام عليه إلى مادة (رون) كما هي سنة الدوائر العلمية في الاعلام بحسب الاشتهار لقباً أو كنية أو اسماً .

وهذا وان يكن يلزمه عملاق ويتضخم معه المعجم العربي بعض الشيء . يسهل مهمة الاستقلال بدرس المعاجم وبالرجوع اليها على الناشئة . وبعض الخاصة الذين يعتاص عليهم تناول كلمة من معجم كالقاموس^(١) . وينبغي أن تثبت فقط على هذا الوجه . الزوائد غير الواضح شكل زيادتها . وأما القياسية الواضحة فتثبت من أول الأمر بمحلها المادي (كفاعل ومفعول) . ثم يأخذ بعمل شكلي كالتفرقة بين الحقيقة والمجاز . واختلاف المعنى باختلاف الوصفية والاسمية وسائر الأشياء التي أثبتتها في النماذج المنشورة والموضحة في كلمة التصدير . والتحلية بالصور من أجل التوضيح .

المعجم العلمي

وهذا يفرغ فيه لخدمة الاختصاص وحده . فتوضع الفاظه مبنية على شرح تخريري يتولاه أهل الاختصاص ليأتي على صورة وافية . فيوضع في أجزاء للجغرافيا والجيولوجيا والهندسة والقانون والاجتماع والتاريخ فناً واعلاماً الخ . . .

(١) نبي المي ان الاستاذ اللغوي (محمود خاطر) مرتب (مختار الصحاح) قد رتب القاموس على نهج (ترتيبه للاختار) توفيراً للجهد الذي يتدارك اي مطالع وهو عمل جسيم بلاريب ومفيد أية فائدة ولكن نرى ان يعتمد الى تصحيحه اولاً . فان الشرطوني القى على عاتقه اكثر ما انتشر من الاغلاط (راجع اقرب الموارد ج ٣ ص ٤) وأخذ عليه الشدياق (في مقدمة الجاسوس) ابهام عبارته بحيث لا ينبه على التصحيح من غيره والغريب والمهمل والمخرف والمصحف وذكر الاستاذ (Ione) في مقدمة كتابه (مد القاموس) ان كثيراً من ملاحظات الفيروزابادي النقدية خاطئة . ومن قبل هؤلاء . تعقبه الائمة الاعلام في الكثير الكثير كابن الطيب الفاسي والقرافي كما ان الواجب يقضي اذا اخذ بترتيب القاموس على هذا الشكل ان ينق من الاوهام التاريخية وان تحقق فيه النباتات والحيوانات واما اذا ترك على ما هو من الاوهام اللغوية والعلمية . فبايكون الصنيع الجديد الاتروجيا للخطأ واشاعة للاغلاط . . .

المعجم الاصطلاحي

وهذا يتناول المصطلحات في درس لغوي علمي فيبحث عدا عن شرح الاصطلاح . في اشتقاقه ووجه مأخذه وما يتبع . والغرض تعبيد الموسوعة العربية على منتهى الموااة ...

المعجم التاريخي او الفسوي

وهذا يفرغ فيه الى درس المواد وكيف كان نشوءها . ويتناول المفردات من حيث هي عربية عريقة أم تنظر الى مصدر غير عربي . ودرس كل الملاحظ الاعتبارية عليه بحيث يكون على وضوح تام فيه . ما يدعى باختلاف اللغات واللهجات وتداخلها وما وراءها من مشاكل في اللغة .

ولهذا المعجم عندنا ترتيب ينزل من مواده منزلة نشوئها في أقرب التقدير . وذلك بأن يبدأ (بالمعل) الذي هو في نظرنا (١) الثنائي الصوتي . ثم بالثنائي المضعف الذي هو في نظرنا المعل نفسه طوروا اعلا له على هذا الوجه من التضعيف . ثم بالمهموز الذي هو في ا كبر عدده معل أخذوه بالهمز . ثم بالثنائي المكرر . ثم بالثلاثي ثم بالرباعي وهكذا واليك المثل عليه :

(زَبِي) بمعنى حمل . وزباه بشر دهاه . الازبي النشاط وضرب من السير .

(زَبَّ) الزباء الداهية الشديدة . وزب القرية ملاًها .

(زَبَّاء) الزبأة الغضبية .

(زَبَّزَبَ) غضب . وانهمز في الحرب .

(زَعَب) الاناء ملاء . والقرية احتملها ممتلئة . وتزعب نشط .

(١) راجع القسم الثاني من المقدمة بتحر واناة .

(زَعْبًا) عندها تنتهي المادة فلا نجد لها ذكراً في المعاجم . واليك مثلاً آخر أتم
من الأول وهو .

(شَرَى) الفرس . بالغ في سيره . وشرى الشر استطار . وشرى الاقط وضعه
على خصفة ليحف . تشرى تفرق .

(شَرَّ) شرة الشباب نشاطه وشرر النار . وشرر اللحم والاقط كشره .

(شرشر) الشيء قطعه . والشراشر الاثقال .

(شمر) الفرس مر جاداً أو مختالاً . وأشمر الابل اعجلها .

(شمردي) الشمردي . الناقة السريعة .

(شمردل) الفتى السريع من الابل .

وهكذا يكون السير فيه بحيث يضع حدوداً واضحة للتطور ورسوماً بينة للارتقاء
ثم ينتشر كذلك على المفردات في الاستعمال والدخيل وما يتبعه من أبحاث يرتفع
معها مستوى النظر اللغوي في العربية .

المعجم المعاصر

أو دائرة المعارف الصغرى على مثل معاملة (اكسفورد . وبستر . لاروس) .
ونحن قد وضعنا لبعض هذه المعاجم أصولاً لم نبدأ فنشرها . لنرى مقدار ارتياح الرأي
العربي لهذا الاقتراح الذي تقدمه من أساس عملها . والواقع ان اصول الاشتقاق
والنظر الاجتهادي على العربية أصبحت في حاجة مطلقة الى التمهيص . لنخدم عربيتنا
الحاضرة وتاريخ العربية العريقة خدمة مزدوجة . تنفيذ العربية الحاضرة بما تنفخ في
بقاياها من الروح . وبما تسها به من تيار الحياة . وتنفيذ العربية القديمة بكشف أسرارها
الغامضة . وسيأتي في بعض بحوث المقدمة ما تقف منه على مقدار ما تزخر به الالفاظ
من حضارة عربية طواها التراب في غفلة التاريخ . واهتمت الرمال في شرة وشره ..

دراسة التخصص في اللغة والادب

(مصر) كلمة ولكن كما كان المسيح (كلمة) تنشر الحياة وتبعث بالروح . فلم يكن معناها على مقدار حروفها بل لها من خيال ما يتزايد به معناها قدر لا تكون الألفاظ قيمة بالوفاء به .

فمن شاء أن يعرف (مصر) فهي مصر وكفى . وفي الحق ان (مصر) كذلك مكانها من الشرق العربي لا تنقص عنه وربما زادت عليه .

ولست من هذا الحديث بقبيل . إلا لأفزي إلى ما من قصدي أن أفيض فيه .
بشاء العربي منا أن يتخصص للعربية وما إليها فلا يجده وجهاً إلا (مصر) ولا منتهى إلا دورها التي تنظم في مؤسسات ثلاث :

(١) كلية اللغة العربية للأزهر .

(٢) كلية الآداب للجامعة المصرية .

(٣) مدرسة دار العلوم .

والذي يظهر من أسمائها انها متنوعة الدراسات بحيث لا تغني واحدة عن الأخرى أبداً . وبحيث نكون من كل واحدة في حاجة إليها . فكلية الأزهر تعد للغة وحدها . وكلية الجامعة تعد للأدب وحده . ومدرسة دار العلوم تعد لثقافة عامة عليهما . . .

وكذلك يتبادى الظن مع العناوين إلى أبعاد معانيها . فيتمثل في كلية الأزهر . كيف يعاد درس العربية على نحو ما كان في عهد البصرة والكوفة الزاهرة . من عناية بتن اللغة . ووقوف عند النوادر . ورواية للغريب . وتخرج للحوشي . ودرس للأدب لا من ناحيته الفنية . وإنما من الجانب المعاني أو المعنوي . وكان الأولون بسمونه (معاني الشعر)^(١) الذي ألف عليه ابو عثمان الاشناندي . وابو العيشل

(١) ومن أمثلته ما حدث به نقطويه عن أبي العباس ثعلب انه قال : سألتني بعض اصحابنا عن قول الشاعر :
(جاءت به مرمدأ ما ملا ماني آل خم حين ال)
فلم أدر ما يقول فسرت الى ابن الاعرابي فسألته عنه ففسره لي فقال هذا يصف قرصاً خبزته امرأة فلم تنضجه فجاءت به مرمدأ اي ملوناً بالرماد الحار ثم قال (ماني ال) ما زائدة كانه قال في ال والأل وجهه يعني وجه القرص وقوله خم اي تغير حين ال اي حين ابطأ به النضج . يضرب مثلاً اذا كان وناء في العمل او ابطاء .

وكثيرون . ثم الانتزاع الشديد الى استعراض المفردات وكيف دارت دورتها المستوية في أطوار من العمر والحياة مختلفة الالوان والأشكال . على نحو ما نرى في الجهرة لابن دريد . واحاطة بمناذر الكلمات التي يسوق لنا كثيراً من أمثالها ابن الانباري في نزهة الالباء والجرجاني في الكنايات . وتحقيق للفصيح كالذي فرغ اليه ابو العباس ثعلب وابو سهل الهروي وعبد اللطيف البغدادي . وارتياض على الامالي كما نجد عند القالي والسيد المرتضى وابن الشجري ومن قبلهم عند ثعلب في مجموعة مجالسه وعند المبرد . وهكذا حتى يتقن علوم اللغة البحتة التي كان لها (مزهر السيوطي) كفهرس واضح العناوين بعض الشيء .

وهذا وحده الذي يضمن لنا اعداد لغويين قد يعيدون العهد بمثل الشيخ نصر الهوريني وسيد علي المرصفي . ولكن شيئاً من هذا لم يكن فان جهد ما تستطيع كلية اللغة أن تقدمه الى المجتمع من مخرجيها على نسق ما تدرس . أشخاصاً اعداديين لا يوسمون بسمه الاختصاص أبداً . وبجسبك أن تعرف أن متن اللغة مهجور هجراناً تاماً . وهذا ما لا يعذر به فان اختصاصاً يمتطى في ست سنين . ضروري أن يقدم لغويين لهم أكبر الحظ من الاحاطة .

واما أن تأخذ الكلية طلبتها بنتف من هنا وهناك على غير تمحيص ولا تحقيق . وانما بسمه كلها التقليد غير المحكم من نوع الفلسفة وتاريخها وعلم النفس . وملقطات من الحديث ليس فيها شيء من طرائف الغريب فليس مما يفي بالغاية ولا بالحاجة . والطالب من هؤلاء يرى له حقاً لأنه يقدم نفسه وهو مطمئن على أمل أن يخرج كما يسمو به الهدف . ولكن لا تكون له الا هذه النتيجة الملتوية . وأما إن كان القصد من كلية اللغة في الازهر اعداد معلمين تقسي الابتدائي والثانوي فهي تعطي اكثر مما ينتظر منها بحق . . .

ويتمثل في (دار العلوم) كيف يستمداد تلقين الأدب الغض . الى جانب المشرق من الفاظ اللغة على نحو ما عبر به الزمن من تخريج الكتاب المنشئين . وكان أخذاً آيانياً صرفاً على ما يحكي (الجاحظ) انه وجده عند (سهل بن هارون) وعلية الكتاب . وعمد الأدباء الى خدمته وافراده كفروع من الادب وحده . فألف فيه ابن درسته

وابن قتيبة وابن السيد البطليوسي وموهوب الجواليقي وغيرهم . وهؤلاء كانت غايتهم الوقوف على أسرار البيان العربي لا من جهة النحو فيتزيدون منه بأكثر من الواجب . حتى كان من طابع هؤلاء ضعف الجانب النحوي عندهم . حيث هو من العناية والتوفر عليه اذ كانت عنايتهم منصرفة الى البيان خالية من الشوايب . وهذا ما يحكيه ابن الانباري في نزهة الالبا من ان أبا منصور الجواليقي كان في اللغة أمثل منه في النحو .

ولقد كان لهذا الفرع من علوم اللغة حلقات لا تدرس الا الجانب المذكور على معنى الفراغ اليه . والا فقد كانت لهم حظوظ واسعة من النحو والصرف وما اليهما . على المقدار الذي يلزمهم منه فقط . واليك ما يحكيه وهب بن ابراهيم قال : كنا بنيسابور في مجلس ابي سعيد احمد بن خالد الضريير وكان مجلساً يؤخذ فيه بروائع الأدب إذ دخل علينا رجل من أهل (قم) وكان بعضنا يقرأ قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمي حتى بلغ قوله

(عَلَّامَانِ خَاصًّا الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَاَبَا وَ لَمْ تُعْقِدْ وَرَاءَهُمَا يَدُ)
(مَتَى يَلْقَى قَرْنًا فَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمَوْتِ أَسْوَدُ)

فقال الشيخ ابو سعيد يشرح (ولم تعقد وراءها يد) أي لم يؤسرا بل رجعا موفورين ولو أسرا لعقدت أيديهما كتفا . فقال الرجل ليس هذا الوجه فقال ابو سعيد هذا الذي عندنا فما الذي عندك . فقال : آبا ولم تعقد يد بمثل فعلهما لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد كما الشاعر .

« قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ تَمِيمٌ مَعًا سَادَاتُهَا عَدُوهُ بِالْخَنْصَرِ »
« أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثِيَابَ النَّدَى فَلَمْ تَطُلْ عَنْهُ وَلَمْ تَقْصُرِ »

أي خلقت له وقول الشاعر . . .

« قَوْمِي بَنُو مِذْحَاجٍ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ لَا يَضَعُونَ قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ »

يعني انهم يتقدمون الناس في عملهم ولا يقلدون أحداً في فعل بل يقلدون . وعندنا ان وجه المعنى غير هذا . فان الشاعر يقول (آبا ولم يأسرا أحداً إذ قتلا

الاقران جميعاً) ويشهد لهذا . البيت الثاني الذي يقول فيه (متى يلقيا الخ) وكيفما كان الأمر . فقد كان لهذا الفرع من اللغة عند الجماعة عناية خاصة تحقق طلبه رواد الأدب الانشائي . وربما كان أقرب مثل اليهم في معارفه ودراسته المرحوم (حفي ناصف) .
وأما أخذ الطلاب على هضم الاشموني والكشاف . فما لا يحقق الغاية أبداً ولا يكفل ما يطالب منه كعهد أن يتحرف به . وليس معناني بهذا أن لا ندرس علم الاشموني وعلم الكشاف . وانما المعنى أن ندرسهما في غير عبارة الاشموني وفي غير عبارة الكشاف التي تقتضي وحدها ارتياضاً بالغاً يؤخر الغاية المقصودة بالدرس . والحق ان عدداً كبيراً من طلبتها على جانب من الانتاج الحصب لو تهودوم بمنهج اكثر ضمانة للادب واكثر تذوقاً له .

ويمثل في كلية الآداب . الميل الى التعميم في الدراسة . فهي تدرس الأدب العربي . والى جانبه الادب عند الأمم الأخرى ومن ثم تأخذ في أدب مقارن وما اليه مما يكون الدرس رغم ما قد يؤخذ به أقربها الى تحقيق هدف الاسم .

وهذه المعاهد الثلاثة على ما بينها من جهات اختلاف حقيقية في اسلوب التعليم ومنهج الدرس . تحقق غاية واحدة لا تختلف عليها كثيراً . فهي إذن تمتاز امتيازاً اسمياً وشكلياً فقط دون ما وراء الاسم والشكل . وتتلقي أهدافها في الواقع على نقطة بعينها دون اختلاف واذا اختلف شيء بينها فالما هو روح الدرس . فهذه تدرس عن مصدر اوروبي محض وتلك تدرس عن مصدر شتيت . وهاتيك لا تزال محافظة أشد المحافظة . مما يثير احتداماً واستمراراً مستمراً دائماً بين المخرجين . لأن الاصول بينهم غير موحدة . وهكذا يندلع لهيبه ويتقد ولكن في غير فائدة تفيد الأدب .

وذلك لأنهم يعدمون التفاهم على الاصول الواحدة للدرس والانتاج . وليس هذا فقط . بل يكيدون في النقد كيداً يراد منه الهدم المجرد . ولا يقتأون يذ كونها حامية ليكون ضرامها ما انتحبوا جميعاً . وفي غير كبير جهد تقع على هذا الاثر في كتاباتهم حتى تلمس حزازة لا تمحى وحفيظة لا تفتأ تكيد . وهذا شيء لا يخدم الادب بل يقضي عليه لأنه ينطوي على ازورار مغرض واعراض وييل . وزادت بهم مدة

الحفيظة إن كان للحفاظ مدة . فاعرضوا مطلقاً عن قراءة بعضهم . وناهيك هذا أن يكون من نتائجه ...

وبعد فإن دراسة التخصص في اللغة والادب لا تتوفر أبداً في منهج كلية اللغة العربية ولا في منهج كلية الآداب ولا في منهج دارالعلوم . وإنما يتحقق الغرض المنشود في منهج يجمع كافة . فمنهج الأزهر لا يزيد عن انه أغراض في النحو والصرفية واعتراضاتها كما وانه لا يعنى بناحية ضبط المفردات أبداً . ونراه يعنى بنواح جديدة من التاريخ والنفس ويدرسها دراسة خاطئة على وجه العموم شأن كل من يستجد في ثقافة ما . وإنما يتم منهاجها بمنهاج دارالعلوم وهذه ينقصها كثير مما يجب على المتخرج أن يكون ملماً به كأديب بكل المعنى . والمعجب في مخرج دارالعلوم أن يكون بعيداً كل البعد عن تطريات الأدب العالمي التي لا يلم منها إلا بشذرات مقتطفة من هنا وهناك لا تعرفه به الا معرفة ناقصة . مما لا يكمل إلا بمنهج كلية الآداب ولكن يؤخذ عليه ضعف اللغة فيه من ناحية والتزيد من المواد الأجنبية من ناحية أخرى ..

ولكن أتى يتأتى ضم هذه البرامج ثم تكليف الطالب بتحصيلها . الذي يشاهد تصعبه من برنامجها الواحد فكيف بها مجتمعة . وهذا مسلم شكلاً كما يقولون وأما هو من حيث الموضوع فسهل الاحتياط له . بعد ما رأينا من تداخل بين الدراسات وزوائد يمكن الاستغناء عنها . ومن بينها يتأتى اعداد المنهج على أكمل الوجوه أو على الوجه المنشود ...

ومن ثم يصار ضم المعاهد^(١) الثلاثة في كلية واحدة يجعل لها فرعان :

(١) كنا ابدينا اقتراحاً لاصلاح الأزهر جاءت مناسبتها الآن بحيث يحقق كل اهدافه . فان الأزهر رغم صيغته التجديدية . ورغم ما يبدي من استعداد للتطور واخذ به . لا يزال بعيداً عنه . لان اخذه فيه لا يتعدى كونه صورياً . فان العالم الاسلامي يطلب من الأزهر وهو جامعته الدينية الوحيدة . ان يعد له لا هوتين (متكلمين) . وفقهاء بكل المعنى يدرسون بدقة الديانات ومقدار مشاركتها . وما الاسلام بين هذه الديانات القائمة ومقدار ثبات تماثيله بين ما يقد العلم من نظريات في الاخلاق والنفس والنشوء والعدالة والاجتماع والاقتصاد والقانون واصول النواميس وما الى ذلك . هذه المشاركات التي اذا حدثوا بها او قرأوها يطالعونها منتهلين فيرون في فجر الاسلام معجز احمد . واذا وقفوا على بعض بحوث البستاني في الدائرة هللوا —

(١) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب اللغة تقوية مبالغاً فيها ليعد لغويين قعدين يمكننا أن نستفيد منهم .

(٢) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب الأدب تقوية مبالغاً فيها بحيث يعد أدباء بالمعنى الصحيح ونقدية يفهمون دقه ودقيقه .
ومن وراء هذه الخطوة المباركة يمكننا أن نظمئن الى فئتنا الأدبية . ونظمئن الى

— لكل كلمة . وهي بعمومها شائعة عند غيرهم . وعا هذه المشاركات اللازمة . ضروري ان يخرج فقهاء ينزلون منزلة مجتهدى المذهب على الاقل يستطيعون تخرج المسائل على اصول الخلاف بنحو مما نرى في تأسيس النظر للذبوسي وعند البزدوي ومن اليهم ممن كتب فى الخلاف كامام الحرمين والكياء الهراسي وكتب الاشياء ككتاب ابن رجب وابن دقيق العيد والزركشي والسيوطي وابن نجيم . والعجب كيف لم يقرر واحد من هذه الكتب فى الازهر ويفضلون عليها مذكرات منتوفة كتنتف الشارب وايم الله . وبذلك وحده يستطيعون الاحتياط للنوازل ومعرفة المخارج . ولقد سمعت من يقول من مسلمي الروس بحجارة زائدة (لن نتوجه بالفتوى بعد هذا ونحن نسأل المتصدرين فى مصر فلا يكون رجوع الجواب الاما الاستفتاء عن سواه اذ يجيبون باجوبة المسائل المعروفة على اقتضاها ومخالفتها لظروف السواأل ومناسباته . كان الشيخ بحيث مورداً فانقطع المورد بعده) هذه عبارته لم ازد فيها علم الله . فحاجة العالم الاسلامي . ان يكون الازهر كما يجب ان يكون مرجعاً عاماً للفتوى وجامعة كبرى لتخرج العلماء . واذا اقتضت الحال (وهى مقتضية) ان تساهم الدول الاسلامية بتوفير خزينته وجب ذلك . ووجبت الدعوة الى المساهمة . وواجب ان يرتبط الازهر بروابط اكيدة من حيث كونه مرجعاً رئيسياً بمعهد النجف والزيتونة والقرويين بحيث تتقارب وجهة الدراسة . وتكاد تتوحد ادارة معاهدها . وان فى هذه المعاهد علماء حقيقيين يجدر الاستفادة بهم فى اعداد المشروع . والعالم الاسلامي يطلب من الازهر وعظماً اعنى مبشرين ودرس الازهر لا يحقق هذه الغاية بكاملها . وجماع العلة فى بقاء سير الازهر هو احتفاظه بكل (اقسامه الاولي . الثانوي . العالى . التخصص) وحقيقة ان الازهر لن يبلغ رسالته على الوجه المطلوب الا بعد ان يبلغ فى الدراسة العالية . ويضيف دراسات على القرآن والسنة والمعارف الاسلامية العامة على النسق الذي تدرس عليه فى الجامعات الاوربية ليتشكل الدرس بشكل اقرب الى الاسلوب العلمى فى غير ضجر ولا تأفف . وعليه فنقترح النساء القسم الاولي من الازهر عموماً والاستماتة بميزانيته لتقوية التعليم العالمى مع تغيير كلي فى سير الدراسة فى القسم الثانوى بحيث لا يدرس الرياضى وما اليه الا الى الثانى الثانوي . ما عدا اتمام درس اللغات التى اخذوا بنصيب منها فى المدارس الاميرية . وبعده يتوفر على دراسة اعدادية للقسم العالمى (السكليات) تتناول النحو والصرف وعلوم البلاغة واللغة والاشتقاق والادب فى كتبه الاولى (كفصيح ثعلب ومبادئ اللغة للاسكافي) والمنطق والتوحيد والاصول وفرع مقدمات العلوم (يجب ان يجعل فرعاً فى الازهر ليحقق الملكة فى الطالب) كالذي الف فيه المرحوم—

متجاتها بحيث نستطيع أن نزاحم بأدبنا الأدب العالمي من كل وجوهه . لا أن يبقى قابلاً في موضعه لا يعرف من شأنه الا انه لا قيمة له .

ومن وجه آخر تتلاقى المخرجة في مذهب التفكير وروح الدرس ومذهب الانتاج . بما لا ترى بعده الفئة اللغوية محافظة الى حد منكر . ولا الفئة الأدبية مجددة الى حد التجاوز والخروج على مذهب العربية وروحها الخالصة . وطابعها المتميز

— الشيخ . راشد ابو عليان . وفرع الاصطلاحات كالتعريفات للجرجاني (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ايضاً) وفرع الكنى واللقاب على معنى ضبطها كما في لب الالباب للسيوطي واللباب لابن الاثير . واما ان يتناول الطالب علوم الكليات وهي غريبة عنه اشد ما تكون . فاننا في مذهب التربية العقلية . ننتقل به بطفرة تترك فراغاً في تفكيره نلمس اثره ونشكوه منه . ومن ثم نفرغ لتنظيم الكليات بحيث يضاف اليها علوم وتلقى علوم ويستقدم لبعض الفروع بمستشرقين لهم ضلع بالغ فيها على مسحة يقتضيها التسامي العلمي المشهود ويجعل للزهر الاشراف الاكبر على الفرع الآخر من كلية الاداب الذي يختص للغة . وتخصص المهنة يجعل سنة واحدة . وهذا وحده يمكن للزهر ان يقدم مثقفين دينيين مطمئنين الى ثقافتهم محققين لها . يصغى اليهم في الاوساط العالية فلا يهانف منهم اذا خاضوا في البحوث علمية لانهم يؤدونها تأدية خاطئة اذا صحت لهم النتائج . فقد حدثني بعض اساتذة بيروت انه ضمنه مجلس بازهري ذهب يبدى إعجاباً بالطريقة السقراطية وانها ضرورية في تربية العقليات ولم كان يعجب منه اذ يدعوها الطريقة الارستقراطية مختلطاً عليه مما جعل الجماعة يصفون اليه بذهول ساخر . وكذلك يكونون متعزمين لكل ما يبحث به على القرآن . يغدون المجتمع الاسلامي بنتائجهم الخالص لا ان يكونوا عائلة كما نشهدهم على عمل غيرهم . ممن لا يمت الى اختصاصهم بوجه . فهم يتناولون (حياة محمد) للدكتور هيكل كتحفة ثمينة ونادرة وكتب الاستاذ فريد وجدي كشيء يجدون مادة ثقافتهم فيه وهكذا مما كان عليهم مثل هذا العمل وعليهم وحدهم مثل هذا الانتاج . ولقد قال لي يوماً بعض المسيحيين مداعباً يا هذا اما عندكم من الشيوخ من يكتب ويفكر حتى تولى هذا الواجب مخرجو اوروبا فقلت له براوغة . فيما تقول من هذا شاهد كثيرهم وعظيم اثرهم حتى تركوا كل مسلم شيئاً . وبالجملة اذا حققنا المشروع على وجهه فلا بد ان يكون لهم مثل هذا الانتاج للون دراستهم ولعرفتهم باللغات وبه نواجه الغرب فآخريين وبصيح بيننا من مثل المرحوم قاضي القضاة سيد امير على الهندي كثيرون . هـنا ما خطر لي صالحاً وكنت اعددت رسالة تتناول هذا الاقتراح من كل وجوهه بعنوان (ماذا في الازهر) ربما نشرناها بعد ان شاء الله . . .

القسم الثاني

عرض ومقابلة

لست أعرض هنا إلى شيء من الخلاف في أن اللغات توقيف أو خلق في محل النطق، أو مواضعة. لاعتقادي بأن هذا الاختلاف في أساسه وجوهره، لا يراد منه اللغة. وإنما غاية كلامية مجتمة. ولذا لا تكاد تسقط على مبحث من هذا الطراز عند اللغويين القدماء. وإنما سرى أو عدى بسريانه إلى اللغويين، الذين نشأوا بعد استشراف الخلاف الكلامي الذي كانت هذه إحدى مسأله. كقائمة للخلاف الذي صبغ اللاهوت الإسلامي، حتى آخر العهد بمباحث خلق القرآن وصفة الكلام، ولذا كان بحله من علم الكلام أمثل. ومن ثم نذهب من أول الأمر إلى اعتماد وتقرير مذهب وضعي صرف.

(قسم علماء^(١) المقابلة اللغوية في هذا العصر. اللغات باعتبار تدرجها التهديبي إلى مرتبة وغير مرتبة. وهذه الأخيرة تتضمن أدنى اللغات بياناً وأبسطها الفاظاً كالزنجية وهندية اميركا. والشمالية الشرقية الآسيوية والحامية والصينية. ومن أهم صفاتها أن الفاظها أحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف. واللفظة الواحدة تكون اسماً أو فعلاً أو نعتاً. بإضافة الفاظ أخرى ذات معان مستقلة.

وأما المرتبة. فتمتاز بسعة نطاقها ومنها لغات العالم المتمدن. وتنقسم باعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق إلى (متصرفة) و (غير متصرفة) وهذه الأخيرة تشمل اللغات الطورانية على فروعها والمنغولية والتنفسية والاورغانية. ومن أهم صفاتها أنها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً. وان الاشتقاق يقوم فيها بالحق أدوات لا معنى لها في نفسها على آخر تلك الاصول. مثال ذلك في التركية

(١) من كتاب الفلسفة اللغوية لزيدان ص (٢)

(ياز) الاصل الدال على الكتابة فيضعون منه فعلا ماضياً بالحاق (دي) في آخره فيقولون (يازدي) وفي الماضي السابق يقولون (يازديدي) أي كان قد كتب . وفي الجمع الاسنادي يقولون (يازديديلر) أي كانوا قد كتبوا وهكذا بحيث تبلغ هذه اللواحق العشرة عدأ مع بقاء الأصل على بنائه) . . .

(وقرروا^(١) أن كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ادوار ثلاثة . ففي الدور الاول كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها النطقي لتأدية المعنى المقصود . وما برحت لغة الصين من هذا النوع .

وفي الدور الثاني أخذ بالحاق كلمة إلى أخرى فيؤدي اللفظان المعنى الأول مضافاً إليه معنى جديد . أو يحصل من تركيب هجائين أو أكثر معنى آخر . وفي هذا الدور أيضاً أخذ بزيادة أحرف على الاصول في أولها أو آخرها أو بين حروفها للدلالة على معان ترافق المعنى الاصلى مثال ذلك في العربية (فاعل) و (استفعل) ومنه زيادة بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل (commencer) أبدأ (recommencer) أبدأ ثانية ومثل (honorer) كرم (deshonor) احتقر . . .

وفي الدور الثالث اكتسبت كلم اللغات التصريف وهو تغيير الاصل إلى هيئات متعددة للدلالة على معان . منها تصريف الافعال في الازمنة . ومع الضمائر و بناؤها للمجهول والحاق الضمائر بالاسماء والافعال . ومثل النسب والتصغير وما اشبه ملخصاً عن لانرمان في تاريخ الشرق القديم)

هذا التقسيم كما نرى يبتدأ أساساً اللغات الحية آخذاً بأدناها كالصينية . وهو بهذا النظر والملاحظة غير دقيق . وذلك لأنه يفترض مبدأ . ما يتخلله طفرات حقيقية . والتقسيم الذي نظنه أدق وصحیحاً . هو ان اللغات جميعها المرتقية وغيرها مرت في ادوار ثلاثة . . .

(١) ذو المقطع البسيط . أي أدنى المقاطع مثل (ba) وهذا الدور في غايته ولد المقاطع الواحدة . المجموعة في حروف الهجاء أو بعبارة اخصر ولد الجدول الهجائي

(١) من تاريخ سوريا للمطران الدبس ج (١) ص (١٣٧، ١٣٨) .

بأصواته المختلفة (الحركات فيما بعد في العربية) . وهكذا كان في كل صوت . يدل دلالة بعينها فمثلاً (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . وعنه نشأ (وو) في العبرية بمعنى وصل . .

(ب) ذو المقطعين . ونعني به الحرفين بصوتين . والحرفين بصوت واحد . . وهذا الدور انتشأ مصادفة وبجحاكاة الطبيعة في مختلف أصواتها . وفي آخره لما ابتدأ الانسان الرق المطرد وسعى يطلبه . قصد إلى التأليف من منطقه . فمثلاً السامي في هذا الدور لما أراد أن يدل على أن الحيوان يعوي . عمد إلى حرف العين ذي الصوت المضموم أي (عو) الذي يدل على الحيوان المفترس وإلى حرف الواو ذي الصوت أي (وا) الذي يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . فدغمهما وتوصل إلى (عووا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

ومن رأينا ان المعلات في العربية . تنظر إلى هذا الدور . فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدين فقط . واستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوت الحيوان . .

وفي هذا الدور والذي بعده . تواضعوا اللغة الصينية ومثيلاتها وبذلك تعتبر وكأنها قطعت الادوار الأولية واستقرت فيها .

(ج) ذو المقاطع . وهذا الدور بلا ريب كان بقصد الانسان اليه قصداً للحاجة فكان يجمع من المقاطع البسيطة الواحدة . والمقاطع الثنائية ويؤلف منهما دلالة مركبة وهكذا . وفي هذا الدور اتخذت العربية وحدتها . واستقرت في الثلاثي . .

وفي ختام هذه الادوار التي تؤلف العهد الأول . وقفت لغات واميت لغات ونشطت لغات آخذة بالحياة الجبارة . وهذه وحدها هي التي ألفت العهد الثاني الذي يسمى عهد اللغات المرتقية . وباعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق . تقسم إلى متصرفة وغير متصرفة . ونحن انما يعيننا هنا القسم المتصرف فقط وهو في نظر ناقد تطور في دورين تصريفيين . .

(١) التصريف باللاحق . .

(٢) التصريف بالاسناد . .

وسياتى الكلام على هذا التقسيم الذي كان الغرض من ذكره هنا العرض والمقابلة فقط . وكيفما كان فنحن لم نقصد الا بسط رأي جديد بين يدي موضوع لم يتوضح بعد . وما اخرى أن تثار من حوله طائفة من الابحاث أن لم تكشف عنه . فلا أقل من أن تميظ من غموضه . . .

الدور الأول

الانسان الفطري

لم يعد من الصعب أبدأ ولا في حال من الاحوال . تصور كيف كان الانسان الأول إنسان الفطرة أو بعبارة أكثر جدة وأكثر طرافة . إنسان التجربة الاولى التي بدأت مستضعفه . وبرزت فيه على غموض . حتى لم يكن على شيء مما يستدعي النظر . . . وأما الانسان الذي نمجد فيه الله . فهو ذو الملكات والاستعدادات المتكاثرة على شبه الانقسام او التوالد الذاتي في الحيوانات الدنيا . هذه الاستعدادات التي لم تنزل سراً مغلقاً . وعقدة لا تحل . ولا يمكنني أن أقول بأنها ستبقى كذلك فلعلها تكشف عن نفسها يوماً من اليوم . . .

وهذا الانسان لم ينزل يثير العجب الخاشع . ويبعث بالتقدير والاحترام العميقين حتى استقر في منطق الدينين منذ ابعده اليهود اللاهوتية . ان الله خلق (١) الانسان على صورته . وهؤلاء عذرهم فان انسان العواطف العاقلة ، والمشاعر المفكرة ، والاحاسيس المنطقية التي انتظمت الشرائع والتعاليم وتواضعت النظم . لا يزال يشعر بعين الشعور الذي استولى على اجيال التاريخ . بل ربما لم يكن في عصر بأكثر وضوحاً من العصر الحديث . الذي دعى فيه (اوغست كنت) إلى إحكام هذا الشعور وحالته كعبادة لعل لها أيضاً طقوسها ولها هياكلها . . .

بيد كان الانسان الفطري غير هذا الانسان الذي نعرفه وندش له تلك الدهشة التي كانت مصدر نزعات مختلفة . كان انساناً خاماً (كما يقولون) لا يكاد يرتفع عن

(١) جاء هذا الاثر في التوراه سفر التكوين . واخرجه الشيخان بلفظ ان الله خلق آدم على صورته واخرجه احمد في مسند ابي هريرة . راجع كشف الحفاء والالتباس للعجلوني حرف الحاء .

مستوي النوع . الذي هو فصيلة من فصائله المشاكلة . والذي تكوّن بعد ذلك مثلاً اسمي . . وكما قلت في طالعة المقال لم يعد من الصعب أبداً تصور كيف كان الانسان الاول . وذلك لأننا أصبحنا اليوم وتحت نظرنا أشكال عن الانسان المتطور تحتفظ بالخصائص الأولى في بساطة نسبية وسداجة غير مطلقة . .

ولذلك لن أُنغني هنا وفي هذا المكان بنقل صور عن الانسان الفطري . لأن هذا لا يعنيني كثيراً . ولا قليلاً أيضاً فاستطرد اليه . كموضوع له فروع من العلم تخصصت لدرسه . ولست آخذ الآن في واحد منها . وإنما أُنغني من كل الانسان الفطري بالبحث عن لهجته (ولا أرى هذا التعبير دقيقاً وأدق منه) البحث عن شتي الأصوات السليقية عنده . التي استقرت في غايتها على صورة وكانت لهجة . ومن ثم نلاحظ أن اللهجة داخل في مفهومها الاستقرار ولن تكون لهجة الأصوات التي تتخذ عدة أشكال تردقبد الخاطر . .

لغة الانسان الفطري

نستقبل الانسان الأول وهو يلهج بأصوات غير متشكلة . وليس يهمننا ما قبل هذا لأنه من فروع النشوء العام وللنشوثيين أن يقدروا هنالك ما شاؤوا . ولكن الذي يهمني وبصورة خاصة . هذا الدور لأن عنه انبرعت اللهجة فاللغة . .

واقصد من غير متشكلة انها لم تنطبع بطابع خاص يميزها . بل كانت جارية مجرى الأصوات التي يقال الاضطرابية في قسمها الغمي . وهي الأصوات التي تتولد عند الانفعالات . ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيج . وهي أصوات المتوجعين والمغمومين . والهمهمة . وهو الصوت الحاصل من تردد الزفيرها أو حزنًا . والزحير وهو خروج النفس بشدة عند عمل شاق والنحيم والنهيم وهو الانين المركب الذي يخرج المكدود . . .

وكذلك بقيت الأصوات آخذة سنة مطردة على نسبة الترقى العام . حتى انتظمت في أغراض ثابتة وان كانت عمومية . تولد عنها أصوات لا تزال دارجة في كل اللغات

ويظهر أن هذا الدور امتد كثيراً وعاصر الانسان اطول العمر . وكان في حلقات لا سبيل إلى تمييزها على وجه الدقة والتحديد . ولكن يمكن ارسال القول على كثير من الغموض . وفي شيء من الوضوح أيضاً . .

تأثرت لهجة الانسان الفطري في هذا الدور على امتداده بصوت الطبيعة في نفسه ، وفي المواليد الحية ، والنامية ، والجامدة .

وكان من نتيجة هذا التأثير أن تولدت اصوات كلبية . كانت فيما بعد هي الجدول الهجائي بلهجاته التي صارت في سموقها اللغوي حركات الحروف . .

وهنا نكون قد وقفنا بك على لغة الانسان الفطري المترامية في القدم البعيد وراء معارف التاريخ . ونكون أيضاً قد عثرنا على الطرف الأقدم من لغة الانسان الأول التي هي أم اللغات . والتي لم تنزل سرّاً مغلقاً في مباحث (علم اللغة المقارن) .

وعليه فاللغات وحدثها الحقيقية هذه الحروف بأصواتها (أي الحركات الثلاث في العربية وسواها في سواها) وهي بعينها لغة الانسان الذي ارتقت البشريات عنه . وليس معنى هذا أنهم توصلوا إلى الجدول الهجائي على ترتيبه . بل المقصود أن مجموعة كلمات اللغة الفطرية (أن صح هذا التعبير) هي مجموعة هذه الحروف بأصواتها التي توصل اليها بالمصادفة . والمحاكاة . والتقليد (أي ارادة المحاكاة)

والاسباب التي حدثت بي إلى هذا الظن كثيرة . أهمها اختلاف حروف الجدول قلة وكثرة . وتقصاناً وزيادة وعلى نسبة كثرة وقلة الجدول نسبة اتساع وضيق اللغة نفسها . فهذا الاختلاف شاهد على أنه وحدة لغوية أي اليه تنحل اللغة . . .

وإذا كان الشأن تألف المركبات من البسائط . والبسائط قامت مقام المركبات في ظروفها . فلا شك اذن في أن الجدول الذي هو بسيط أبة لغة قد كان لغة في ظرف بعينه . واليك (١) مثال هذا الاختلاف .

(من القبائل القاطنة أواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية (ف ب م و) في لغتهم . وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع (ب ف ج د ب

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص (١) .

(و). وأكثر أهالي أستراليا لا يستعملون المقاطع الصغيرة (س ز ش ث ص ظ)
والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف (ب س د ف ح ج ل ق ص و
ي) واللغة المصرية القديمة خالية من هذه المقاطع (ب ج د ز ظ ض) الخ. (١)
هذا الاختلاف الذي نعرض شاكته. يدعونا إلى عدم التردد في استنتاجنا
السابق. كما أنه إذا صح يدلنا على أن لغات العالم لم تنشعب عن مصدر واحد. وإنما
اللغات وليدة أسباب مكانية اجتماعية وانفرادية. كالعادات وليدة الطباع والظروف.
وان دعوى نشوء اللغة عن الأصوات بالمحاكاة وما إليها يقضي بهذا أيضاً...
ويلى هذا أهمية. الاستدلال بمقاطع اللغة الصينية التي لا تزال حية إلى اليوم
بقانون (الاستصحاب المقلوب) فإن المقطع الواحد فيها يلفظ بجمسة (١) أصوات أو
أكثر ليبدل في كل صوت على معنى خاص..

ولقد تقدمنا بأن ما يسمونه مقطوعاً في الصينية هو مقاطع عندنا. وعليه فلا ريب
في أن هذه المقاطع تنحل إلى أبسط جداً كانت تنطق كذلك بأصوات مختلفة. لتدل
في كل صوت على معنى بعينه كما هي في حال التركيب. ومن ثم ندرك ان هذه
الأصوات هي أصل الحروف الصوتية في غير العربية. والحركات في العربية. أو بمنزلتها
على أقل تقدير. ولهذا نجد في العربية مثلاً اختلافاً باختلاف حركة الحرف. لأن
هذه الحركة لها معنى خاص في الحرف. وهي منه في عهود اللغة الأولى. بمنزلة الصيغة
من الكلمة في عهود اللغة الأخيرة فكما تقضي الصيغة بتغيير معنى الاصل الواحد.
كذلك حركة الحرف. والكلمة المؤلفة من حروف مختلفة الحركات مثل (فعل) تكون
بمثابة الجملة التي تتضام فيها كلمات مختلفة الصيغ فهي اذن جملة بسيطة...
ولسنا نعني هنا بأن جميع حروف الهجاء تولدت إذ ذاك كأصوات ذات معان.
وإلا كان يجب أن يتحد الجدول في السامية على فروعها. والحال الواقع يكشف
عن أن العربية انفردت بحروف كما أن غيرها كذلك. ونرى في هذه الحروف الزائدة
انها (ان لم يكن ولادها تحت تأثيرات أجنبية) وليدة المقاربة والحاجة كالضاد
من الدال..

(١) راجع مقدمة المحاضرات الأولى لغوستاف لوبون ص ٤٣.

وجملة القول أن الدور الفطري في غايته أدى إلى هذه الحروف بأصواتها لتدل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف . وربما ساء لنا الاحتجاج باللغة (التركية) التي تشمل بالنظر اللغائي ^(١) طفولية لم تسوها مراحل العمر . قال ^(٢) أبوحيان الاندلسي في كتابه (الادراك للسان الاتراك) . .

(الاسم أحادي وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي . فالأول متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة مثال ذلك (صو) و (يا) و (جي) والحروف التي بعدها أشباع وليست أصلاً . وكذلك حروف المد واللين الثلاثة لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة) . ونحن لا على شك في أن اللغات كانت على حالة من ذلك . وأن هذا الأحادي هو أساس اللغات وهو يمثل في حروف الهجاء بأصواته المختلفة ذات الدلالة المختلفة . وبالجملة فإننا نجد في التركية التي يحكى عنها (أبوحيان) تحقيماً لما نظن في النشوء اللغوي . وأنه خضع لمبدأ التركيب حتى بلغ مبلغه من الثلاثية والرابعة وهكذا .

ومن الممكن جداً تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها حين كانت لغة على شيء من الافتراض المقارب . وسبيل هذا التعيين المعلمات مطلقاً . وبالأخص منها (الفيف) في العربية . وليس اعتمادها بأخذ معانيها المعجمية على وجه التحديد . وإنما بأن تنتقل منها بالمقاربة إلى ما هو الداخل في تفكير الساذجين واعتباراتهم . على أن العربية بنوع الاجمال لا يمكننا أن نفهم منها شيئاً على وجه الضبط . لما أن نسبة تطورها كبيرة جداً . وبالأخص إذا نظرنا إلى هيئة اللفظ فان العربية لم تعد على شيء يقرب من الأصل . لما كان للاتباع من أثر خطير في تغييرها . وربما كان أخرى بهذا القصد أن نعلم البابية والأشورية والارامية وما إليها .

وعليه إذا أردنا أن نعين معاني الحروف على اختلاف الأصوات لزمننا أن نفهمها على ضوء هذه اللغات . ونحن لا على شك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها . ومن ثم نفهم العربية فهماً تاماً لاشية عليه ولا شبهة فيه . وليس في تأليف الثلاثي فقط بل في الموازين أيضاً . .

(١) كلمة من وضعنا الجديد لتحل محل علم اللغات المقارن وهي مصدر من لاغى قارن بين لغتين .

(٢) راجع كتاب توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري ص ١٨ .

ويتفرع عن هذا فهم سر الحركات . ولماذا كان هذا الاختلاف في المعنى باختلاف الحركة الواحدة في الميزان . وإن لم يعد هذا نظراً في الأدوار المتأخرة من حياة اللغة . ولقد يتأتى اعتماد معاني أسماء الحروف الفينيقية في فهم الكلمات . ولكن لخلوها عن معاني أصوات كل حرف يبقى سر الحركات غير مفهوم كما يجب . وذلك لأن الجدول الأبجدي منفصل عن أشكال صورية كان يقال عليها هذا الحرف اسماً كقطع الألف . رسموه بما يشبه رأس الثور . ومعنى هذا المقطع (الثور) أيضاً . وعليه فيمكننا أن نعتبر بأن الأولين أي قبل عهد وضع الجدول الأبجدي كانوا يفهمون من (ا) الهوائي معنى الثور وما يشبهه فيكون له مصدوق الجنس . ثم في عهد بلوغ اللغة زادوا اللام والفاء تخصيصاً للنوع . ومن ثم نفهم أن هذه الحروف كانت تدل على أجناس معانيها الفينيقية في العهود الساذجة الأولى .

وإذا أخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقاربات يمكن عليها فرض التطور . واليك كلمة (شجر) التي تحل إلى (ش) ومعناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات و (ج) ومعناه جبل وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع و (ر) ومعناه رأس . والمعنى المؤلف (نبات مرتفع له رأس) وهو تماماً معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بماله ساق . وكلمة (جبل) التي تحل إلى (ج) ومعناه ينظر إلى الارتفاع و (ب) ومعناه بيت و (ل) ومعناه الملاصقة والمساس والمعنى المؤلف (بيت مرتفع ملاصق وكأنه للسحاب أو للارض) وهو تصور صحيح عن الجبل .

وكلمة (جبل) التي تحل إلى (ج) ومعناه الارتفاع و (م) ومعناه المياه وهو ينظر إلى السحاب و (ل) ومعناه الملاصقة أو المساس والمعنى المؤلف (مرتفع يلامس السحاب) وهو تصوير لوضع الجبل تماماً . وكلمة (سمك) التي تحل إلى (س) ومعناه (الدعامة) وهو ينظر إلى مطلق القوي المتحامل و (م) ومعناه المياه و (ك) ومعناه (كف) الذي ينظر إلى مطلق التبسط في صغر والمعنى المؤلف (كف الماء القوي) وهو تصور قريب عن السمك .

إذن فهذه الحروف ذات معانٍ جنسية وقد بقيت ملاحظتها في وضع الكلمات إلى آخر العهد اللغوي . وعليه فلا يبقى ما يستبعد معه تقديرنا الآتي من أن الثلاثي

والرباعي وما اليه لم تنشأ بالنعحت أو بشيء من هذا أبداً وإنما نشأت بزيادة الحرف فقط. وبعد فانا لا نقول بأن الجدول يضمن لنا دراسة كل كلمات اللغة وفهمها على وجه التحقيق . وإنما يمكننا أن نستروح اليه . وأهم شيء يفيدنا منه أنه يبرهن على أن اللغة انفصلت عنه ثنائية فثلاثية بحيث لا ينظر اليها كمنظرية إفتحارية (١) .

كما أنه يبطل المبالغة في تقدير عمل النعحت في السامية على الاطلاق . وخصوصاً في الأدوات . فان ما لا يرب فيه أن هذه الأدوات كان لها معان أولية تحجرت وبقيت كذلك لتدل هذه الدلالة المتحجرة (٢) .

وبالجملة نقرر بأنه يمكن اعتماد الجدول الأبجدي بمعانيه في تحليل الكلمات وردها إلى معانيها الأولية إلى أن يتم لنا استخراج جدول واسع يتناول معاني الحروف والأصوات .

الدور الثاني

نراي النظر في تحطف وتسكن . وراء حقب من التاريخ المظلم . إلى هذا العهد الذي بدأ الانسان يتوقل فيه . أو ابتداءه متوقلاً في مآتي التطور . ولكن على كل حال حقق خطوة لها غايتها وسن لنفسه طريقه في غير ما تحدد ولا التواء . وكان من نتائج هذه الخطى الأولى والساذجة . ان انتظمت مقاصده في أغراض جد يسمى وراءها . وكثيراً ما كانت تأتي خطاه متخلفة . وكان لها مع ذلك أثر ليس بقليل في الرقي العام . وركي اللغة وتطور المنطق الذي تقع منه في هذا الدور على تقدم محسوس . ونصادف الانسان بما انطوى عليه من الغريزة المكتسبة . يحاكي ويقلد على غير قصد منه .

(١) كلمة من وضعنا الجديد بمعنى (utopian) أي خيالي مغرق وهي نسبة الى كلمة (utopia) وقد جاء في المعاجم الانجليزية ان الكلمة لا وجود لها أصلاً وليست كما توهم ترجع إلى كلمة (topos) فلا يبعد اذن أن تكون مأخوذة من كلمة (طوبى) السامية بمعنى الجنة ومنه (طوبى لهم وحسن مأب) والكلمة الجديدة من قول العرب افتحقر القول والرأي أتى به غريباً جداً ولم يتابعه عليه أحد .

(٢) وبهذا يظهر مقدار المبالغة في تخريج الادوات والضمائر على سنة من النعحت وسبيل من الاختزال . وهو وإن يكن فيه شيء من الحق لا ينكر . فقد أخذ على وجه متزيد وأكثر من بالغ في هذا التخرج صاحب كتاب الفلسفة اللغوية فراجع ص ٣٢ . والحق أن طائفة منها وطائفة من الزيادات في الموازين حرفية من أول الامر كالتاء في (تَهَلَّل) والتاء في (تمفعَل) على ما انتهينا اليه فراجع في القسم الثالث من المقدمة . . .

ويقين أن الانسان بعد اضطراره إلى هذه المحاكاة بمحكم كونها المصدر اللغوي له
حسب . ترك ثروة ليست بقليلة في هذا المضمار وان كانت محدودة معدودة . .
وهذه الثروة هي أكثر المقاطع الثنائية التي يمكن فرضها . وانما أحلنا على الفرض
لأن من المعقول أن اللغة في حالتها الراهنة ، ووجودها الشاهد لم تعد تحتفظ من تلك
الثروة بأكثر من أنها تمثلها في وجودها الاري . وما بقي اليوم منها في المعاجم
(كأب ونب) فليس جميعها من الثنائي رأساً عند التحقيق كما سيأتي في محله . . .
ونحن وان ذهبنا نقرر بأن الثنائيات من وضع هذا الدور أو وليدة عوامله فلسنا
نعني أن ذلك كان بقصد الانسان الى التاليف والتركيب . وانما انتزعا تارة من مصدر
بسيط غير ملاحظ فيها تركيباً . وتارة نشأت بنفسها من ضم المقاطع التي يحتملها التعبير
وخصوصاً اذا كانت مجموعة المقاطع المضمومة تدل على معنى شخصي واحد . فبضرورة
استمرار هذا التعبير لهذه الدلالة يتوحد في غايته . وهذا لا يعجزنا المثل عليه بل هو
قريب وعلى طرف الثمام كما يقولون . وليس فرضاً بل حقيقة غالبية . مادمننا نستطيع
تعيين دلالة الحرف وصوته على أن في الأمثال التي سنوردتها كثيراً من الطرافة .
وطرافة بالغة . وبالأخص حين يكون عملنا محاولة لأول مرة تعرف في (علم تحليل
اللغة) . ولا نستطيع هنا الا التصريح بأن معرفة دلالة الأصوات تماماً . ودلالة الحروف
البسيطة كذلك . تحتاج الى مجهود كبير ، والى معرفة لغوية شاملة ، والى استقراء
دقيق ، يقعد بالباحث المنفرد . وذلك لأن اللغات المرتقية في وضعها الحالي . أصبحت
على بعد يقرب من الخلاف بالنسبة الى أوليتها القديمة . . .

ولذا سنقتصر الآن من التطبيق على بعض الحروف فقط ليكون كدليل على
صحة النظرية من وجه . ومدعاة لبذل الجهود وتوفيرها على تحقيق أصوات وحروف
كل لغة ونسبتها إلى الكلمات المؤلفة من وجه آخر .

والآن نستطيع أن نتخيل كيف كان يعبر انسان الدور الثاني . وكيف كان
يبين باعتماد معاني الجدول الفينيقي . ولو ذهبنا هكذا في التحليل لكلمات اللغة . وعلى
سنة منتظمة تقف على مستوى الأخيصة الواضحة . وعلى مقدار سداجتها . ونستعين بذلك
أيضاً على تحقيق التطور الوضعي وتاريخ الاشتقاق . واليك مثلاً على هذا (عبي) فان

(العين) تدل على الحيوان الزئيري . (والباء) تدل على البيت . وكان المعنى الأولي (حيوان البيت القوي) الذي هو كناية عن الرجل ثم اشتق منه بعد أطوار من الترتي اللغوي والشعبي . اسم للباس الرجل الخاص به (العباية) ثم غلب الأصل في معنى الفرع المشتق . واميت معنى الاصل بالنسيان أو بعدم الاحتياج . حتى صار في معنى الفرع حقيقة وضعية .

وكما قلت اقتصر على هذا المقدار من الامثلة للغاية عينها . وبودي لو استرسل في هذا المذهب من التحليل الطريف ، الذي يكسو البحث اللغوي جدة لاذة ، ولكن تحول دونه عقبات أقامها المقابلة بين فروع السامية . بيد أنا مهما تنصلنا هنا من التوسع في بحث الموضوع فلا نهمله من كل أطرافه . ونرى من الضروري أن نتكلم على رأينا في المعلمات . التي لا تتردد في الحكم عليها بأنها ثنائية ألحقت بالثلاثيات بتصحيح حركة الحرف حرفاً . واذا صح هذا التقدير فلا ريب في انها تكون أقدم ما حفظت اللغة من كلمات العهود السالفة والعريقة في القدامة . ومن ثم نفهم في الواوي واليائي معنى جديداً وهو انه الحركة الأثرية للحرف . وهذا عدا عما اختلف وطورته العربية متجاهلة الأصل الذي انشعب منه والهيمته التي ولد عليها . لأن هذا الأصل وهذه الهيمته بقية من الطفولة اللغوية كان لها في مدارك الطفولة معناها ومكانها . واما هي من العربية الراقية فليست بأكثر من مفرد ذي مدلول قد يقارب المعنى التركيبي القديم وقد يباعدده .

ويظهر أن العرب في أدوارهم الأخيرة قصدوا إلى تقليل المعلمات مطلقاً وامانتها وتوسلوا إلى ذلك بأمرين :

(١) إبدال الهمز به . وغلب هذا في المثال . وهي ظاهرة قلما تنبئه اليها باحثو الاشتقاق العربي . مع ان لها خطرهما في بناء الكلام وتحرير معانيها فمثلاً (اور) أصلها (يور) و (ابخ) أصلها (وبخ) و (أخى) أصلها (وخی) ولذا بقيت على قلة في المفاعلة فقالوا في (آخى . وأخى) و (أشاح) أصلها (وشاح) كما سيأتي في القسم الثالث بتحقيق . وأهمية هذه الملاحظة (عدا ما ذكرنا) في تصحيح التاريخ اللغوي وتمييز الأصول الموضوعية من الملحقة الحاقاً .

(٢) الحذف والتضعيف . وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمة الأهمية . من حيث وجوه المعرفة في الأولى فمثلاً (نبي) يصار بها إلى (نب) . وربما دل لهذا تقدير بعض المستشرقين في لفظ (مكة) وانها مشتقة من (مكا) بمعنى البيت العظيم في البابلية . واذا صح هذا ولا مانع من صحته . فأصلها معل . وفي دور التصحيح نقلوها إلى التضعيف . وكذا ما تحتفظ به بعض لغات القبائل من (أبا) في (أب) أي الولد . وأيضاً بناء (تفعل) من الثنائي المضعف يردّه إلى الأصل المعل كما في (تنظي) و (تمطي) فان النحويين ^(١) يقدرّون بأن حرف اللين منقلب من النون في الأول . ومن الطاء في الثاني . وهو مجازفة محضة اذا لم تقدر بأن أصل المضعف الثنائي . ثنائي معل . فرد إلى الاصل عند الزيادة هرباً من الاستئقال الذي يجر اليه .

والذي يقطع بأن المعلات هي صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها تحمل كل معاني الثنائي القديم . الكلمات ^(٢) التي كل حروفها من جنس (كاللَد) بمعنى اللهو و (الببة) كلمة تقال للطفل تلعباً وهكذا . فانها لا تعمل إلا على هذا الوجه . وكذلك سبب قلبها . وهي ترجع إلى المعل المعتمد على حرف واحد . فالبيبة ترجع إلى (البوّ) بمعنى ولد الناقة وجلد الحوار يحشى ثماماً أو تبنّاً . والدد يرجع إلى (ددا) بمعنى اللهو واللعب .

وتفسيره ان العرب لما أخذوا ببعض هذا الصنف من المعل ، على وجه التصحيح ومحو الصوتية منه قام على حرف واحد . بينما أقل ما تعتمد عليه الكلمة في العربية ثلاثة أحرف . فضعفوه هذا التضعيف ولثقله ندر وجوده في العربية .

على ان في العربية أيضاً ما يقطع عرق النزاع . في أن المعلات صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها أصل للثنائي المضعف . وهو الثنائي المخفف كدم ويد وأب وذلك لأنها ان كانت ثنائية ^(٣) ساكنة فلا معنى لتحرريك الآخر وهي تعتمد على

(١) راجع ملحقات شرح الاعلم الشنتمرى لديوان طرفة طبع روسيا . . .

(٢) هذا النوع الذي نص اللغويون على ندرته راجع كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه ص ٣ .

(٣) ذهب الامام الاصهباني والشيخ ابراهيم اليازجي إلى أن الاصل النشوئي القديم للغة هي

أقل ما به تتم الكلمة . وعليه فلم يبق إلا أن تكون منفصلة عن معل مما تكون به متخلفة بالنسبة إلى موضع اللغة .

ويدل لهذا الاعتبار فيها (أب) المحفوظ بالاعلال والتضعيف والتخفيف . وهو ينظم في تطورات ثلاثة أبا فأب فأب . وبهذا يعمل الاعراب بالحروف في الأسماء الخمسة . وذلك لأنها تعتمد على حرفين فإذا اضيفت أسهلوا الحركة وأشبعوها . والذي جمعاني أعمد انفصال أب من أبا دون العكس . ان القبائل التي تنطق به معلاً متخلفة من حيث الاجتماع مما يتبعه تخالف اللغة . وبقي أسباب أخرى قد تقوي وجهة النظر المذكور وهي :

(١) ان اللهجات الدنيا تميل إلى الاطلاق والتصويت وهذه ظاهرة عامة تقريباً .

(٢) ان اللغات القبلية التي تحفظ في الكلمة الواحدة تفاوت صوتية بتفاوت ارتفاع القبيلة .

(٣) ان العربية قد جازت^(١) دوراً صوتياً كانت الحركة فيه تنطق حرفاً كما سيحیی .

ومن ثم نفهم سر التضعيف الذي كان القصد منه طرد كلم العربية على ثلاثة أحرف والتحلل من الصوتية . وهذا التقدير وحده هو الذي يعمل السر في جريدة المعاني المختلفة ا كبر اختلاف . لكل كلمات الثنائي المضعف تقريباً . وذلك لأنها تنظر إلى أصول عديدة فمثلاً (شح) بمعنى بخل ينظر إلى (شیح) و (شح) بمعنى وسع ينظر إلى (شحی) وهكذا . وأيضاً به يمكن تعليل كيف كان من العرب من يقول في (مرّ میروفي زرّ زير وفي ذمّ ذام وفي كعّ كاع) إلى آخره مما هو كثير كثيرة مطلقة .

التناييات الساكنة كدق وان فالاول وضع في معجمه (مدّ) قبل (مدح) والثاني نشر في مجلة الطبيب (السنة ١٨٨٤ ص ١٩٤) ان الثنائي موضوع في الاصل على حرفين . وينتصر الاب استئناس الكرملی لهذا المذهب وقد توسع بشرحه في كتاب نشوء اللغة العربية ص ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١٢٠ .

(١) راجع ببحث تطور اللهجة من القسم الثاني في المقدمة .

على ان الثنائي المضعف أقرب الى اللفظية واقعد . مما يظهر انه عولج بالصقل اللغوي . ويؤيده انتشار المضعف في مثل هذه الكلمات وقلة المثل مما يشعر بأنه أخذ بالامانة . وفائدة هذا النظر من عدة وجوه .

(١) عقد وحدة دائمة بين معاني المثل والمضاعف والرباعي غير الأسم

والمهموز كعبي وعب وععب وععباً

(٢) رقوب مقدار التطور المعنوي بينها .

(٣) تحميم ما هو الحقيقة والمجاز فيها .

وهذه انما تتأتى لنا بهذا الملحوظ الاعتباري في اللغة . وينبغي أن ينبذ (١) الى أن الكلمات التي فيها حرف حقيقي تنظر الى المثل رأساً على وجه الاطراد . لأن واحداً من هذه الحروف ليس أصلاً .

وعليه فالمعلمات من بقايا هذا العهد السحيق . وانما رأينا هذا الرأي في وضع المعلمات على أنواعها لتخلف الجامع المعنوي بين صورها المادية الست . مما يدل على انها لم تخضع للوضع النظامي . وانما كانت وليدة فوضى الوضع القديم . وهذه الظاهرة اعتبرها صحيحة جداً في الدلالة على القدماء . وكذلك يجدها من تفرغ لدرسها بصورة استقرائية على كالم اللغة . وهنا نقف على أن المعلمات بأنواعها المختلفة أثرية وجدت قبل الوضع اللغوي الدوري . وقبل أن صارت العربية كلغة ذات فقه خاص واشتقاق ثابت على اطراد .

وهذا الدور تقرره كحالة لا بد منها في نشوء اللغات . ونمضي عليه بدون تردد . ولربما يحتمل مناقشة في غير اللغات السامية . وليس لأنها لم تخضع لهذه الظاهرة . ولكن لأنها في السامية اكثر وضوحاً . وقدامى لغوي العرب أدركوا شيئاً من هذا في كثرة المفردات ولكن وجهه لخدمة الاشتقاق العربي . ولم يحاولوه درساً كقانون في انشاء اللغة . وكذلك أدركها صاحب كتاب الفلسفة اللغوية غير انه تنبه الى أن الثلاثي متفرع من ثنائي سابق لا في الاشتقاق فقط كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه في الابدال وتعاقب الحروف . بل في النشوء اللغوي أيضاً . بيد انه كان

(١) راجع هذا البحث في الحلقة الثالثة من الدور الثالث من المقدمة .

كثير الغموض إلى حد كبير . وهو في محاولته اثبات هذا التقدير لم يجاوز ما قرره الأقدمون من الابدال والنحت في الثلاثي . مع ان العربي لا يعرف هذا النحت المتخصص كما سيأتي لك تحقيقه .

ولا ريب أيضاً في انه حين يقول بأن اللغة العربية مؤلفة في الأصل من أصول قليلة ثنائية . لا يعين انه يعني ان اللغة عاشت في دور كذلك ثنائية فقط . ولكن مع ذلك لا يسعنا إلا أن نقول بأن الفكرة اتقدحت في ذهنه . وان كانت متضائلة غامضة . واذا حاولناه انصافاً فلم تكن أفكاره في فواها . بأكثر من افكار كتاب العين التي بثها^(١) الخليل بن أحمد وأرسلها ارسالاً .

الدور الثالث

لم يعد الانسان في هذا الدور ساذجاً على المقدار الذي كان عليه في الدورين الأولين . سواء في اللغة أو في أي منحي آخر من مناحي التأهل الارتقائي بمعناه العام . ولم يكن أقل من ذلك في السمو الفكري والعلمي والحياة المدنية . . .

ولقد يمكن للباحث التاريخي أن يعين مبدأ الدور الثالث على مقياس ما عرف في تاريخ الاجتماع ونرجح أن يكون مبدأ هذا الدور . هو بعينه عصر الحجر المهدب . الذي تم للانسان فيه كثير من الرقي . فعرف استخدام الأواني الخزفية ، وابتناء المساكن ، وتدجين الحيوانات ونسج الملابس ، وتمييد الأرض للانتفاع بها واستدراها بالزراعة . . .

وكان بحكم هذه العوامل التي توفر الحاجة إلى الخطاب المبسوط على نسبة ما . ان وجه عنايته إلى اصطلاح المنطق . وجمع جهده في انتزاع الكلم وتحصيلها من أي وجه . ولذا غلب عليه الخلق والايجاد والضم والجمع . وما عليه أن يأتي موزوناً . مادام يجده كافياً لحاجته وهو مع ذلك غاية ماسمحت به الفواعل المنتشرة في الطبيعة والوسط والاجتماع . . .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ .

ونحن إذا ذهبنا نقدر مبدأ هذا الدور بالعصر الحجري المهذب . فلا نكون على شطط من التقدير أو على مجازفة من النظر . بل نكون قد سايرنا الواقع الذي يمكن للباحث التاريخي أن يتمحله بشتى القرأن والدلائل . وبهذا التقدير يتمكن الباحث اللغوي في سهولة، من استعراض أدوار النشوء في بناء هيكل اللغة، على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة . أو قائمة على أسس المفاجآت المحضه التي كانت تحمل محل الرضى من أذهان كتبة التاريخ العلمي قبل سلطة النقد وهيمنة قوانين التطور العام . وضروري أن نقدر أيضاً ونحن نشهد من تقدم الانسان كثيراً . ونقع منه على رغبة غير محدودة في التقدم الواسع . ان الثلاثيات كانت تتزايد وتتمو وتتكاثر . ولكن تكاثرها لم يكن بالقصد اليها وإنما كان على سنة التركيب الكلمي الذي يتخذ بحكم التعبير به عن الشيء الواحد صبغة الأفراد . ومعنى هذا أن عصر الحجر المهذب شهد ثلاثيات كانت تستعمل للدلالة بها على مفردات من الأشياء . . .

وهذا الدور الذي تقدره يقع في حلقات متباعدة المدى . ولكنها بقيت خاضعة حتى في عصور كونية اللغة لطلاب الثلاثي وحده . في شُعب كالعربية بحيث كان فيها وحدة المادة . ولربما يكون هذا نتيجة هيمنة اعتقادية . فان عقيدة التثليث ظهر أنها كانت تسيطر على شتى مآتي الانسان القديم . وكانت في أدوار مصدرراً عاماً للعادات . ولكل ما هو من عمل القبيل . .

ولا يستبعد احتمال هذا في جانب العرب القدامي . وهم من ذوي العراقة في معتقد الوثنية . وإذا صح هذا الظن فلا ريب في أنه يفتح أمام الباحث أفقاً جديداً من الدرس للعربية القديمة . .

ونحن إنما عمدنا إلى تقسيم الدور الثالث في حلقات خمس . لما أنها تعاقبت على اعتبار الثلاثي فهي بهذا لم تتغير في أساسها . وإنما اختلفت في نسب جمعت بينها تفاوتاً إرتقائياً فقط . وسنأخذ فيما بعد بالكلام على كل منها مع حصر النظر في التطبيق على العربية طلباً للاختصار ونفيًا لداعية الخلاف والمناقضة . وذلك لأنني على ثقة كبيرة من سلامة النتائج على العربية ولست أعني أنها ليست كذلك فيما سواها . ولكن أقصد أن تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج إلى فضلة مجهود وزيادة درس

الحلقة الأولى

في هذه المرحلة نشهد الانسان عاملاً جاداً مقتنعاً بقوته محكماً إرادته . ليخضع ما حوله من أجل معاشه غير منتظر ما تاتي به المصادفات . التي ينتهب العيش منها إثمهاً . بل عاملاً بكلتا يديه ليحيا ولينتفع مزوداً بمعارف من الطبيعة . وحيل مما اكسبته ضرورة التناحر . وانا إذا أطلقت لفظ الانتفاع فلا أريد الانتفاع الشخصي المؤقت . بل قد بدأت فكرة الادخار الاستغلالي أيضاً تثاب عنده على نسبة . كنواة للادخار التي صارت في غايتها أثرة وبيلة . فراح يؤنس الحيوانات ويدجنها . كل ذلك من أجل ضمانة المستقبل . . .

ولقد أعمل ضروب الحيلة لتكوين منطقته بين هذه المطالب الجديدة . والآفاق الارثاقائية ، التي انفسحت أمامه . وكان أن أدرك طلبته بنجاح أطرد مع الترتي الانساني . وكذلك لن يقف الا حين تقف الانسانية عند حدودها الفاصلة . فكانت له لغة يستطيع بسهولة أن يعبر بها عن خواجه ، وعواطفه ، وأشياءه اللاتي تلامس حياته ، ويقع عليها بحواسه . وان كان ضيق نطاقها الطبيعي يجعل تعبيراته عامة . واصطلاحاته على اشتراك . . .

ولكن مهما يكن فلقد كانت لغة على مقياس من تفكيره وحوادثه . ولا يبعد أن تكون هذه الحلقة امتدت إلى آخر العصر (البرونزي) الذي تم للانسان فيه وضع الحجر الأسامي في بناء الحضارة . ومن ثم كان لنا أن نقرر أيضاً أنها بقيت طيلة الحلقة الأولى على غير تناسب ولا نظام . وذلك لأنه لم يعمل فيها يد التنقيح بعد . وانما كما سبق يجتهد في اصطناع الكلمات لابرز تصوراته وأفكاره ومكونات نفسه . ولنقل ما يريد إلى من يشاركه الحياة ويمجاوره المسكن . . .

- وعمد هذه الثروة اللغوية التي تقدرها في الحلقة الأولى من الدور الثالث .
- (١) المفردات ذات المقطع الواحد (وهي الجدول الهجائي فيما بعد) . .
 - (٢) المفردات ذات المقطعين وهي المعلات في دور النضوج اللغوي .
 - (٣) المفردات ذات المقاطع . وهي التي انتهت كوحدة في العربية تنحل اليها

كلمات اللغة وتصدر عنها . وهذه المفردات الأخيرة كثرت جداً . وكان من وجوه
كثرتها كون المفرد الواحد ينطق على أشكال مختلفة لتأديت مختلفة أيضاً . . .

الحلقة الثانية

قارنت هذه الحلقة من حياة اللغة . العصر الذي اصطاح عليه في الدوائر العلمية
والاجتماعية باسم العصر الحديدي . وفيه عرف الانسان كيفية استخراج الحديد ،
واختراع الكتابة ، وشاد المدن ، وقطع أشواطاً بعيدة من الحضارة ، وبدأ عهد
المدنيات العظيم .

ولا ريب في أن اختراع الكتابة يكشف عن مقدار التقدم اللغوي لذلك العصر .
فان من المعقول جداً تأخر الزمن الذي يصبح الانسان في حاجة إلى تقييد أفكاره ،
ومبادلة عواطفه ، مع البعيد عنه .

وكانت الكتابة أبداً وليدة الرقي اللغوي والاسلوبي ، والبسطة في مدارج البيان .
فحاجة الانسان إلى الكتابة في العصر الحديدي يوضح لنا المبلغ الراقي الذي وصلت
إليه اللغة . وليس كذلك فقط بل تدل على العقلية اللغوية أيضاً .

وفي رأي أن الكتابة من وسائل التقدم اللغوي ، أو هي الوسيلة الفعالة بالمعنى
الصحيح . ولا يكن ما أقرره من هذا غريباً أو مدعاة للنسائل . وان كان يعزو كثير
من المستشرقين رقي اللغة عند العرب إلى عدم الكتابة . مما كان سبباً قريباً لمرونة
السننهم . ما دام واضحاً جداً أن لغة التعبير المطلقة على حرية كبيرة في المذهب
البياني . حين لا تقضي بأكثر من أن يرسل الكلام رسالاً معبراً عن المقصود كيفما
تأني . ما فتى قميناً بحصول الغاية من الخطاب .

بينما الكتابة ليست على هذا الوجه . ولا على مثل هذا اللون . فهي تأخذ في
مذهب بعينه ، وتفويض في طوابع خاصة ، وتعمل دائبة على التقليل والتهذيب . ما دامت
تقدم نماذج للمقارنة بين المنتجات للانسان المترقي . فتدعو للأمانة والايجاد ، والاختزال
والاطناب ، على حسب الدواعي . وبالأخص حينما تقع من الانسان على غريزة طلب
الأصلاح . ولست أنكر أيضاً ما يجيء به المستشرقون تعليلاً لركي العربية . لأنني أفهمه

على خلاف ما يظهر منه . أفهمه على معنى الرقي السكيني في اللفظ فقط . والا فالرقي الغوي في صميمه ومادته ليس كذلك أبداً . ولا أتردد في عزوه الى الكتابة فقط . ولولا الكتابة لما كانت لغات اليوم . إلا شواهد كما يخرج باطن الأرض من نصب وتمثيل . اللهم إلا إذا كانت على تقدم نسبي .

ومن ثم صرنا نشهد أقواماً على حضارة ما ولغة متخلفة . لأنها لم تكتب بعد . والكتابة وحدها هي التي تجعل اللغة كأنها حياً يدب ويسعى . لأنها منه بمنزلة الوجه الثابت ، والوجود المستمر .

هذا شيء لا أرتاب به ولا أظن أحداً من الناس يرتاب فيه أيضاً . ولذلك لن أكلف نفسي عناء الإكثار في التحدث عنه ، وتكلف أسباب الاقناع به . وحيث كان هذا العصر مولد الكتابة . وكانت فيه الحاجة اليها . فلا نكر في أن تقدر سمو هذه الحلقة من الوجهة الغوية . وهي في ظننا الخطوة الأولى لتنظيم اللغة . ومن ثم تهيات بما تمثلته للاطراد في الترقى على سنة آلية مستقيمة .

وكانت المفردات الأحادية ، لا تزال تسد مسدأ في اللغة ، وتزاحم في الوجود البياني . ولكن بنمو العقلية في هذه الشعبة ، بدأ يطرح المفردات الاحادية كذات دلالة معنوية على الافراد . ويميت فيها دلالتها الخاصة ، حتى لم يبق لها أثر إلا في تكثير مفردات اللغة بالزيادة بها ، ولكن على وجه لم يستقم بعد تمام الاستقامة . فلم يكن للزيادة بها كيفية وقانون ، بل كل ما في الأمر ان الانسان لم يعد يتكل في تكثير اللغة ، وتسمية الأشياء ، على المصادفات الطبيعية ، أو الملابس الظرفية . بل أصبح يلجأ إلى التأليف تارة ، والتركيب تارة أخرى ، عند الحاجة وبحسب المقتضيات .

وروح هذه الكثرة ، والعامل الأوحد فيها هي المفردات الاحادية (جدول الهجاء فيما بعد) رغم انه لم يكن رتب على وجهه .

وكما قلت لم يكن للزيادة بها قانون يصطنع عند التفريع . فكان يزيد على الثنائي هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة . ومن ثم يتضح الفرق بين ثلاثيات الحلقة الأولى والثانية . فان الثلاثي في الأولى . كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث

كلمات . فلم يكن مفرداً في مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه . بخلافه في الثانية فقد كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الآنية . وان كانت ذات دلالات أثرية عن عهد من الوجود اللغوي أدنى . كما قصد فيه من أول الأمر الوضع الشخصي . ولا شك في انك تلاحظ فرقاً بين ما دخله القصد في أن يكون ثلاثياً . وبين ما كان ثلاثياً بضرورة تشخص الموضوع له .

وبتحريز هذين الفرقين ، يمكن أن نقف بوضاحة ، على مميزات كل من الحلقتين ، وعلى درجة التفاوت بينهما

وبناء على هذه الافتراضات المظنون صحتها ، لم تعد اللغة انكالية أبداً . بل أصبحت على نسق مثلي من الكائن الحي ، فيما بعد دور الطفولية يهيء لنفسه أسباب البقاء في غير معونة لأنه متمتع بكل مقومات الحيوية . لا ينقصه شيء مما يلزم لبقائه الاولي ، إلا كما ينقص الحلقات المقفودة في تقدير النشويين . على ما في هذه المقومات من استعداد للتطور المستمر ، وقابلية للوجود الارقى . وسيمر بنا أمثلة عن هذا الاستعداد ، وهذه القابلية في وضوح ، وفي غير ما ابهام .

الحلقة الثالثة

في ظننا أن هذه الحلقة ، ترتبت من الحلقة الثانية ، فقد أدت إليها بما هيأت فيها من أسباب ، وبطنت من قوى .

وطبيعي أن تؤدي هذه القوى التي لها طبيعة النواة وخصائصها . إلى الحلقة الثالثة في تقديرنا بكل ما اشتملت عليه ، وجميع ما امتازت به . من طابع لغوي ، إلى عمل وضعي ، إلى نشوء نظامي ، لا يختلف في شتى اعتباراته .

ولا يمنع دون هذا أي شيء من إحالة . فان الحلقة الثانية التي انفصلت بما شهدنا من ارتقاقات لغوية ، في البناء والوضع . حتى تم للانسان أن يجمع هدفه في الكتابة بعد اللغة . وتم له معرفة الاسم ، والفعل (بمنزلة الوصف) والحرف المهمل ، دون الحرف الذي جاء لمعنى .

وإنما رأينا هذا الرأي . لأن من البعيد جداً التقدير الذي يقرر عرفان الاسم

الوصفي حينئذ ذلك . لأن الوصف في الحقيقة . علم على معان تقوم بالأشياء ، أو على وحدات عرضية تقال على الذات . فتقرر الاسم كعلم ، ثم إبرازه كوصف محض ، عمل مركب فوق منزلة اللغوي الراهنة . كما أن تقدير إدراك عقلية الوسط لهذه الوحدات والمعاني ، يكاد لا يماسك أو هو غير متماسك بالفعل . لأن انتزاع وحدات الأشياء . يحتاج إلى عقلية علمية ناضجة ، وإلى دقة في المقايسة والموازنة مما هو بعيد بلاريب عن هذه المنزلة التي تقدرها .

وأذكر أني رأيت بمخاشا مستشرق كبير . ذهب فيه إلى أن الساميين لزم من متأخر ، كانوا لا يعرفون من الألوان سوى الواضحة كالسواد والبياض . وهذه علامة اتخذها كظاهرة من طفولية الأمة . وإخال أن هذا صحيح . وربما أيده عدم معرفة العرب للون اللازودي ، إلى ما بعد خروجهم من الجزيرة ، مما اضطرهم إلى استعارته بلفظه وإهابه الأجنبي . وإنما كان يستعوض بالفعل عن الوصف . ولا يؤخذ من اطلاق لفظ الفعل ، أنا نعني الفعل المهذب ذا القواعد المقررة . بل ما يقارب المصدر في المفهوم اللغوي . كما سيأتي في بحث (الافعال) من المقدمة وكذلك نؤكد عدم معرفة العربي حروف المعاني في كل الحلقة الثانية . التي هي في مقياسنا الوجه اللغوي للعصر الحديدي . وذلك لظهور التحولات الطويلة فيها التي صيرتها أدوات في نظم الخطاب

واليك مثلاً (واو الجمع) فهي في ظننا واو العطف ، المختزلة من كلمة (ووَ) التي تحتفظ بها العبرية بمعنى (وصل) . ونقلت إلى الجمع للاشتراك في الدلالة . ولذا عرف قدامى النحويين الجمع ، بأنه ما أغنى عن التكرار بالواو . وهذا الظن قديما راض بالقلب ، ولكن البحث اللغوي معارضاً بالعقلية الساذجة ، قمين بتصحيح ظننا على وجهه .

وكذلك (أو) العاطفة فهي عندنا متأخرة عن واو العطف وكأنها مركبة من واو العطف وهمزة الاستفهام . ومن ثم يظهر كيف قالوا هي موضوعة في الأصل للشك . ومثلها (أم) الموضوعية للتقسيم بملاحظة أن الميم علامة الجمع الخ^(١) . .

هذه الحيوية الخصبية في كيان الحلقة الثانية . أدت إلى التثبيت اللغوي ، وإلى

(١) بسطنا الكلام عن الأدوات في كتاب (دراسات على فنون العربية) . ولأو على هذا التخريج نظير في الإنجليزية وهو (almost) المؤلف من كلمة كل والاكثر لنعطي معنى تقريباً . وهو في الاجنبية يكثر كثرة مطلقة .

نوع من بلوغ الحي . وكان من نتائج هذا البلوغ ، ان اجتهد في ضبط موضع الزيادة ، بدون ان يتركها على فوضوية من تعيين الموضع المذكور . فهو لم يكن يعرف قبل هذه الحلقة موضعاً بعينه يخص الزيادة به ، ولا قانوناً لها ، ومر به زمن ليس بقليل حتى اصطلح الموضع الخاص بها .

ومضى قدامى رجال اللغة ومحدثوهم ، في غير تردد ولا تنكر ، على تعيين (١) الآخر موضعاً للزيادة في الأكثر . فانك لو أخذتهم من أقدم العهد الدراسي أي من عهد الخليل إلى العهد المصري ، لوجدت الجماعة على وفاق من تعيين الموضع المذكور . . .

وينبغي أن لا يفهم من عبارتنا ، أن اللغويين (٢) قدروا الدور الثنائي وأثبتوه كعمر مرت به اللغة ، في تطورها الطبيعي للتكامل .

وإنما كانت كل أبحاثهم في هذا الباب ، عبارة عن أن الواضع لاحظ عند وضع بعض الثلاثي معنى الثنائي ملاحظة مشتركة . كقط في قطع وقطف وقطم وهكذا .

وكما قلت لم يترددوا في هذا الظن أبداً حتى اصلوا عليه أصولاً ، ووضعوا ضوابط أتى عليها علماء (٣) الاشتقاق كأبن جني في سر الصناعة ، والزجاج في الاشتقاق ، وابن الاثير في المثل السائر إلى سواهم . ونحن وان كنا لا ننكر أن في كثرة من كالم اللغة ما يسند هذا الظن ، أو يحمل عليه ، تقول بخطه ونرى رأياً آخر يبين رأيهم ويخالفه . ورأينا وان كان يبدو غريباً فلا يبين الصدق ، ولا يجانب الواقع ، وهو جدير بالدرس والتوسع .

ويجب أن لا نفعل ونحن نؤرخ للتطور اللغوي ، أو بعبارة أخرى للتطور الوضعي عند العرب ، أن الأمر قبل كل شيء وصفي . وأقصد بهذا أن على الباحث استقراء

(١) ويقدر بعض باحثي اللغة اليوم كزبدان والاب أنستاس الكرملي إلى جانب هذا وجهاً احتمالياً يأخذ الثلاثي على انه يحتمل ان يرد إلى ثنائي باعتبار زيادة الفاء او العين او اللام راجع كتاب الفلسفة اللغوية للاول وكتاب نشوء العربية للثاني وسيمربك مناقشة هذا الرأي الاحتمالي في القسم الثالث من المقدمة .

(٢) اي القدامى منهم وان كان بعض متأخري اللغويين يراه طوراً نشوئياً ثابتاً .

(٣) لخص هذه الضوابط تلخيصاً حسناً صديق حسن خان في رسالته (العلم الخفاق)

مفردات اللغة وأخذ صفة عامة لها ، قبل أن يلتبس وجه التعليل المنبني على تقديرات مجردة . وما أيسر التقدير في جانب الدرس . ولكن قلما يأتي بنتائج عملية صادقة أو لا يأتي بها أبداً .

وهم في تقديرهم درجوا على ان الآخر موضع الزيادة . ونحن نقرر انه الوسط دائماً في غير ما يكون حلقياً من المواد . فان حروف^(١) الحلق عندني منقلبة عن أصوات هوائية تصحب الحرف . ولم تستقر على الوجه الحرفي بالمعنى الدقيق إلا بعد بلوغات لغوية عديدة . ومن ثم لا يصح أن يعد الحلقى حرفاً في مباحث التأصيل . فقطع ترجع إلى (قط) ، وحلب ترجع إلى (لب) ، وعصفور ترجع إلى (صفر) التي ترجع إلى (صر) ومنه الصرّ طائر كالعصفور ، والصرصور الخ . وأيضاً ما كان فيه حرف نون فالأكثر زيادته . لأن النون تنوين بالغ فقط . (فنهـر) يرجع إلى المل (روى) الذي منه الري . ويشهد لهذا كلمة (ددّ) بمعنى اللهو ، الذي حفظ على وجوه ثلاثة تنتظم التطورات التي نفرضها . قالوا (ددا) و (ددّ) و (ددّان) وقالوا في جمع دينار دنانير . وكذلك الناء يكثر كونها منقلبة عن واو وهكذا .

وبالبحث المستفيض ، والدراسة الدقيقة ، والمقابلة الصادقة بين المفردات بوجه عام . نقف على صدق النظر المذكور . ولا تظن اني سأتكلف أمثلة صدقت فيها وجهة النظر مصادفة أو اتفاقاً . بل سأخذ في عرض أعرق أمثاتهم ، وهو (قطف) فانه يرجع إلى (قف) وكما تشهد المعاجم يدل على الضم والجمع و (الطاء) تدل على الالتواء والانكسار . وهذه الدلالة تنسحب على كل الجامع الحرفي كقذف وقرف وهكذا مما سيأتي تحقيقه ببيان ومقابلة في (بحث الثلاثي من القسم الثالث) . ولا بأس من أن ننوه هنا ، بأن صنيع الجوهري في بناء معجمه (الصحاح) على ملاحظة لام وفاء الكلمة . هو الذي الفتني إلى هذا الرأي ، وانبهني إلى هذا الظن . وان كان ليس مبني ملاحظة الجوهري اصلاً ، وانما ملاحظته معجمية فقط . وأرى أن الحامل له على هذا الوضع ، هو ما رآه في كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس ، من تنصيص

(١) ويشهد لهذا عدم وجودها في اللغة البابلية التي هي بلاربي ادنى مستوى من العربية بالنظر اللغائي راجع كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ٢٠ و ٣٩

على الاصاله . فمثلا (جند) يقول فيها الجيم والنون والذال أصل . فالجوهري طلباً للاختصار بنى معجمه على الآخر والأول ، الذي هو في قوة النص على الحروف الاصول . هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان . ولقد يزيد في خطورة الحلقة الثالثة ، أن تكون انتهجته في التفريع والتأصيل الوضعيين . واذا تقرر هذا وهو ليس بعيداً ، فتكون هذه الحلقة من التقدم اللغوي بمكان .

ولكن قد يقال بعد تقرير هذا القانون . كيف كان طبعه في الأفراد حتى يصدروا عنه ؟ وأي تقدير يحتمل في هذا الصدد مستبعد ، من مثل المجامع اللغوية وما إليها .

أقول من المظنون ان هذا عمل فردي ، ثم تنطبع به الجماعة بعد الانتشار والشيوع ، ويتقرر على الأيام كظاهرة لغوية . ولهذا شاهد من المكتشفات الحفرية . فقد ورد في قائمة أثريات الحفر ، الجاري عند اللاذقية في (رأس شمرا) ذكر لوح كتابي ، عليه حروف مسمارية . وحروف يصطنعها صاحب اللوح بين المسمارية وبين الفينيقية الشهيرة ، مما حدا بالمكتشفين إلى الظن بأن الكاتب فينيقي ، اجتهد في اختراع الأبجدية الفينيقية ، وكانت هذه إحدى محاولاته .

قد تكون هذه القوانين اللغوية ، عملاً من هذا القبيل . وقد تكون عملاً جماعياً ، تقوم به الجماعة ، ويتقرر من غير قصد اليه ، كما هي سنة التطور في الأشياء ، وفي عامتنا الشائعة ما يوضحه . وان كنت اميل إلى أنه من عمل الأفراد الجيولين ، ثم يأخذ سبيل الشيوع والعمومية . ومن هنا نقف على ان عمل العربي في هذه الحلقة ، كان في الاهتداء فقط إلى محل الزيادة . ومن بعد اطرده التكاثر على سنة بغيرها لا يعدوها ، ولا يأخذ مأخذاً مبايناً ، بل يحاكي ويقلد ، ويلحف في المحاكاة على قانونها .

الحلقة الرابعة

ربما كان الحديث في كل هذه الحلقة مفاجأة مطلقة . وربما كان من العسير التسليم به والاستدلال عليه . ولكن هذا لا يمنع من المضي في تقرير ما نرى . وأيضاً

لا يمنع أن يكون هو الواقع فكثيراً ما كان الخاطر موقفاً ثم يجيء على تأكيده العلم .
على أن ما نحن منه الآن بصدد ، لا يعد كذلك برمته ، بل لبعضه مؤيدات
وشواهد وقرائن ، ان لم يكن كل الواقع فليس بعيداً عنه : وان لم يكن نفس الحقيقة
فليس يباينها .

ومع اني أعتقد بأن ما أقدمه في هذه الحلقة هو أعظم أبحاث المقدمة وأخطرها ،
فلا أغفل الدارسين بل أنتصف للدرس ، وأنتصر للتاريخ ، وأقول وملء قولي صراحة ،
بأنه رأي يعتمد الاستنتاج ، وان أتجده الصدق على مفردات اللغة .

انني أنتظر أن أفاجيء بكل هذا ، في حديثي عن الحلقة الرابعة التي فيها تم
التوضوح اللغوي عند العرب . فلم تعد اللغة في حاجة إلى شيء مما كانت تحتاجه أولاً ،
بل خضعت خضوعاً عاماً لأصول في الوضع ، أعتبرها اللغائيون (الفيلولوجيون) أسمي
وأرفع ما عرفت أمة من الأمم .

تركنا العربي في الحلقة الثالثة ، يزيد زيادة تعتمد طريقاً واحداً ، ولا تنتكب
أبدأ الرسوم والاعلام المعينة . والآن نراه (لما انفسح امامه من الآفاق الارتقائية على
اختلاف شعبها وهذه كثيراً ما تتداخل في مشابهاة تقضي بتوحيد الوضع) يلجأ إلى
القلب . ويحاول أن يجعل منه منفذاً إلى غرضه ، أو فيه تحقيق كل ما ينبغي من جملة
براميه . ففضى عليه ووضع متخذاً أسبابه ، ولكن بقي كشيء لم يتقنه بعد تمام الثقافة ،
ضرورة انه ابتداءه ابتداء . بيد أن قد وجد فيه توفيراً للعناء وتخفيفاً للمؤونة . فاجتهد
باتقانه رغبة منه في أن يجعله السبب الوحيد إلى الوضع غير المتخالف . ولم يترك الوضع
عليه حراً ، بل محكوماً بقوانين تحفظ الفكرة الواضعة ، وترجم عنها في وضوح . ومن
ثم نرى العربي بعد ما اعتمد في التزيد اللغوي على المفردات الأحادية (الجدول
المجائي) يذهب إلى ترتيب هذه المفردات كحجولة انتهت به إلى الترتيب المجائي
ذون الأبجدي . لأنني أشك أشد الشك في أن تكون الابجدية ترتيباً صحيحاً ، ويحيل
إلي أنها عبارة عن ضوابط للحروف ، متخذة شكلاً كلياً لتسهيل الحفظ . هذه العادة
التي انتقلت إلى أصحاب الفنون . وكأن الاولين تنبهوا إلى هذا ، فزعموا أن هذه

الضوابط منقولة عن أسماء^(١) ملوك أقدمين اجتهدوا في اجراء حروف اللغة عليها .
بينما البساطة كلها تتجلى في الجدول المذكور ، ولا يفهم عني اني اقرره كما هو
اليوم أي على شكله وحروفه ، لوضوح التخالف في بعض مواضعه ، والزيادة في
البعض الآخر . ولكن مع ذلك هو أقرب ما يكون إلى الأصل ، ولا يمكننا إلا أن
تقبله كما هو لتصحيح الوضع في المستقبل بقطع النظر .

ومن المحقق أن اختيارنا قد يكون مدعاة للتساؤل ، ولا أنكر أن هذا التساؤل
صحيح ، ولكن اطمئن جداً الى اختيار الجدول لسببين :

(١) شهادة المقاليب بحسب قاعدة الدوائر التي ستمر بك .

(٢) تشكك الحفريين في قدامة الحروف الفينيقية ، بعد ما اكتشفوا من
آثار عرب الجنوب التي ترجع بتاريخها إلى ما قبل أقدم أثر فينيقي . مما لا يبعد معه
الظن بأن عرب الجنوب كانت لهم حروف على ترتيب خاص يكتبون بها .

ومع اعترافي بأن كل هذا لا يكفي لاثبات أقدمية الجدول على ترتيبه ، لا استطع
إلا أن أثبت له هذه القدامة ، ما دامت مقاليب مواد العريضة تنتظم عليه ، ومن ثم
أراني متحلاً من أية تبعه في اعتماده وتقريره .

وكما قلت جعل العربي القلب محور الوضع ، ثم اجتهد في تنظيم قاعدة المقاليب
والوضع على اعتبارها ولقد تأتي له استخلاص قاعدة موزونة جداً ، بعد أن رتب
الجدول الهجائي (وقد يصح اعتماد الابجدية ولكن أجدني أميل الى الجدول) .

وهذه القاعدة قيمة بتوليد ستة مواد لكل ثلاثي ، متخذة تولدأ على مثال
تولد السكائن الحي ، وأيضاً تعيش في أدوار محدودة لا تتعدها ، وتخضع ككل شيء
للناموس العام ، كما انها تعين المادة الاصل ، ثم المقاليب على التوالي التاريخي ، بحيث
تقف من بعد علي مقدار قدامة كل مادة ، ومعرفة العمر الطويل الذي عاشت فيه .
وسياتي الكلام عليها مفصلاً في القسم الثالث ولكن لا بأس من أن نلم بطرف منها .
هذه القاعدة تعتبر أقدم المواد من الثلاثي ما كانت مساوقة للترتيب الهجائي .

(١) راجع تفاصيل هذا الزعم في كتاب ادب الكتاب للصولي ص ٢٩ .

فأقدم مادة من ثلاثي (م ل ك) هي (كلم) وطريقة توليدها بجعل العين واللام .
فاءً وعيناً . وعليه فالمادة الثانية (ملك) والثالثة (مكل) . ولو ذهبنا نستولدها على
الطريقة عينها فلا تلد إلا مادة الأصل (كلم) . وهذا يشبه من كل وجوهه قانون
(Atavism) الرجوع إلى الجذ - ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتاج ، إلا بنوع من
التغايرات يجري عليه بعد تمثيله دائرة بكاملها .

والتغاير الذي تقضي به القاعدة ، يكون بجعل اللام من مادة الاصل (كلم)
عيناً ، وحينئذ تتولد المادة التي هي رأس الدائرة الثانية (كل) التي ينشأ عنها (ملك
ولكم) . ويقف الثلاثي عن الانتاج أبداً بعد استيفائها . ومثال القاعدة على الترتيب
المذكور .

الدائرة الأولى « كلم . ملك . مكل »

الدائرة الثانية « كل . ملك . لكم »

والقاعدة تقضي بوجود جامع معنوي بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن يتخلف
وان كان على بعد ، وانما التحالف في الخصوصية فقط . ومن هذا نعلم أن الواضع القديم
كان يحجر التشابه بين المسميات ليضع لها من مادة تتوافق في مفاهيمها التي هي
(ملاحظة الوضع) وان تحالفت في الماصدقات . وليس هذا دعوى مجردة ، أو
اجتهاداً مفتعلاً ، وانما هو شيء راهن في التطبيق على مواد اللغة . وما أبالي إذا
صدقت باستبعاد مستبعد ، أو بنقص في مقدمات الاستدلال التي تتوقف على هدم
سور مجاهل التاريخ .

وأعتقد بأن مقدار الثروة العظيمة التي حازتها العربية ، انما كانت من عمل القلب
فقط ، بينما كان عمل الابدال وما اليه في جانبه نذراً يسيراً . ولنوضح هذا على المثال
المضروب بالمقابلة بين أوضاع المقاليب الستة ودلالاتها ، التي نخرج منها بمعنى يصح أن
يكون جامعاً وهو (القوة تترك أثراً) والقوة في كل شيء بحسبه . ومن ثم تقف على
ان اصالة نقل (كلم) الى الكلام بمعنى اللفظ بملاحظة الكلام النافذ ، أو لملازمة
الكلام للقوة وما إلى ذلك من علاقات النقل . ولا ريب في أن وضع الكلام بمعنى
اللفظ ، متأخر جداً لعموض العلاقة ولضعف الجامع المعنوي فيه . وسيأتي درس القاعدة

بتوسعة وعمق في القسم الثالث ، بما لا يترك شبهة في أن العربي صدر عنها في وضعه ،
وما تفكك أسبابها . ولقد يبدو مهماً أن يكون العربي استعمالها بدقة تفوق أرقى لغة
عصرية . وسأضرب هنا مثلاً على سبيل الايضاح ، ليست له صفة مشتركة ولا جامع
معنوي ظاهر ، اذا سايرت نهج القواميس . وانما تبين لك الحقيقة حينما تأخذ بتطبيق
قاعدة المقاليد . ولهذا المثل قصة أوردها هنا ، بياناً لمدى الخطأ الذي تقع فيه إذا
تجردنا الى المعاجم فقط ، دون أن نترك للقاعدة عملها فيما تسوق المعاجم من نصوص .
لما كنت آخذاً بوضع مواد المعجم ، عرضت لي مصادفة كلمة لم يكن عندي خاطر
عنها ، وانما كان مفاجأة وجدانها والخطر اليها . وقفت على بحث أثري عن
(حضرموت) وكان أن جاء فيه ذكر قلعة تبلغ سبعة طوابق ، تسمى (حورة) فقدح
في خاطري هذا الاسم ، فأصبل مادتها في الاشتقاق لناطحات السحاب ، وكان أن
اشتقت لما زاد عن سبعة طوابق لفظ (مُحارة) بالضم كقمامة ، وهنا تساءلت عن
(المحارة) بالفتح - صدفة الأول - فشككت في أن تكون من مادة (حور) .
وقدرت أن تكون من (محر) ، وكما كانت دهشتي بالغة حينما رأيت صاحب اللسان ،
يرد المحارة إلى (محر) على رأي الليث ، وان كان الفعل مماثلاً ، بينما الجمهور يردونها
إلى (حور) ذهباً مع عدم وجود الفعل في اللغة . وذلك لأن القاعدة تقطع بهذا ،
فان من مقاليد (رحم) وعلى ضوء قاعدة المقاليد ، نقف مبهورين للملاحظة الدقيقة
التي بنى العربي الوضع عليها ، وهي التخصيص في كيس الحمل الجنيني على فصائل
النوع تخصيصاً ملاحظاً فيه أدق الميزات . فان من المحقق ان (اللؤلؤ) حيوان في
الدرجة الانتقالية ، ومن المحقق أيضاً أن هذا كان شيئاً معروفاً لعصر الوضع العربي ،
فلم يبق ما يستبعد معه ، ظن ان العربي وضع للكيس الجنيني في الحي التام الحياة
(رحم) ، وللكيس الجنيني في الحيوان الانقلابي (محارة) وعليه فالمحارة كيس
جنيني للؤلؤ .

يعجب الباحث العلمي أشد العجب حين يقف على هذا الوضع المكتمل للملاحظة ،
والذي لا يقع على مثله في أية لغة عصرية على سموها العلمي واقتمادها اللغوي .
وبالجملة فهذه القاعدة لست على تردد من أمرها ، ولا على شك من صلاحيتها

لتكثير اللغة عند الحاجة ، ويكفي انها تضمن احداث مواد لا تعرفها عربية المعاجم ، وان كانت تدل عليها ، لما تقرر من وجود جامع معنوي بين المقاليد . فلم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الاحوال ، تعيين الدلالات بحيث لو وضعها العربي ، لما تجاوز بها هذا المعنى . عدا عن انها تعين المئات من المواد كما سيأتي لك في مادة (زفن) فانها عينت وجود (فنز) في دور من العربية ، وان كانت لا تحفظها المعاجم اليوم ، ولم يدركها عهد الرواية . ويؤكد ما أوصلت اليه القاعدة ، النص الأثري الذي احتفظ به صاحب القاموس وبسطه صاحب التاج ، من أن الفنزج رقصة .

وعدا فائدتها نظمناً جداً إلى عرفان العربي لها في هذه الحلقة ، وانها خطته الوحيدة في الوضع سواء بنى الاصلة على الترتيب الهجائي أو الأبجدي . وكيفما كان الأمر فلا مناص من اعتماد هذه القاعدة في تصحيح نصوص المعاجم التي لا نكاد نظمناً إلى كثرة منها ، وفي تلافي تحالف العربية حيمال ما يغدق العلم من اتساعات موضوعية تستمتع تزيدياً في اللغة .

وقد يتساءل عن وجه هذا الترتيب الدائري ، وعن كيفية اتساق اللغة عليه ، مع العلم بأن العربي اهتدى إلى قاعدته ، بعد أن كانت لغته موفورة المواد التي ليست على اعتباره .

ولكن نقول إيجاباً بأنه اهتدى إليها ، ولغته غنية بالمواد الثلاثية ، وهذا لا يتنافى مع الترتيب الدائري المفروض ، لأن الوضع الأول الذي ترك الثروة المذكورة ، كانت الملاحظة فيه ساذجة وعمومية ، وبعد الاهتمام الى قاعدة المقاليد ، اجتهد العربي في طرد المواد جميعها الموضوعية وسواها على اعتبار القاعدة في المعنى والخصوصية . فلقد تكون مادة ما ، أقدم مما تقضي القاعدة بتقدمها ، ولكن بهذا المعنى والخصوصية تكون كمتقضى القاعدة . على معنى ان العربي أمات فيها معانيها المتخالفة ، ليضعها على خطة ذات وحدة متفاهمة .

هذا هو الثلاثي في نشوئه وتزیده ، ولا تركن إلى شيء مما يخيلون به في أصله ، لأن مبناه على الخاطر المرسل في غير توازن . ولعل مذهبهم^(١) في التركيب والاختزال

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص ٥٨

لتحصيل الثلاثي ، أقرب إلى الفكاهة منه إلى التحقيق . ولنضرب أمثلة منه لنرى مقدار ما فيه من اعتماد على التخيل المحض ، والتقدير الواهم . قالوا في (قطف) انه من (قَطَّ . لَفَّ) وفي (قمش) انه من (قَمَّ . قَشَّ) وفي (بعج) انه من (بَعَّ . بَجَّ) وهكذا مما لا يحتاج إلى تعليق ، ولكن ضرورة التنبية دعيتي إلى الاستطراد به في بحث كيف نشأ الثلاثي وكثر .

الحلقة الخامسة

مر العربي بالحلقة الرابعة ، ولم تعد لغته في حاجة إلى شيء مما يضمن بقاءها ، لأنه وفر فيها كل عناصر البقاء ، ولم تعد في حاجة إلى ما يحفظ تزيدها ، لأن فيها من الحيوية الفائضة ما يكفل تكاثر النوع .

وهي ان تكن في حاجة إلى شيء ما ، فما حاجتها إلا إلى مكملات تحكم اللغة ، وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها إلى المد غير المنذرج .

رأينا كل هذا في جمل الجدول الهجائي بمعانيه العمومية نواة اللغة ، التي لا بد أن تنمو إذا وضعت موضعها من التربة الصالحة ، ولا بد أن تزيد لا على نسبة رياضية فحسب ، بل على نسبة مضاعفة آلية .

ورأينا دقة العربي في جمل الثلاثي وحدة الكلمة ، لأنه أعون على التزيد ، في غير تخرج ولا تأزم من فصاحة وبيان .

ورأينا كذلك مثلاً لانفصال الحياة من الكائن على نواميس ثابتة لا تتخالف ولا تضطرب .

أحكم كل هذا بقوانين ، وأخضع لغته لها ، وكذلك عادت معيناً لا ينضب في قوة وتدفق . بيد انه كان من المعاني التركيبية ما لا تأديه كل هذه الثلاثيات ، لأنه ينبغي عليها وفيه زيادة من المعنى تفتقر إلى ما يؤديها ، ولا تتم الدلالة إلا بها ، فاحتاج إلى الزيادة ولكن احتفظ بالثلاثي كوحدة للمعنى ، واستعان بحروف الجدول على صبغ هذه الوحدة بصبغة تجعل منها معنى مؤلفاً . ولا ريب في أن العربي قد توصل في هذه الحلقة والتي قبلها إلى زيادات تعريفية ، جمل موضعها في أول الثلاثي ،

وأما الزيادة من أجل تحصيل كلم المعاني المؤلفة ، فجعل موضعها الآخر . ومن ثم تولد
الرباعي والخماسي ولكن في تعاقب ولحاجة ماسة . وعليه فالزيادة على أقسام .
(١) زيادة البناء . وتكون على الثنائي لتحصيل الثلاثي وموضعها الوسط .
(٢) زيادة الاشتقاق . وتكون على الثلاثي لتحصيل الرباعي وما يليه وموضعها الآخر
(٣) زيادة التصريف . كتفعل واستفعل وموضعها الأول غالباً لعدم الالتباس .
وأما زيادة الاسناد كغربت فليست من أقسام الزيادة على معنى التأليف ، الذي
هو المراد هنا ، بل بها تصير الكلمة مركبة ، لأنها سواء كانت علامة أو ضميراً فهي
شيء غريب عن الكلمة ، وإنما تضاف لحاجة أسلوبية فقط .

هذه هي الطريقة التي كان يجنح إليها العربي ، لاستحصال الرباعي والخماسي .
وهذا شيء لا نرسله في تردد بل نقوله وملوئنا إيمان به واطمئنان إليه ، فلقد كان
لحروف الهجاء في مفهوم العربي معان عمومية يزيد عليها على الثلاثي عند الحاجة للوضع
في معنى جديد . وليتنبه إلى أننا لا نعني بالرباعي إلا الأصلي كدحرج ، دون
الملحقات كحوقل وما إليه ، فإنها ثلاثية زيدت زيادة تصريفية . وإذا صح هذا يظهر
لك مقدار الوهم والدخل الذي سقط فيه الأقدمون حين ظنوا الرباعي وما إليه ، تولد (١)
بالتركيب والاختزال ، كمثل (بعثر) ظنوا إنها من (بعث . أثير) و (شقحطب)
إنها من (شق . حطب) إلى آخر ما هنالك مما هو أولى بفلسفة العزائم . والحق ان
العربية شبت عن (النحت) بما فيها من القوانين العملية . وكان النحت (٢) أبداً ظاهرة
من طفولية اللغة . وليس معنى هذا أننا ننفيه وننكره على اعتبار أنه لم يقع في العربية .
وإنما ننفي بدون هوادة أن تكون كلمات المزيد كلها على هذا الوجه أو كثرتها . ونحن
إنما نعتبره في النحت المثلي (٣) على المفآجات فقط كما في حوقل وبسمل مما لو حررت
فيه الاعتبارات والملايسات وقفت عنده .

(١) راجع الصحاح لابن فارس ومقاييس اللغة له .

(٢) ولا نعارض بشيء من اللغات الاجنبية التي تستبيح النحت حتى كان قانون تقدمها المستمر
لان اللغات الاجنبية في غير استثناء على طفولية لغوية ظاهرة و يظهر هنا في الادوات والضمائر
واصول الاسناد وإنما قوتها في الحقيقة تمود إلى خصبها الفكري فقط .

(٣) راجع الكلام مفصلاً عليه في القسم الثالث من المقدمة .

وهذه النظرية لا مجال للشك فيها أو التردد أبداً ، ولا بأس من إيراد أمثلة على سبيل توثيق ما نذهب إليه منها .

ذكرت دائرة المعارف الاسلامية معتمدة بتحقيقات (كلان هوار) ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى إلى أنها دخيلة ولو أخذنا بتحليل لفظ قرطاس على ضوء القاعدة المذكورة ، لوصلت بنا إلى عريتها بهذا المعنى بدون فند او ريب . فان قرطاس ترجع إلى (قِرْط) ومعناه في العربية ، ورق السكرث ، ولما كان الورق من البردي على نسق أبسط اضافوا إليه (السين) ليدل دلالة تشتمل على أهم مميزات الورق النباتي المذكور . وكأن المعنى التحليلي ، ورق نباتي أبسط من ورق السكرث .

وهذا قد يكشف أمام نظر الباحث عن أفق جديد ، ينجذ تاريخ الكتابة والأوراق ، وهو أن قدامى العرب كانوا يستعملون أوراق السكرث في كتاباتهم . ولما سقطوا على ورق أو وصل إليهم ، ووجدوه أبسط منه وأصاح ، وضعوا له من اسم ما يستعملونه للعرض نفسه ، ولكن مع اضافة ما يدل على الذي به الامتياز وكذلك نجد المادة تشهد لنفسها بالعراق في العربية ، وتنفي عنها كل اتهام من دخل ولا شك في أن هذه القاعدة ستضع حداً لدعوى التعريب في كل ما يشتهيه الدارس . ولا عجب إذا قلنا بأنها تضع للأبحاث اللغوية قاعدة صحيحة ، وتكشف عن اعتبارات دقيقة متماسكة ، وتغير كثيراً من زيف التاريخ اللغوي . وإليك مثلاً آخر (عناقش) الموضوع في العربية للمتجول في القرى ، وهو كذلك بحسب القاعدة ، فانها ترده إلى ثلاثي (عنق) وهو شدة السير و (الشين) تدل على التفشي وعدم النظام . وعليه فالدلالة التامة له (السير على غير نظام) . وهو بعينه المقصود من المتجول في القرى . وإليك كلمة (ختم) الموضوعة لأخذ الشيء خفية وواضح إنها تنظر إلى (ختم)

إذن من المحقق إن العربي كان يضع على هذه الصورة ، ولا يتكلف النحت والاختزال ، ولا شيئاً من هذا مما هو أقرب إلى الخرص الواهم والتلفيق المنظم . وعليه فليس يوجد مزيدات نشأت من اختزال وما أشبهه . وإنما بصورة مطردة ، السداسي يرجع إلى الخامس ، وهذا إلى الرباعي ، وهذا إلى الثلاثي ، وهذا إلى الثنائي ، وهذا إلى

الأحادي . وهو مجموعة حروف الهجاء ، التي هي في ظننا لغة الانسان الأول ، المتباعد في القدم والمعرق في التوحش .

وإنما وقفت الزيادة في العربية عند حد السداسي فقط ، لأن الزيادة بلغت ضعف الأصل ، وأكمل الزيادة العددية التكرار ، وبعبارة أحصر تقف الزيادة في العربية عند ما يبلغ المزيد أصلين ثلاثيين . ولقد وقع للصرفيين ملاحظة جديرة بالتقدير ، وإن جاءت لهم عفواً ، وهي جعل الزيادة في الميزان دائماً بتكرار اللام عند التمثيل ، مما كأنه ينظر إلى الملاحظ المذكور .

ولو تخفنا من كل فوائد هذا التقدير التاريخية ، وفوائده في تصحيح نقول المعاجم ، فلا ريب في أنه يفيد فائدة غير محدودة في الوضع المستقبل ، وسد حاجة العربية وسط هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات . بعد تعيين دلالة كل حرف من الهجاء . ولقد أتى أيضاً للعربي في أخريات هذه الحلقة أن يوسع من نطاق الوضع باستخدامه قوانين لم تكن الحاجة إليها ماسة كثيراً ولا تكون أيضاً . وإنما قوانين قد تدعو إليها حاجة وقد يوضع عليها . وهي في حالي الاستعمال والاهمال عنوان على خصب اللغة . ومثلها من اللغة كمثل الاستعدادات فيها الحياة وهي معيها أيضاً .

ونحن اذا قلنا في أخريات الحلقة فانما نعنيه على النسبة فقط ، والا فالحلقة الخامسة كان أولها عند انتهاء الحلقة الرابعة التي ترتبت ، وما انتهت بفاصل لغوي من نوع تلك الفواصل ، وإنما وقفت دون أن تنتهي وقبل أن تبلغ الغاية من تطورها ، فبقيت على شيء من فوضى الموازين والمجموع والمصادر والافعال ، لأنها وقفت فجأة بداعي الخروج من الجزيرة ، وتحمل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

ومن هذه القوانين التي نظنها ، الرباعي بالتكرار ، وهو الرباعي غير الاصم ، كذبذب . وأرى أن استحداث هذا الوزان من الشنائي رأساً ، وهو متأخر جداً ، والذي دعى إلى استحداثه الدلالة على المعاني التركيبية ، في صورها البسيطة ، كالحركات العكسية السريعة على المسكان الواحد . وسيأتي تحقيقه في القسم الثالث . وكذلك خطت الحلقة الخامسة دون أن تنتهي ، ولكن مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئاً فشيئاً . واستحدثت في سيرها ما تدعو إليه الحاجة من موازين ،

دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل واستفعل وما اليه . ولقد يكون هذا الأخذ الجديد الذي تدل العربية عليه . من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والمجموع انهاء حقيقياً للحلقة الخامسة . ووصولاً بالعربية الى المستوى الذي كانت تصل اليه لو ظلت في محيطها بدون براح .

التطور في اللهجة

هذه فصول من المقدمة ، تعرض لناحية تنزل منزلة الشكل من اللغة وهي اللهجة . وليست اللهجة في نظري بأقل شأنًا من الناحية الأخرى التي هي الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقًا على خطر .

ولا تنتظر من تصريحي هذا ، أن أحدثك عن اختلاف اللهجات على اختلاف القبائل ، فان هذا له شأنه ، ولكن ما أحدثك عنه ليس شيئًا من ذلك ، وان كنت سألتس شواهد منه . وانما أريد أن أستعرض تطور اللهجة على وجه عام ، دون ما نظر لقبيلة بعينها ، أو لناحية من الانحاء . وأظني في حديثي عن اللهجة أستعرض شيئًا طريفًا ، وشيئًا له لذته الخاصة ، كما ان له الى جانب ذلك مكانته في تتبع الدرس العلمي بدقة وتحقيق . ولا أجِدُنِي مبالغًا إذا قلت بأنه سيدتض كثيرًا مما قد تقرر بين الناس كحقيقة لا ريب فيها ، وسأخذ ببحث ما ذكرت وملئي ثقة بالنتائج التي أصل اليها ، ولا أظن بأنها تمل (١) أبدًا إلا على هذا النهج .

وسأتمشى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه الباحثون عن اللهجات ، إذ أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما ، علمًا عليها وحدها ، ولم يرعوا أي اعتبار من اعتبارات اللهجة الواحدة . وهو وان يكن حقًا من بعض وجوهه ، فليس حقًا على الاطلاق ،

(١) من اعضل المباحث اللغوية تعليل اختلاف العربية على القبائل واتخاذ هذا الاختلاف مبادئ حقيقية . ومن ثم كان تعليل ونظم نشوء العربية بمكان من الصعوبة . ونحن قد فرغنا الى هذا البحث الذي ترضى نتفًا منه في هذا الفصل والذي قبله من كتاب (دراسات على فنون العربية) وهنا اكتفين بما ترى لان هذه المقدمة ننشرها تعريفًا بأفكار شتى وتصحيحًا لاسلوب الدرس بحيث محتبك من مجموعها اقتراح الاصلاح الجديد

لأنك ستري ان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، وانما هي بقايا خلفها التطور الذي لم يتكامل . وسترى ان هذا تفسير صحيح لكل هذه المتخلفات التي حار في شرحها علماء اللغة . على ان مما لا ينكر أن هناك اختلافات لغوية ، ترجع الى مخرج الحرف واتساقه أو تكسره . وأما الاختلافات المحفوظة في البنية أو الاعراب أو النهج البياني فهي تطورات فقط . وأهم شيء ينتهي به هذا البحث ، هو ربط ما بين هذه الاختلافات بحيث تنظم في سلم ارتقائي واضح . وتسلسل تصاعدي صحيح . عدا عن ان الأبحاث حتى اليوم لم توف على الغرض للمشود ، بل جاءت قاصرة عنه ، وضعيفة أيضاً ولم توفق إلى نتائج موثوق بها .

ولكن سيرى بحثنا أكثر ضبطاً ، وأكثر اتجاهاً على منهج الصدق ، وان كان يبعد أحياناً عن المألوف ، ولا يشا كل المعروف المشتهر . وقد اقطع بأن نتائجه ستظل وحدها الكفيلة بتوضيح ما يختلف عليه الباحثون ، وما يرون فيه تفاوتاً مع ما هو أشبه بالسائد في المنطق العربي . ولا بدع فعلي ضوء هذه التقديرات ، وصلت إلى ما خفي على اللغويين عموماً بدون استثناء ولا تمييز . ولست أقول هذا من باب الاطراء لمنتوج قد يكون ضئيلاً وقد يكون ثرياً . ولكن تشويقاً للباحث على الدرر المنصف والتحليل غير المغرض .

ويجدري أن الفت النظر إلى هذا الذي أزعجني انه خفي على اللغويين ، خذ (المصباح) في كلمة (يبرين) فانه ذكر (يعقيد) وهو - العسل يعقد على النار - و (يعضيد) وهو - بقلة مرة لها لبن لزج - والمزهر^(١) في بناء يفعل فانه يذكر (ينبوع ويسروع الخ) وكذلك نجدتها لا يترددان في انها أبنية اسمية ، اشتق عليها توسعة ، كما أن اللغويين عموماً لا يترددون ، وانما اختلافهم في حروف التمثيل هل تكون أصولاً كلها ، أم فيها مزيد فيقابل بلفظه .

ونحن بكل صراحة نقول ان ما ذهبوا اليه خطأ ، وتقرر في غير تردد أن العربي ما عرف هذه جميعها أبنية ، وانما مر بها في عهد من عهود اللغة أفعالاً فقط ، وقد كان يصف كما قدمنا^(٢) بالفعل ، وكان ينطق الحركة حرفاً ، فلا عجب ان وصف بهذه

(١) المزهرج ٢ ص ١٠١ (٢) راجع ص ١٤٣ من المقدمة .

الأفعال وما على شاكلتها ولزمت كأسماء ، وتطورت اللغة من حولها وبقيت في اللغة لتدل على مسمياتها ، مع الاحتفاظ بلونها الأثري الذي ينظر الى وجود سابق ، كانت له هذه الظاهرة . والذي حملنا على هذا أمران :

(١) بقاء هذه اللهجة المقدرة على لسان قبائل عربية من مثل ما أنشد^(١) الفراء .

« اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفَّتِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى جَيْرَانَا صُورُ »
« وَأَنْفِي حَيْثُ مَا يُثْنِي أَهْوَى بَصْرِي مِنْ حَيْثَمَا سَلَكَوا أَدْنُو فَانظُرُ »

ولا تصغ إلى ما قرروه في غير تحقيق ، ان هذا متولد من اشباع الحركة في ضرورة الشعر ، لوقوعه في غير الضرورة كثيراً ، وفي أبنية عدها السيوطي في المزهر . ويحقق ما نذهب اليه من التعليل والظن ، (ينبع) فقد نصت المعاجم على أنها من بابي طرب وقعد ، وها قد احتفظت العربية بأثرين يدلان على هذا التحلل والانفصال . أما الأول فقول عنتر في المعلقة .

(يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ زِيَاةً مِثْلِ الْفَيْقِ الْمُكْدَمِ)

وأما الثاني (فينبوع) اسم للمسيل الناز . ومن شواهد بقاء اللهجة أيضاً قول

الراجز :

(أعوذ بالله من العقرب الشائلات عقد الأذنان)

ومع اني لا أطمئن إلى التصديق بصحة هذا الرجز ، وأرجح أنه أثر من افتعال لغوي ، لا أمتنع من قبول (العقرب) ككلمة من اللغة . وقال ابن الانباري في مبحث (نعم) من كتاب اصول اللغة ، (وقد ورد (نِعم) بالياء وقد ورد (نَعَم) في (نعم) ثم قال وهذا اكثر من أن يحصى ، وقد ذكرناه مستقصى في المسائل الخلافية) وبقاء هذه اللهجة على لسان بعض القبائل ، يدل على أن تحلل العربية من هذا الطابع كان لعهد قريب من القرآن .

(٢) كون كل ما جاء على الواو أو الياء ، ورد كذلك على الضم أو الكسر

(١) راجع الصحاح لابن فارس ص ٢١ . والضرائر للالوسي ص ٢٨٣ . والزوزني في

المعلقات ص ١٨٤ وهذا الاخيرنسب البيتين لابن هرمة بن الحرث .

في أبواب الأفعال ، مما يدل على ما نذهب اليه من التحليل . فمثلاً (يعقيد) نصت المعاجم على أن الفعل من باب ضرب وكذلك يعصيد . وفي يندوع تنص أيضاً على انه من باب قعد وطرب ، وهكذا مما لا يدع مجالاً للشك في انها أعمال مضارع أثرية بقيت في اللغة كأعلام على أشياء ، وهذه العلمية هي التي أدت إلى الاشتباه والخطأ . ولقد وفق الخليل جداً في تسميته الضمة واواً صغيرة ، والفتحة الفاء صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة . وناهيك بالخليل ودقة نظره ، وسمو ملاحظه العبقري ، الذي كأنه خلق من طبيعة اللغة ، فكان على طبع منها ، وكانت اللغة في نفسه كما تكون في قانون اشتقاقها .

وعليه فالعربية قبل أن تصبح لغة لفظية تماماً (أي تقوم على الحركات) كانت صوتية (أي تقوم على الحروف) ومرت أيضاً في أدوار معرقة في الصوتية ، حتى تحررت أخيراً ، ولكن تحرراً غير مطلق ، وبقيت صوتية في نواح غير قليلة . والذي يجعل هذا الظن صحيحاً ، وفي غير شيء من شك ، احتفاظ العربية لعهد القرآن بهذه الألفاظ المتفاوتة حركة وحرفاً ، مع الترادف المعنوي ، والوقوع على موقع واحد ، كما سيمر بك في شمال وشمال وطومار وطار وهكذا مما يعدو الحصر . ويجدر بكتابة القواميس في العهد الجديد أن يرعوا هذه الناحية ، ويعطوها حتماً من التنبيه .

وهذه الصوتية دور طبيعي ، لا بد لسلك لغة أن تجوزه ، ويظهر أكثر ما يكون على اللغات الدنيا في سلم الارتقاء . قال ابو حيان في الكلام على التركية التي هي من اللغات المتخلفة (جميع حروف المد واللين الثلاثة . لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة ، بل هي نواشيء عن اشباع الحركات) .

والعربية وان لم تصبح لفظية بكل المعنى ، فقد تركت قوانين أعدت اللغة لتحرر على الاطلاق ، كما سيأتي في الكلام على (نيدلان) . وفي ظني ان العهد الصوتي طال أمده ، حتى كان طابع اللغة خلال أدوار ثلاثة . ولكن لم يكن على صفة واحدة ، بل اختلف قوة وضعفها ، ومن ثم يجيء العهد اللفظي الذي عنده وقف تقدم اللغة .

العهد الصوتي

الدور الأول

يبتدأ هذا الدور بالمرحلة الأولى من الدور الثالث ، التي تقدم الكلام عليها ، وكان من أهم مميزاته أمور :

(١) نطق كل حركة حرفاً .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانهاء بمتحرك . ونظن بأن الحركة الملازمة للآخر كانت الواو كما في الاشورية والبابلية .

(٣) النطق بالساكنين المتعاقبين ، الذي صار محذوراً في الادوار الأرقى من حياة اللغة . والذي حدا بي الى هذا الظن ، ظاهرات تقوم في طائفة من الموازين ، وظاهرات أخرى تقوم في مفردات أيضاً . وضروري أن أتكلم هنا في شيء من إيضاح ، لما للموضوع من الخطورة ، ولما يذنبني عليه من شتى الاعتبارات في التاريخ اللغوي .

قلت أهمميزات هذا الدور ثلاثة أمور :

(١) نطق كل حركة في الكلمة حرفاً ، والذي حماني عليه وجود كلمات في العربية تشهد بأنها وليدة عهد صوتية كما في شمال بمعنى شمال (بالكسر) ولا شك في أنها سبقت بهود كانت أكثر صوتية ، ضرورة انها مركبة من حروف ذات أصوات لدلالات بعينها .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانهاء بالمتحرك ، والحركة ضمة ممدودة . أما الشق الأول فقد دعاني اليه ، هذه الموازين التي تعطي بصورتها انها قد عاشت في دور كانت تنطق فيه ساكنة الاول ، كاجفيل واخریط واعشوشب وما اليه ، ثم في تطورات أضافو الهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن . وكذلك الأسماء الاثنا عشر التي حفظت بهمزة الوصل ، كأسم وامرأ الخ وهي كما نظن أثرية عن سكون الأول .

ولقد أصاب الاستاذ (جبر ضومط ^(١)) في تقديره سكون الأول من الأفعال، ولكن ان يكن يؤخذ عليه شيء في التخصيص بالأفعال. على اننا لا نستطيع أن ننسبه اليه كراي، لأننا لم نقف على فكرته مفصلة، وانما أورد ^(٢) هذا تنقمة من استطراد في الكلام على الافعال.

ودعاني إلى تقدير الانتهاء بالمتحرك المذكور، احتفاظاً لفظ (عمرو) بالواو في املائيته. الأمر الذي جعل علماء العربية يتساءلون على الدوام عن سر هذه الواو. ولما عي عليهم الأمر، قلوا الكلام إلى هو الحديث، وانصرفوا إلى فكاهة الموضوع، فاتهمه بعض بالاختلاس من (داود) ولم يرق لبعض آخر هذا الاتهام فشكى ظلامته. وفاتهم ان الأمر أخطر من هذا، وكأنني ألمح فيه الدور الذي تمخض عنه. وليس في هذا ما تنهم به لأن عهد العرب بالكتابة قديم جداً، ويرجع إلى عصور متطاولة أي إلى العصر الذي كانت العربية ينطق بها محرّكة الآخر. وخصوصاً إذا سائرنا الفئة التي تقدر ان المحورايين عرب.

ولقد كشفت ^(٣) الحفريات عن مدرسة حمورية تعلم الكتابة والهجاء والحساب ومهما يكن من قيمة هذا الرأي، فلا ينفي علينا الاتصالات العربية في عهد المحورايين.

ومما لا ريب فيه ان تطور الكتابة بطيء جداً، بل قد يكون معدوماً في الأزمان التي كانت بها وقفاً على أفراد، ومحتكرة بين أيدي أشخاص، وهي دائماً بالنسبة إلى تطور المنطق تكون على تراث. ولا يفوتنا أيضاً ملاحظة الاعتقاد السائد عند القدماء، في أن الكتابة مقدسة، وان هي إلاّ وحى يوحى، مما يضع أ كاد العثرات في سير تطورها.

(١) من أفذاذ لبنان كان لغوياً قميذاً يميل في درس اللغة إلى الاسلوب العلمي ويتزن جداً في دراساته اللغوية والبيانية وله عدة كتب ومحاضرات ومن آرائه التحقيقية. ذهابه إلى أن سفر التكوين ربما كان من وضع يوسف (عليه السلام) ليظهر نسبه الرفيع في وسط مضيق فيه وخص هذا الرأي برسالة شائعة

(٢) راجع مجلة الكشاف التي كانت تصدر عن بيروت ج ٣ عدد ١ و ٢

(٣) راجع ادبيات اللغة العربية لزيدان ج ١ -

ولا ريب أيضاً في أن هذا الاسم أي (عمرو) تسمى به عدد عديد من قدامى ملوك العرب ، وذوي الخطر فيهم : مما دعى إلى كتابته من أول العهد بالكتابة . ولكن تطور الشكل اللفظي ، وثبتت الكتابة ، وبقي عضواً أثرياً في الاملاء ، لا فائدة منه ولا غناء .

وإلا فأي معنى لهذه الزيادة ، وبناء (فعل) قد سمي منه ، ولم تكن فيه ظاهرة من هذا . وظن أبي حيان الأندلسي وغيره ، بأنه للفرق بين (عمر) وبينه غير محتمل ، لكثرة هذا الاشتباه في العربية . وأيضاً لأن التسمية (بعمرو) أحدث جداً من التسمية (بعمرو) وقد نص غير واحد ، على أن المعدول من أصله ، حديث الوجود في العربية ، مما يقضي بأن تكون الزائدة في عمر لا في عمرو .

على أن الأولين بدؤوا يفهمون شيئاً من هذا النظر . قال أبو اسحق إبراهيم بن السري (أن ذلك - أي الزيادة للفرق - كان قبل الكتاب العربي ثم ترك استعمال ذلك بعد ، وبقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديماً) وشاهدنا في عبارته ، أن العلماء القدامى اتضح لهم شيء من غامض الموضوع ، وفهموا بعضاً من سر الرسم القديم ، وإن كان ما فهموه لا يعبر عن الحقيقة في شيء .

ولماذا أتكلف هذا ، والشواهد كثيرة في النصوص الحميرية (كأخت امهو) أي أخت أمه ، وفي تحريك ضمائر الجمع للغائب المضافة أو المقرونة إلى حروف الجر ، بالضممة الممدودة مطلقاً في لسان قبائل ، وفي بعض الاحيان وعند الضرورة في لسان قريش .

وظاهرة أخرى احتفظت بها العربية في بعض المواضع من الوقف ، وهي ظاهرة الوقف (بالروم)^(١) التي نلاحظ فيها التحلل عن الصفة العمومية . وقد ذكر^(٢) الألويسي أن من القبائل من كان يقف بالروم مطلقاً . وبالجملة فإني أرى في نتائج هذا الظن ، تعليل ما غمض فيما سقطنا عليه ، وتعليل ما قد نسقط عليه أيضاً .

(١) الروم حركة مختلصة تميل الى الضم .

(٢) راجع الضرائر ص ١٦٩ .

وهذا بناء (فَعَلُون) نعتقد بأن أصله (فعلو) ، وفي دور الانتقال باللغة، وكدوا النطق بالنون ، وثبت هذا كقانون في طبع العرب اللغوي . يدل لهذا ، الأثر الذي تركوه في المحيط البربري ، ظاهرة واضحة في الاسماء . كخلدون وحمدون وزيدون ونزهون . فان هذه النون زادها العرب من أجل تمكين المنطق وتخلصاً من الصوتية البادية ، وذلك لأن البربر سميت بأسماء العرب ، ولكن طبعوها بطابعهم اللغوي العام ، فقالوا حمدو وزيدوا الخ . والعرب وكدوها بالنون ، واحتمال أن يكون تسمية بالجمع ، بنفسه الزيادة في (كسكسون) الذي لفظه البربري الخالص (كسكسوا) ^(١) ، ولم يكتف العرب بالزيادة على الاسماء المستحدثة فقط ، بل عمدوا إلى الاسماء البربرية القديمة ، وأضافوا إليها النون للغرض المذكور . كما فعلوا في (زُرْهُون) اسم الجبل الذي دفن فيه مؤسس دولة الادارسة في المغرب . وأظن بأن أصله ^(٢) (زُرْهُو) والعرب زادت النون عليه .

وأيضاً وزان (فَعَلَيْن) ليس أصلياً كذلك ، بل هو يرجع إلى بناء (فَعَلُون) ولكن بما أن الاتباع في العربية ، قانون شائع وواضح الأثر في كل مناحي اللغة ، دخلوا بالياء على الواو . وأمثله ^(٣) في العربية تجاوز الحصر والعدد ، قالوا شِكَاوَة في شِكَاوَة ، وقِنْيَان في قِنْوَان ، وكذلك نشأ وزان (فَعَلَيْن) . هذا ظن في جملة الظنون نرسله ونحن لسنا على خلافه في قليل أو كثير ، ما دام درس اللغة يعتمد التقدير الذي تتسق عليه الابنية والكلمات ، ويتخذ اداة للتفسير والشرح .

(٣) التقاء الساكنين على معنى عدم حظه في العربية الأولى ، وربما كان شاهداً صحيحاً عليه ، جواز التقاء الساكنين على حدة في العربية المرتقية في مثل (مَادَّة) و(خُوَيْصَّة)

وقصارى القول ان صوتية اللغة أمر لا ريب فيه ، ومرور العربية في عهد الابتداء

(١) على ما نص عليه العلامة المغربي اليوسفي في رحلته .

(٢) ومن الهنات . زعمهم بأنه مركب من (زُرْهُوَسَا) ثم تصحف الى (زُرْهُوُون) . وللقداي عبات من هذا الباب تقوت العد كتحريمهم لكلمة عصفور من (عصى وفر) على ما نص عليه صاحب التاج الزبيدي .

(٣) راجع المخصص لابن سيده ج ١٤ ص ١٩

بالساكن والوقوف على متحرك ظن نظنه ، وعليه شواهد قد تثبته ، ووجود بقايا أثرية في اللغة تمثل وجوداً سبق وكان ذا صبغة عمومية من المحقق جداً .

(الدور الثاني)

يقارن هذا الدور ، الحلقة الثانية والثالثة من الدور الثالث السابق الذكر . ونرى إن اللغة لم تتحلل فيه من كل مميزات الدور السابق ، بل بقيت على شيء منها ، ونظن ظناً مؤكداً أنها بقيت محرقة الآخر ، ولم تتحرر تماماً من التقاء الساكنين . ومعنى هذا إن أسباباً من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تهيأاً للتحلل ، وإن لم يكن على الوجه الأكمل ، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفاً في كثير من مواضع الكلمة أي لم تعد تنطق كذلك على أطراد .

ومن ثم كان وجه التحلل ، وأيضاً بقيت محرقة الآخر ولكن على نسق لا اختلاف فيه ، ولربما كان هذا مسلماً لنا ، بيد لا نظن أن في معاجنا ما يسعف بالشاهد عليه ، ومن هنا قد نؤخذ في تقدير لا يستند إلا على حدس محض ، ومعرق أيضاً ، غير أننا قد نتمكن من التصريح باعتماده ثانية ، رغم أنه لا يوجد شواهد عليه ، بناء على عدم استقامة التقديرات التي بعضها حقيقة لا ريب فيها إلا كذلك ، وهذا له اعتباره في نظر المؤرخ الذي يجتهد في الاستطلاع إلى ما قبل التاريخ ، متخطياً الحوائل وإن تكن صفيقة ، والحواجز وإن كانت لا تبين .

وضروري أن لا يبقى شواهد تنظر إلى هذا الدور ، واللغة قد قطعت أطواراً تبعد بها جداً عن الدور المذكور ، ومهما كانت الأسباب المقتضية بقاء المفرد على لونه من القوة والقابلية للدوام المتطرف ، لا بد أن تموت بحكم الاستغناء ، خلال انقلابات لغوية خطيرة ، وقما تبقى النفايات والبقايا أجيالاً من عهدها الولادي . وعسى أن تكشف الأيام شواهد هذه التقديرات ، حيث تخفى السافيات ما أتت عليه في غفلة الانسان ، ويقظة الجوائف الجائحة ، وإنه لمدش حقاً أن تبعث هذه بعد أن أن أقبرت ناطقة بما كان كأنه لم يكن .

وفي تقديرنا أن اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جداً ، ومثمرة كثيراً ،

وانتهت إلى الدور الثالث وقد خلصت من حركة الآخر ، ولكن بقيت في فترة من الاهتداء إلى الاعراب ، كانت بمثابة تجارب تفشل أحياناً ، وتنجح حيناً ، ومن بين هذه التجارب المتخبطة خرجت العربية نهائياً بتجربة الاعراب المدهشة ، التي بلغت (١) إليها في أخريات الدور الثالث .

(المرور الثالث)

شهدنا كيف بدأت اللغة تمحلل من طوابعها الرسخة بفعل التقدم ، ورأينا كيف لم تعد على شكل ينزل من الطبيعة منزلة العناصر في القوة والوجود ، وإنما بقيت عرضة للتغيرات التي يقتضيها التطور ، ويفرضها النشوء ، وكان التغير الدائم وحده هو السر الحقيقي لدوام البقاء وتعاقب الوجودات المستمر .

وأظن في شيء من الحيلة ، إن العربية في هذا الدور كانت كالعبرية من حيث اللهجة التي أفيض في الكلام عليها ، واجتهد بتمثيلها على صورة واضحة مما كانت عليه ، رغم ما يحول دون ذلك من غمضات التاريخ .

(١) عنى المستشرقون بدرس الاعراب من ناحيته النشوئية . وهذه ناحية لم يعن بها اقدمى النحاة الا على وجه نحوي . وقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتاب (أحياء النحو) درس ظاهرة الاعراب على وجه تعليلي نشوئي . وقد وفق في بحثه إلى حد ما ولكنه كبير على أي حال ومع أنه لم ينته بالموضوع فقد وفق كثيراً وأدرك من غامض البحث كثيراً . والحق الذي لا مرية فيه أن درس النحو على الوجه الذي دل عليه الاستاذ سواء كان عندياً أو اعتمد فيه رأياً سابقاً . هو أحياء للنحو على نحو جديد . وليس معنى هذا إنني وافق الاستاذ على كل النتائج التي وصل إليها أو قررها في الكتاب كلا فإني لا أرى كثيراً من التعاليل أو الالتماسات التي خرج عليها مشاكل النحو . كراهيه في التثوين وفي الفتحه إنها الحركة المستحبة وأعتقد بأن الاستاذ لو درس العربية على النهج التطوري الذي نأخذ العربية به لوصل إلى حلول حقيقية جداً وغير رأيه في أشياء كثيرة . وهو في أسلوب الدرس إنما يؤخذ على وجه عام باعتماده العربية كمخلوق لا قبل لوجوده الراهن . على أنه وإن انتهى إلى تعيين فائدة الاعراب ومعنى الحركات الاعرابية . فلم يبين شيئاً من السر في أن الرفع لماذا كان علم الاسناد وهكذا وإنهى ولم ينته إلى الجواب عن كيف نشأ الاعراب ؟ والاعراب من هذه الناحية اجتهدنا بفهمه على الوجه التطوري الذي أثبتنا عموم أثره على العربية وحل معناه في كتاب (دراسات على فنون العربية) . وعلى أي الاعتبار فالكاتب من افضل الكتبه التي درست النحو في العهد الاخير . ويمتاز بشيء خطير أيضاً وهو الاسلوب العلمي الهاديء ويكاد يكون من هذه الناحية فبدأ بين أساليب الدراسات التي كتبها شوقيون في العهد الحديث

وأنا إذا قلت هنا بأنها كالعبرية ، فليست أعني شيئاً سوى اللهجة وإنما أحرص على التنبيه حذراً من الظنة المتهمة التي قد ترمي بالخطأ .

وبقايا هذا الدور كثيرة في العربية ، وليس على معني التصحيح فقط كما في يربوع ويربوع ، وإنما على معني بقاء اللهجة أيضاً في بعض من القبائل ، مما يدل على إن انتقال العربية إلى اللفظية لم يكن لزمان بعيد . ولذا تركت هذه البواقي ، ضرورة ان التطور لم يمثل دورته التامة . وهذا شبيه بما يحدث في البناء العضوي للكائن الحي ، فلقد تبقى بقايا وزوائد ، لا عمل لها في الهيكل الجسدي سوى أنها دليل على وجود سبق ، كان لها فيه خصائص اندحرت ، ومن ثم أصبحت طفيلية في الوجود المائل . وكذلك الناموس في فصائل الأنواع ، يقضي بالانقراض عند وجود الارقي والأكمل ، ولقد يبقى مع ذلك بقايا من الفصيلة المنقرضة ، ولكن لا تستقر ، بل لتكون في عيني الفناء مشهداً من الوجود المتهور . والأسباب التي حفظت الاثريات في اللغة أربعة .

(١) التشخص العلمي . كما في يربوع .

(٢) القصد الكنائي . كما في يأجوج ومأجوج .

(٣) حداثة الارتقاء . كما في انظور .

(٤) الكتابة

إما الأول : فمن المعقول جداً ، إن اللفظ إذا اتخذ مفهوماً شخصياً لم يعد يتأثر بالتطورات التي تعرض لأصله إلا نادراً ، لأنه فارق في المعنى ، وأصبح يحتفظ بدلالة عينية . ومن هذا أكثر ما حفظ من المتخلفات في العربية فمن الأفعال ^(١) المضارعة

يَسْرُوع (اسم دويبة تكون في الرمل) | يَعْقِد (العسل يعقد على النار)

يَعْسُوب (اسم دويبة شبيهة بالجرادة) | يَعْضِد (بقلة مرة لها لبن لزج)

يَرْبُوع (اسم دويبة أكبر من الفأرة) | يَقْطِين (نبات معروف)

وأما الثاني : فلا مجال للتردد فيه ، لأنه بمثابة التشخص العلمي أيضاً ولكن في

المعاني ، فدلالة الكلمة أو التركيب ، ليس إلا المعنى المثلّي فقط . ومن هذا الباب كما أرى (١)

(يأجوج ومأجوج) في معني كثنائي عن التآجج المتدافع ، والتأجج في كل شيء بحسبه . ولقد يتلقى رأينا هذا في كثير من التردد والاستبعاد ، وأنا أقرره على أنه احتمال فحسب . أرى أن كل ما قرر في معني (يأجوج ومأجوج) من أنه علم على قوم ، خطأ لا حجة عليه تنهض به ، وشبهة وقعت لعلماء التأويل من امتزاج الثقافات الدينية وفهما على غير وجهها ، فإن لهذا التركيب مثل في نبوة (حزقيال) ، وقواه عد التوراة (مأجوج) في أولاد يافث .

وهذا كما أرجح أصل شبهة المفسرين في قصة يأجوج ومأجوج ، وهو وهم . والحق عندي إن يأجوج ومأجوج ، مثل من بقايا العهد الصوتي ، بقي في اللغة للغاية المثلية فقط . وعليه فيأجوج فعل مضارع من ثلاثي (أجهج) ، ومأجوج اسم مفعول منه ، والمعنى التركيبي التآجج المتدافع . فقول الله (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض) معناه ان القوم الذين يقال عليهم يأجوج ومأجوج الخ ، والكلام جار على التنزيل مبالغة ، وهو كثير في بيان العرب . ومن ثم تقف على ان القرآن لا يستعملها بمعنى واحد ، بل كلما وقعت في موضع كانت على معنى منه كما في الانبياء فان قول الله (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) تمثيل لحالة الخروج يوم القيامة بعد بعثرة القبور .

واظن انه كان يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى ، واستعان به القرآن لتأدية الغرض الذي يرمي اليه ، وبفضل استعمال القرآن له فقط بقي في معجم اللغة . ولا عجب أن يخفى هذا الخفاء وهو مستعمل لعهد القرآن ، فقد ذكر (٢) (ابن فارس) ان الفاظاً في الحديث وقعت ، لا يعرف معناها على وجه الضبط .

ولهذا السبب حفظ قولهم (٣) جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب ، وارض يخضور .

(١) هذا احتمال في جملة الاحتمالات الكثيرة . يستند الى اللغة واذا ارسلناه فلا نقطع به .

(٢) راجع الصاجي ص ٣٤

(٣) راجع المزهرج ٢ ص ١٠١

وينبني على هذا الظن تصحيح القوائم التي يسوقها اللغويون كنوانر ، وتعبيد
سبيل اللغة المعثر . ومن ثم يدسنى للعربية أن تستقيم على وجهها ، وتستقر في الوجهة
التي قصد إليها العربي ، فإننا نرى من خلال صنيعه ، ان الحركات في الأفعال التي
هي الأبواب الستة ، تنظر إلى عهد صوتي كانت الحركة فيه تنطق حرفاً ، وهذه
الحروف التي هي بمثابة الحركات ، تنظر إلى دلالات بعينها لا تتأدى إلا بهذا الحرف
الشكلي . كما تقدم (١) في الكلام على الدور الثاني من تطور اللغة .

ثم في دور الاستقرار قصد العربي أن يثبت الأفعال على صورة آلية ، فلماضي
مفتوح العين أبداً ، والمضارع مكسور العين أبداً ، والأمر يتبع المضارع .

وما بقي من اختلاف الأبواب التي قدرها الصرفيون ، ليست على الحقيقة إلا
مثلا من عدم الاستقرار اللغوي ، ولو مهدت الظروف للغة السبيل لاستقرت على الوجه
الذي يفرضه لها بلاريب . ولذا نشهد في بعض الأبواب انقراضاً أو تناقصاً ، كباب
ورث فانه لم يحفظ من كلماته الصحيحة إلا ثلاث يجوز (٢) فيها الباب الرابع . ولقد
تراعى للغويين شيء من هذا ، فقال (٣) أبو زيد الأنصاري (اذا جاوزت المشاهير
من الأفعال فأنت بالخيار بين الضم والكسر) وقال (٤) الفراء (الأصل في المضارع
الكسر) .

وصحة الأمر ان الاختلاف ، وعدم التساوق القائم في أفعال العربية الثلاثية ،
لكونها أقدم ما عرف العربي ، وبضرورة انفصالها في عهد السداجة . ثم اجتهد
العربي في دور الاستقرار بازالته ، والقضاء عليه ، فصحح الماضي على الفتح وأمات
ما عده من الباب السادس ، وأما ما بقي من الأبواب فهي تصريفية فقط ، كباب

(١) راجع ص ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٣ من المقدمة . فقد قررنا ان الحرف الواحد من
الهجاء كان يختلف معناه باختلاف الصوت او الحركة . فالحرف الواحد بعدة اصوات يدل
على عدة دلالات مختلفة .

(٢) راجع نزهة الطرف للميداني ص ٨

(٣) راجع مقدمة القاموس للفيروزآبادي .

(٤) راجع مادة (أى) من اللسان . وقد قص العلامة الرضي في شرح الشافية وكذلك
الجار بردي اختلاف الصرفيين في اصالة باب نصر او باب ضرب فراجع .

طَرِبَ وباب كَرُم ، يلجأ اليه لحاجات معنوية . وقصد تصحيح المضارع بالكسر ، وامانة باب نصر ، وبقية الابواب يلجأ اليها لأغراض من المعنى سنقصها في بحث الافعال من المقدمة . وقرر الباب الثالث فيما كان حلقي العين أو اللام كشرط ، وما وقع حلقياً وليس من هذا الباب فأثري .

ويؤكد هذا اطراد أبواب المزيد بالكسر ، إلا ما لا يتأتى الكسر فيه ، مما يدل على اختيار العربي للكسر كأصل .

وانما جنح إلى ما تقرر لأنه خضع لعقولة لغوية خطيرة ، كان ضرورياً مهما أن يجهد بتصحيح ما سبق وضعه ، وأن لا يضع إلا على نهج منظم وسيأتي الكلام عليه في فصل (تعليق واستنتاج) .

ولنأخذ في وصل ما اتقطع . قررنا ان العربية في هذا الدور ، كانت على شبه قريب من العبرية أي صوتية من بعض وجوها ، ولنضرب مثلاً فيه فرض وفيه حقيقة :

اسم الفاعل : في هذا الدور كان على وزان (فاعيل) وكان يقال عليه ضاريب وقائم وهكذا وان نص علماء العربية على أن وزان فاعيل ليس من أبنية العرب كما نبه ^(١) عليه الفيومي حيث قال (وزان فاعيل ليس من أبنية العرب فهو بمنزلة قابيل وهابيل) لأن الجماعة يعنون العربية الحاضرة ، ونحن كذلك قلنا ليس من أبنية العرب الباقية ، وانما يجي في انفصالاته العديدة فليس بغريب عن العربية أبداً . وربما دل له كلمة (آمين) التي تحمل ^(٢) لها اللغويون وجوهاً شتى ، وكان أقواها أن الفها اشباع عن الفتحة .

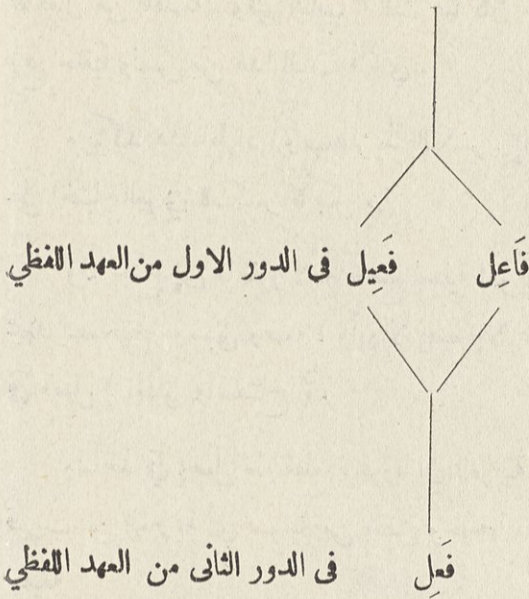
وفي الدور الأول من العهد اللفظي اختصر الى (فاعِل) و (فعِيل) ، وفي الدور الثاني اختصر إلى (فعِل) وفيه أيضاً خفف بالاسكان فقيل (فعَل) .

(١) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٥٥

(٢) راجع شرح معلقة عنتره للزوزني .

مثال تطور اسم الفاعل في العربية :

(فاعِل) في الدور الثالث من العهد الصوتي



هذا مثال من تطور اللهجة ، يوضح لنا منحي غامضاً من المناحي اللغوية ، قد خفيت على علماء اللغة ، واورثهم شبهة بالغة ، إذ اثبتوا اختلاف الدلالات باختلاف هذه الصور الميزانية ، والحقيقة ان الاختلاف استنتاج محض من عرض الامثلة على كل وزان .

ولا اعني أن العربي كان يقصد الى امانة فاعل وفعيل استغناء بفعل ، لو لم يكن الخروج من الجزيرة ، ولكن اقصد أن جميعها تطورات عن فاعيل المات ، الذي يدل على الذات المتصفة بالحدث ،

واليك مثلاً آخر اصح ، لان أمثلة من اصله الصوتي ، لا تزال محفوظة على قلة . (فاعول) صيغة مبالغة قديمة ، ترجع الى الدور الثالث من العهد الصوتي ، اخذت تنقرض من اللغة تدريجياً ، استغناء عنها بفعول ، بينما هي في العبرية كثيرة جداً أو سائدة مما يؤكد رأينا واختصرت الى (فعول) في الدور الاول من العهد اللفظي ، والى (فعْل) في الدور الثاني . .

(فاعُول) في الدور الثالث من العهد الصوتي .

فَعُول في الدور الاول من العهد اللفظي .

فَعُل في الدور الثاني من العهد اللفظي .

وتقدر ان منه (يَقُظ) الذي ذكر صاحب متن المقصود ، ان المراد منه المبالغة .
وعليه فهو ينظر الى وجودين ، انتسب اليهما على تعاقب ، فكان يَقُوظ وكان يَقُوظ .
وخذ كذلك مثالا على (فاعَال) فقد قالوا منه (خاتام) وقد ثبت (١) هذا
المثال مع كل الانفصالات التي تعاقبت عليه ، بحيث يكون خير مثال يمكننا اعتماده في
تقرير النظرية . وهو يفهمنا بالوجه الآخر ، مقدار تفاوت درجات الارتقاء عند
القبائل ، بالنسبة الى التطور العام .

فاعَال - خاتَام . في الدور الثالث من العهد الصوتي

خَتَام - فَعَال فاعَل - خاتَم . في الدور الاول من العهد اللفظي

فَعَل - خَتَم . في الدور الثاني من العهد اللفظي

(١) ذكر الزبيدي في تاج العروس من (خ ت م) لغات في خاتم اليد وهي خاتام خاتَم

هذا المثال الذي نراه حافظاً لكل صور التطور ، وتلوينات الترقى . والذي ينبؤنا في صراحة عن مقدار عمل التطور في العربية ، الى حدان بدت معه على خلاف كبير . واراني معنياً بهذا المثال على صورة خاصة ، لأنه يحقق الفكرة من كل أطرافها ، واذا درسناه بانصاف وتفهم ، عرفنا كيف نعال الاختلاف القبلي الجسيم ، وعرفنا الى ذلك مقدار العصور التي تكيفت فيها العربية حتى تمخضت عن لغة القرآن ، وحتى نزلت منزلتها من السموق اللغوي ، والاهاب القشيب والحلة البارعة .

وأظن بأن العربي في مثل هذا ، كان يرمي إلى إماتة الصوتي ولا يقصد الى التكاثر والتزيد .

ومن كلمات هذا الدور التي لا تزال محفوظة في معاجم اللغة ، وهو (طومار) اسم للصحيفة ووزانه (فوعال) ، وسبب تخلفه مع عراقته الصوتية كما نظن هو انفراد القبيلة . فان من المعقول جداً بقاء قبائل لم يشملها التطور ، إما لعدم الاتصال أو لحدائثة الارتقاء فان القبيلة في كيان المجتمع كالعصو كثيراً ما يبقى متخلفاً في وجود أدنى أو حافظاً لصورة من هذا الوجود ، بينما يكون الجسم كله قد تجاهله في وجوده الأرق ، كالأذن في الانسان لها عضلات تجعل منها عضواً خاضعاً لتكييف الصوت ، ومع ذلك لا تقوم بعملها ، وكذلك الجفن الثالث في العين ، والزائدة في المعى لا عمل لها في الانسان على حين انها ضرورية جداً في حيوانات حية .

وبعد فهذا البحث مهم من كل وجوهه ، ويكفي انه الإداة الوحيدة لتأريخ التفرخ اللغوي والتشعب المديد . على ان فشو أمثاله في عربية المعاجم لا نكر فيه ، ولا سبيل إلى تعاليله إلا من هذا الوجه وعلى هذا النحو فقط .

وزيادة فقد احتفظت العربية أيضاً بما هو أبلغ من هذا كله ، احتفظت بأمثلة تقوم فيها التفاعلات ولما تستقر . وهي ترينا وجهاً من تطوير الصوتي وتؤكد النظرية

خَتَمَ خَتَمَ . خَيْتَمَ خَيْتَمَ . خَاتِمَ خَاتِمَ الخ ويتضح لك من هذه التقسيمات ان الاصل البعيد خاتام وما وراءه تطور بتخفيف الحرف او بالتصحييف تكسرا فان خاتيام بلا ريب متكسر عن ختام او خيتام في منطقتي بعض القبائل .

بصورة لا تدع مجالاً للريبة . ومن هذه الأمثلة (نِيدْلان)^(١) حفظ كذلك بالياء ، وحفظ أيضاً بالهمز (نِيدْلان) وهذا الاختلاف الفت نظري ، إلى حقيقة خفية كان يتوسل بها العربي إلى ما ينبغي من التصحيح . وعليه فهذا اللفظ كان في العهد الصوتي ينطق بالياء (نِيدْلان) على أنها الكسرة فقط . ولما خطت العربية خطوتها إلى التصحيح تعذر نقل (نِيدْلان) بالكسر فقط لما يترتب على ذلك من محذور الانتقال من الكسر إلى الضم ففصل بينهما بساكن . وبما أن العربي طرد الهمزة في أحرف اللين عند التصحيح همز الياء .

وخذ مثلاً آخر (زَيْبِر) يمثل وجهاً من التفاعل في مرحلة أرق من (نِيدْلان) فإنه حفظ بكسر المعجمتين ، وحفظ بكسر الأولى وضم الثانية أيضاً . ونحن حيال هذين الوجهين نظن بأن أصلها (زَيْبِر) ، وعند التصحيح في العهد اللفظي أبدلت الياء همزة ، وفي عهد أرق نقل إلى (زَيْبِر) بكسرها اتباعاً وهو قانون شائع في الحركات كَنْخِرٍ وَمِنْخِرٍ وفي الحروف كطَوْبِي وطَيْبِي .

ومن ثم ندرك أن وزن (زَيْبِر) الصوتي (فِعْل) والياء هي الكسرة الممدودة فقط ، ومن الخطأ اذن ما عليه أصحاب المعاجم من عد (زَيْبِر) رباعياً ووضعها في باب الزاي والهمزة ، وإنما يجب أن يعتبر ثلاثياً مزيداً زيادة أثرية لا زيادة تصريفية وأن يوضع في باب الزاي والياء وما لي أذهب هنا وهناك وفي عرض القراءات وبحبها بالاسلوب العلمي ما هو مغن عن أن تطلب الدليل دونها

وأظن أن في هذا الدور الذي ينزل منزلة الشكل من الحلقة الرابعة ، تماثلت العربية إلى الاعراب ، وانطبعت به كطابع راسخ .

ولكن كيف انتهت إليه وانطبعت على اعتباره . هذا ما يبدو عند الدرس أعقد من ذنب الضب كما يقولون . ويخفى إلى حد أن يعتبر ظاهرة غامضة لا تحل على وجه طبيعي . والاعراب على أي الاعترافات يضع العربية في منزلة سامية من حيث الجانب

(١) راجع التصريف الملوكي لابن جني ص ١٠ والمبهيج له أيضا .

اللغوي . بل سيظل الشاهد العظيم على مبلغ الصقل الذي أخذت به العربية . وعلى مبلغ العقلية التي تناولتها .

ولا كبير إذا قلت بأن العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوتت في أكل ما تكون لغة ، وهي في وجهي الاعراب والبنية ، أدق اللغات في ملابسة اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية من كل الأقطار . وربما كان المثني شاهداً لا يقبل التردد ولا التردد بحال ، فنحن حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ، ندهش كثيراً وعلى وجه غير محدود للدقة العربية التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئاً كثيراً يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمبلغ التسامي اللغوي في طبيعة العربي . ومع ان مميزات لغة العرب كثيرة على هذا المقدار ، وإلى درجة مذهشة . فان الإعراب من بينها أكثر ما يكون إحكاماً وعمقاً ، وأكثر ما يدعو إلى الدهشة . ولعل خفاء تعليقه من أسباب الدهشة المستمرة . وينبغي أن لا يفوتنا أن الاعراب من بين أشياء العربية استوى على وجه التمام ، واستقر على الوضع الأكل ، بحيث نفي عنه الزوائد والبقايا الأثرية ، واتخذ وضعه التقني في العربية وثبت كصبغة لازمة .

العهد اللفظي

الدور الأول

بالعهد اللفظي بلغت اللغة الشوط الأخير من ترقى اللهجة ، وان لم تستقر تماماً لانه لم يمه عمله فيها . ومعنى هذا ان اللغة اخذت به وعمات عليه ، ولكن لم يتسع الزمن والظرف لاختضاع اللغة برمتها لما يقتضيه قانون اللفظية ، فبقيت صوتية في أنحاء ، وظلت قلقة في موازين ، غير ان هذا لا يمنعنا من تقرير ان اللغة لم تعد في حاجة الى نحو جديد من الاصلاح ، فلقد تمت فيها كل عناصر التهذيب ولكن لم تبلغ بعد ولم يكمل نضجها على الوجه السوي .

(١) راجع تعلييل الاعراب في القسم الثالث من المقدمة .

ومهما يكن من اثر مبارحة الجزيرة بهذه السرعة ، في ايقاف عمل الاصلاح اللغوي ، وفي جذر مد التهذيب ، فلا ننسى أثر اللغويين أيضاً الذين اجتهدوا في الحصر والضبط فقط ، حتى خيل من صنعهم انها في منزلة من الوحي كما كان خيالهم . فعملوا عملاً لا يعنينا بالذات وانما كان تعليمياً أكثر مما هو شيء آخر . ولنتجاوز هذا الحديث الآن ، لنستعرض عمل العربي في هذا العهد الذي يستوي مع الحلقة الخامسة ، ويقع فيها الدوران اللغويان ، وان كان الدور الاول مراحلاً لنشاط العربي بصورة أكثر عملاً وجهداً ، وأكثر انتاجاً وتصحيحاً كما لم يكن الثاني متخلفاً لان العربي اراده للاستثناء الا فيها تحمس الحاجة به الى الامانة .

في هذا الدور تقع كثرة الموازين التي تصدر عنها اللغة في اشتقاقها ، ولقد كانت عملية التصحيح فيه جسيمة جداً مما يشعر بطول زمنه ، ويكفي ان نعرف انه حدث انقلابي يشمل اللغة من مناحيها ، ويستغرق اللغة في متفرق شعبها الا فيما ندر وقل . ويتبين لك كل هذا في بحث الموازين بحيث لا يصعب معه بعد ذلك تعيين التاريخ للاشتقاق . وكذلك صححت اكثر الموازين والمفردات عليها من مثل ..

(فاعل . فعيل) من (فاعيل) ..

و (فعول) من (فاعول) ..

و (فعأل) من (فيعال) ..

و (فعأل) من (فوعال) ..

و (فاعل) من (فاعال) ..

ولسنا في حاجة الى الاكثار من سرد الامثلة ، والذهاب مذهب التهويل ، لان اللغة التي في المعاجم تخضع في اكثرها الى ما قضى به الدور الاول من اللفظية . وتظهر في هذه المسحة وكأنها المسحة التي تمثلها العربية غاية . فلم تعدّها الا في ارتقآت حدثت في الدور الثاني ، لم تكن في ذوق العربي وفي مفهومه الاتنويماً فقط

الدور الثاني

لم تكن الغاية من هذا الدور ، تمثيل انقلاب في شكل اللغة او في كيانها ، وانما

هو يعبر عن اغراض تنويعية محضة . وعلى تقدير انه يراد لشيء من التغيير فلم يجر الى انقلاب ذي اثر عام ، وانما عمل الى جانب الدور الاول غير محمول الانتقاض او الامانة ..

وكيفما كان الاثر الذي تركه في اللغة ، والغرض الذي في قصد العربي منه ، فلا يسعنا الا ان نعهه دوراً تكليماً وان لم تكن ظواهره على شي كبير من الموضوع والبروز في بناء اللغة . وخصوصاً اذا نزلنا الاسباب التي نظن انها اضعفت من عمله منزلة الاعتبار . وقد يقوي تأثير الاسباب التي نظنها بقاء العربية في نواح غير قعيدة ، أو على غير تماسك بل يبدو قلقها للوهلة الاولى من النظر العالمي . كهذا الاختلاف البين في ابواب الثلاثي ، يقابله الاطراد الموزون في المزيادات . ونحن وان كنا نقرر وسبق لنا ايضاً التقرير ، بان الابواب تنظر في الواقع الى دلالات بعينها كانت لا تتأدى الا بهذا الحرف على هذا الشكل . لا تتوقف عن القول بانها قلقة ، لان الدلالات المذكورة تعتمد على الشكل الحرفي قبل اقامة الكلمة في معناها ، وأما بعده فتصير الكلمة ذات دلالة غير منفصلة ، كما اطلقت فهم منها معناها .

واليك الماضي فقد تقرر في وزان (فعل) مطلقاً (الا لغاية معنوية ليست في ذات الدلالة وجوهرها بل تدخل في كيفها فقط) بينما لم تستقر في المضارع ابدأ . وكذلك في المصادر كما سيأتي بسطه . وهذا النظر ينفصل عن اللغة وهي قلقة على معنى انها لم تستقر استقراراً تاماً بداعي الخروج من الجزيرة ، وذواء عمل التنقيح اللغوي الذي كانت بقاياها تمثل في الاسواق الموسمية . وكانت ذات خطر ولكن لم تكن الا صورة مصغرة عما كان العربي يلجأ اليه كوسيلة للاصلاح المنشود .

وهذه الاسواق التي كانت تقام لاغراض ، مادية تحتمك بمعنوية قوية من القومية والدين ، تتجلى واضحة في التفاهم على اشتراك الالهة وفي نسيئة الشهور . يمكن أن ترينا وجهاً من العمل اللغوي للاصلاح . ومن ثم لا نرى شيوع الاصلاح اللغوي صعباً . وايضاً يكشف عن كيف تكون الافتراضات المتقدمة في بحثنا عن الرقي في مادة اللغة وفي اللهجة معقولة ولها مجاز واسع للتسليم . فلا جرم ان لا نعد هذا الدور الذي يقع من الحلقة الخامسة في ختامها ، انقلاباً كبقية الادوار في ترقى اللهجة :

ومن الشرح السابق نكون قد كونا فكرة عن عمل هذا الدور الذي يتلخص في الانتقال بكل حرف الى حركة مع الاحتفاظ بالتأدية نفسها او مع اعتبار تغيير بسيط .
والا فبماذا يمكن تعليل مجيء (فَارِحَ و فَرِحَ) اسمي فاعل من فرح ، على قلة فارج
وكثرة فرح تعليلاً علمياً معتبراً . واليك امثلة عن هذا الدور في الموازين .

(فَعَلَ) من (فاعل او فعيل) كفارح وفرح ..

(فَعَّلَ) من (فعول) كيقظ ويحفظ

(فَعَلَ) من (فاعل) او (فعال) كملك وملاك ..

(فَعَّلَ) من (فعيل) كغرنق^(١) وغرنيق ..

(افعل) من (افعال) كأحمر وأحمار ..

وجدير بنا ان نستفيد منه بقصد التنويع في وضعنا الجديد ، وما نكون قد
افترينا على العربية فرى من اباطيل ، وانما سايرنا النهج الذي انتهجته في ابان عملها
النشوي . وقد كان في جملة ما ادي اليه هذا الدور ، التخفيف بالاسكان حتى كان
قانوناً شائعاً عند العرب . ومن كثرته فيما كان الثاني حرف حلق عد قياسياً ..

وهذا الدور كان به ختام اللغة ، ولا نعني بهذا اللفظ ما يفهم منه ، لأن اللغة وقفت
ولم تنته ، وإنما نعني أن قد كان لها انجذار مفاجئ أوقف ما فيها من عناصر فعالة .
ولو ألقينا نظرة إلى اللغة من وراء هذا الدور ، لبرى ما هي الصفة العامة للارتقاء لرأينا
مثلا من الرقي الواضح في شتى نواحيه . بيد أن قد بقي شيء من مظاهر الطفولية اجتهدت
العربية بالتخلص منه ، ولكن بقي على بعض صورته ، وهو التقاء الساكنين . فإن
العربية تخلصت منه على كل صورته ، ماعدا التقاء الساكنين على حده ، فقد بقي في اللغة
الشائعة العامة على أنه بدت تطلع ترمي إلى التخلص منه أيضاً عند قبائل غالت في

(١) الغرنق من وضعنا الجديد وقد وقع في بيت من قصيدة لنا (جمعت سجاياك النبيلة طرفة =
من كل منتخب فيالك غرنق) ترجمة لكلمة (dimegod) الانجليزية بمعنى نصف آله أو بطل .
وكذلك غرنيق او يخص بالهة الاشياء كمثل (muse) آله الشعر وهكذا . ووجه الوضع
استعمال العرب اللفظ بهذا المعنى ومنه قولهم (الغرنيق العلى) ..

التخلص من التقاء الساكنين ، حتى قرى^(١) قوله تعالى (ولا الضالّين) بالهمز على لغة من جد في التخلص من التقاء الساكنين.

تأريخ النظرية :

قد يكون عجيباً وإيم الله أن أسقط بعد أن أعددت أبحاثي في اللهجة على صورتها للطبع ، على موضوع للقاضي الفاضل الشيخ (مصطفى الغلاييني) ، له هذا التقدير وقد جمع عناصر الفكرة وإن كان على غموض وفي غير توسعة ، لأن الشيخ أرسله يومذاك خاطرة يدعو الأديب واللغويين إلى درسها. ولقد بقيت صرخة في ورقة لا يتجاوز حروفها مع أنها كانت جديرة جداً بالتوسع والبحث المشبع ، ونحن تخليداً للجهد نلخص الفكرة عن مجلة الكشاف^(٢).

(الحركات في العربية أحرف مد ، في عهد اللغة القديم . فالمضموم والمفتوح والمكسور كان يعتمد على حرف من أحرف المد . وبعد فقد تهذبت تبعاً لسنة تغلب القوي على الضعيف ، وأقوى دليل أن العبرية لم تنزل تعتمد على أحرف المد في حين أن هذه الألفاظ قد فقدت الحروف في العربية. ومن هذا يمكننا تعليل اختلاف عين الفعل في الأفعال الثلاثية. ونرى أن العربية فقدت كل أحرف المد وما يكن من ذلك فيها فهو زائد أو منقلب بضرب من الاعلال فألف قال أصلها الواو . ونرى أن ماجاء على وزن فَعِل كان على فعيل وما على (فَعَل) أصله (فَعُول) كبئس وبئيس ، ويؤس ويؤوس . والخلاصة .

(١) الحركات أحرف مد في عهد اللغة القديم ثم سقطت وقام مقامها أحرف صغيرة.

(٢) الحركات فرع وأحرف المد الساقطة هي الأصل .

(٣) لامتداد أصلية في اللغة والمد الموجود منقلب عن أصل (أو هو زائد .)

ومن هذا التلخيص نتف على أن الشيخ ، لم يجاوز في تقديرنا الدور الأول من

(١) راجع تفسير البيضاوي في الفاتحة .

(٢) راجع مجلة الكشاف البيروتية . س (١) عد (٢) ص (١٤٠)

المهد اللفظي، وكأنه أراد بحث ما هو معجمي فقط دون مجاوزة في التقدير. وضروري أن تأتي هنا بلمحة عن تاريخ انبعاث هذه الفكرة عند اللغويين وكيف انتشأت. نرى ونحن على حق ، بأن الخليل رحمه الله كان أول من أمسك منها بطرف ، وأخال من تسميته الحركات أن الفكرة تجلت له واضحة ، فإن من يسمي الضمة واواً صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة ألفاً صغيرة لاشك هو واقف على الفكرة بجلاء . وليس هذا فقط فإن مما يحدثننا التاريخ عن الخليل أنه غير صنيع أبي الأسود الدؤلي في الاستعانة بالنقط للدلالة على الحركات التي هي الأحرف المحذوفة من الكلمة . فاختصر من الألف الفتحة ، ومن الواو الضمة ، ومن الياء الكسرة . ولقد وضحت جيداً عند اللغويين من بعد حتى قال الرازي (الحركات ابعاض المصوتات).

وجاء السكاكي فتحدث عنها باطمئنان ودقة وفهم صحيح. وانظره كيف يقول (١) في الكلام على اسم الآلة (ويأتي على مفعال ومفعلة ومفعل وعندي أن مفعلاً هو الأصل وما سواه منقوص منه بموض وبغير عوض) وأراه قد وقف على الفكرة تماماً وإن كان على غموض ، فلم تتوسع عنده ولا توسع بها من أتى بعده . ولقد حدثني الشيخ بأنه ذا كر بالفكرة المرحوم (احمد زكي باشا) فاستصوبها جداً . وهذا ما يدعوننا إلى عده في جملة من تناولوا الفكرة بالدرس .

تطور اللغة

نقصد هنا أن نرقب مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الأنحاء سواء في الاعراب والاعلال والموازن والاشتقاق والأفعال والمصادر .

هاتيك المسافات الواسعة التي بقيت واضحة في منطق القبائل الشتي ، ومنطق القبيلة الواحدة. حتى ذهل من كثرتها علماء اللغة جميعاً، وراحوا في تمليها على مذاهب متباينة وابتدعوا لها وجوهاً من الاختلاف القبلي ، وتداخل اللغات ، والضرائر ، والشذوذ ، والغلط.

(١) راجع المفتاح ص ٢٧

والواقع أن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة المتحيل ، وأما هي من الوجه الحق فليست بأكثر من كونها أثراً من آثار التطور العام الذي تخضع له كل لغة في سيرها الارتقائي ، وتبقى هذه البواقي والمتخلفات لأسباب مكانية وظرفية ، أولاً للتطور لم يتم دورته بما يكفي لأن يأتي على كل موائل الوجود المهضوم .

والشيء الذي لا يمكن أبداً الشك فيه ، ان العربية لم تستقر لعهد القرآن على وجه نهائي ، وان كانت قد أخذت فيه بقوة وعنف . وفي الحق ان القرآن كان سبباً فعالاً لتهيئة هذا الاستقرار ، واعداده على الوجه الأتم . وليس كذلك فحسب بل أسرع أيضاً في تحقيق الاستقرار وهضم المتخلفات ، التي تمثل مع الموجود الأرقى وضعاً قلقاً جداً وشاذاً أيضاً . وذلك لأنهم اعتبروه آية البيان في العربية ، فاحتذوه في كثير من التقليد وأخذوا أنفسهم به أخذاً عنيفاً ، وفي غير اقتصاد ، وانظر أثره في (علي ابن أبي طالب) أعظم هبة بيانية عرفتها العربية ، كيف ينفع به انفعالاً يكاد يكون احتذاء صرفاً وان كان على مميزات وشخصية . .

والأمر الطريف انك واجد تطور العربية ، كأنثاً في حلقات محفوظة النسب ومقدرة المنازل على صورة خالية من الفراغات ، حتى التفاعل والمغالبة التي يثيرها الارتقاء وتنتهي بغلبة الأصلح . وهذا شيء لم ينتبه اليه حتى اليوم ، كل دارسي اللغة على وجه العموم ، ولم يعيروه شيئاً من اهتمامهم ، بينما لحظه (١) علماء الكوفة في كلمات قليلة (كأيمن) (٢) جمع يمين ، اختصر أو تطور فقيل (ايم) بمحذف الهمزة والنون ، ثم اختصر كذلك فقيل (م) و (م) . ووقف هذا الدرس عندها على مرادة أحبطت اعتباره بصورة مطلقة . .

وسترى حينما نقص عليك حكايته ، انه عمل في المادة كما عمل في الصورة ، وكان

(١) يمتاز نحاة الكوفة بفهم العربية فهماً حقيقياً لا يستند الى تكهنات تعمية . وفلسفيات عندية تملئ على العربية ولا تأخذ منها . ومن ثم كان المذهب الكوفي أقرب لتصوير العربية على الوجه الواقعي . وان كان يضعف في الجانب التعليلي . على أن الخطوة التي صادفها المذهب البصري حالت دون الاستفادة من المذهب الكوفي . ومن اراده فعليه بكتاب الانصاف لأبي البركات ابن الانباري .

(٢) راجع خاتمة المصباح المنير للفيومي

أهم عمله في حروف الاعلال . وقد تكامنا على نوع من اللغة وقع فيه هذا التطور ،
ومثلناه هناك تمثيلاً وافياً ، وأعني به انتقال العربية من الصوتية إلى اللفظية ، ورأينا
هناك السير التطوري ومقدار عمله ، واستطعنا أن نسوق أمثلة فذة يتجلى فيها أسلوب
الارتقاء واضحاً . وهي (نِيدْلان) و (زَيْبِر) وقد رنا أن (زَيْبِر) يمثل تمام العمل في
(نِيدلان) . وربما لم يكن تكرار الحديث عنها معيباً لأنه عدا خطورتها يظهر فيها
سير التطور واضحاً ويعز أن نجد مثلها في العربية المحررة (عربية المعاجم) .
والآن تقتصر على إيراد أمثولات شتى ، يظهر فيها مقدار ما عرى العربية من
تطور بليغ ، انتقل بها من وضع إلى وضع آخر يبعد عنه كثيراً .

أصول تطوره المبراه :

قال العرب (نِيدْلان) و (نِيدْلان) و (زَيْبِر) و (زَيْبِر) . .
هذه كلمات وردت في متن اللغة كذلك ، وهي تنتظم عندنا في تطورات حقيقية .
وذلك لأن (نِيدلان) كلمة جارية على وزن صوتي ممت ، وهو (فِعْلان) والياء
فيه هي الكسرة الممدودة .

وهذا الوزن اميت في عهد البلوغ اللغوي ، الذي قضى باستئصال الانتقال من
الكسر إلى الضم . وارتقت الكلمات الجارية عليه ، بصور من الارتقاء ، ولكن بقيت
كلمة تحتفظ بشكل منه ، رغم انه دخلها عمل أولي مما يقضي به التطور . ولا يمكننا أن
نحدد ظروفها التي أوجبت بقاءها ، ولكن نعرف انها بقيت وكفي ، وربما كانت
الصدفة ، وربما كان الوضع في موضوع كثرت كلماته فأهملت ، وربما كان شيئاً آخر ،
على ان هذا لا يهمننا كثيراً .

والعمل الأولي الذي دخلها هو قلب الياء الصوتية همزة ، وكأن هذا بعد خضوع
العربية لمنطق عدم الانتقال من الكسر إلى الضم ، فأبقوا على الياء قبلها همزة تخلصاً
من المحذور . فقالوا (نِيدلان) ووقف فيها العمل الارتقائي عند هذا الحد ، مع ان
له بقية ظهرت في (زَيْبِر) التي تعتبر أرقى مرحلة واحدة ، وقد أنهى فيها التطور
اللغوي عمله . وذلك لأن (زَيْبِر) في تقديرنا أصلها (زَيْبِر) جارية على وزن اميت ،

وهو (فعل) والياء انما هي الكسرة الممدودة ، فدخلها الإبدال بالهمزة فقبل (زئبر) ثم دخلها الاتباع بالحركة فقبل (زئبر).

ولا يؤخذ علينا افتراض واثبات أوزان كمثل (فعل وفعلان) . لانها ليست افتراضاً بل بقي في العربية ما يدل على انها كانت ، ولذلك قيل ليس في كلام العرب (فعل) الا (حبك) . ولقد أبعده ابن جني حينما خرج من باب تداخل اللغات ، كما هي العادة فيما خفي عليهم وجه تعليله ، اعتماداً على انه جاء على وجهين وهما (حبك) و(حُبك) . وشرح هذا المثال عندنا ، ان أصله (حِبْكَ) ولما قضت العربية باستئصال هذا البناء واماتته ، نقلوا كلمته بأحد وجهين ، إما باتباع الفاء للمعين ، وإما باتباع العين للفاء . ولما كان الاتباع في الضم قليلاً . نظن بأن العربية قصدت ان تستقر عليها بالكسر .

وهذا الحرف بصوره التي نقات الينا ، يرينا مثلاً طريفاً جداً ونادراً من طرق تطوير اللغة ، والانتقال بالكلمات التي هي على أوزان مماثلة . وبالجملة فهو يقضي ككل أمثلة اللغة المحفوظة ، بأن الاتباع ترك أكبر الآثار . وكان قانون تطور العربية وارتقاءها في الجملة . والله در السكاكي فلقد انقح في ذهنه الوقاد المنتج وجه سري مما تقرر فقال ^(١) (لكن الجمع بين الكسر والضم لازماً حيث كان ينبو الطبع عنه فأهمل) لاحظ تعبيره باهمل ، الذي يقضي بأنه قد كان . فما كان رحمه الله يراه فرضاً بل حقيقة لغوية واقعة .

والخلاصة ان عمل الارتقاء يبدو في هذه الامثولة تام الحلقات ، بحيث يجعلنا ندرك كيف كانت اللغة تنطور آخذة مأخذاً موزوناً . والأمر التي يمكننا أن نستفيدها من هذه الامثولة على وجهين :

(١) نسبة ارتقاء القبائل .

(٢) الوقوف على تأريخ القوانين التي خضعت لها اللغة .

أما الاول : فان القبيلة التي تنطق (نِيدْلان) متخلفة عن التي تنطق بها (نِيدْلان) والكلمة من حيث هي متخلفة . وكذلك القبيلة التي تقول (زئبر) متخلفة

عن القبيلة التي تنطق بها (زئبر) والكلمة من حيث هي وافية الارتقاء ، كاملة التطور .

بيد انه يبقى تقصير وقع فيه الرواة القدامى ، وهو عدم تعيين القبائل التي تنطق بها هكذا على وجوه مختلفة ، الأمر الذي كنا بالاستناد إلى هذا النظر نجعل منه ميزاناً للتقدم القبلي ومقدار التخلف .

وفوائد هذا عدا التاريخ اللغوي ، الوقوف على ان الاختلاف مرجعه إلى عمل التطور ، وليس إلى الانفراد اللغوي مما كان يتوهم معه وجود لغات في الجزيرة ، تنفعل كل لغة منها على حدة ، بينما الآن يتجه النظر إلى أن اللغة خضعت لظروف واحدة ، وتطورات متساوقة ، واتجاهات تتقارب كثيراً وتتخلف أحياناً .
وأما الثاني : فالذي يستنتج أمور .

(١) ان قانون منع الانتقال من الكسر إلى الضم أقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية .

(٢) ان ابدال حرف اللين بالهمزة تخلصاً من الصوتية . وليد الضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال المذكور

(٣) ان قانون الانبعاث بالحركة متأخر جداً .

وأرى بأنك ستقدر هذا الأخذ قدره ، وترى فيه ما هو خليق بالعناية البالغة ، وخصوصاً حينما نفيض كذلك على أكثر الاختلافات في اللغة .

أمثلة تطور الاعمال :

قال العرب (عَوِيَّة) و (كَيِّ) و (سِيْق) بالاشمام إلى الضم و (سِيْق) بالكسرة و (صَوْمَة) و (صَامَة) .

أقدم هذه الامثلة (عوية) فهي متخلفة تخلفاً عقب بانفصالات طويلة ، مما يدعو بقاؤها إلى التساؤل الشديد . وتقدير الظروف التي حفظها في وجودها الأقدم عسير . على ان للباحث أن يذهب مع الاحتمال مذاهب متباينة ، ولكن ليس من شأننا الآن بيان أسباب بقائها . ويأتي بعدها في التخلف (سيق) بالاشمام إلى الضم ،

وذلك لأنه يحتفظ بعمل ارتقائي أولي ، تقوم فيه مغالبة شديدة تنتهي في المنطق العربي إلى الكسر المحض . وعليه فالاشمام في مثله ليس كما توهم (عبدالقاهر الجرجاني) في باب مخارج الحروف من شرح كتاب الايضاح ، من انه حركة كانت في اللسان العربي ، وانما الاشمام انتقال وتطور لم يتم أو يتكامل . ومعناه ان (سيق) أصلها (سَوِق) فاتبعت الواو للحركة التي هي الكسرة فقلبت ياء ، وفي نطق الضمة قبل الياء مع خفة التكلم اشمام بلا ريب .

ومن ثم يظهر لك أن الاشمام ، اعلال بين ايدي التطور تم في اتباع حركة القاف للياء فلم يتم الاعلال كما يتوهم دفعة واحدة ، بل عاش في أطوار من الترقى بحسب الدوافع الفاعلة ، فاذا كان المعمل خاضعاً لاكثر من عمل ، فمعني هذا انه عاش في اكثر من دور ، فمثلاً (سِيَق) مرت في ثلاثة ادوار حتى بلغت ما هي عليه ، فأول ما نطق بها (سَوِق) ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقيل (سِيَق) ثم اعلت باتباع حركة الفاء لحركة العين فقيل (سِيَق) . وعليه استقرت اذ لا مطلب وراء ما وقفت عنده . ولا يستبعد شيء مما نجى به ، بل لا مجال للاستبعاد فان حفظ العربية لعهدا حرفين ^(١) من المعتل بالواو في صيغة (مفعول) ثبتت لها هذه الظاهرة ، وهما (مدووف . مصوون) وكثيراً من المعتل بالياء في لغة تميم نحو (مكبول ومبيوع ومخيوط ومصبود) وايضاً ^(٢) مقودة في مقادة ومثوبة في مثابة ومنومة ومطبية ومهيج . دليل واضح على ما نفترضه افتراضاً يصور الواقع في غير تنكب .

ويجىء بعدها (صامة في صومة) وهذه غاية جاءت دونها العربية المحررة ، وارتقاء قعدت اللغة عنه ، وذلك لأن مثل (صومة) يعتبر في العربية الشائعة كامل الاعلال تام التهذيب ، فحجىء (صامة) فيها . ارتقاء جديد بدأ ووقف دون أن يؤثر اثرًا الا قليلاً . والذي يستنتج من هذا امور .

(١) ان المعمل كان على التصحيح في اقدم عهدود اللغة . لا كما ظن النحاة من ان ما قبل الاعلال افتراض تعليمي

(١) راجع خاتمة المصباح ص ١٠٩٠

(٢) راجع الضرائر ص ١٣ والخصائص لابن جني ومقدمة المهجع له .

- (٢) ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .
(٣) ان الاشمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .
(٤) ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادني ملابسة .

امثلة تطور الافعال :

قال العرب (دَرَاكَ) و (هَيْهَاتَ) و (يَرَاعَ) و (يَنْبُوعَ) و (وَلِهَ يُوْهَلِ)
و (وَثِقَ يَثِقُ) . . .

نظن بان اقدم هذه الكلمات التي تأتلف منها الامثلة ، في سلم الارتقاء (دراك)
وهي في نظرنا تعبر عن فعل الامر في أقصى ما كانت العربية طفولية ، ولا يتأفقه
ما صرحت به الجماعة من انها اسم فعل أمر أو خالفة ، لان ملحظهم منصب على اعتبارها
الآن في اللغة الشاهدة ولا ريب في أنها بهذا النظر كذلك ، أعني ليست جارية على
مذهب فعل الأمر وصورته ، وان كان لها دلالاته ومعناه ، ولما كانت كذلك ظن الجماعة
ظناً قريباً بانها اسماء الأفعال ، خصوصاً وهم لا يفرضون للعربية تطوراً ينتظم في هذا
التفاوت ، ولو سئلوا عن سر وجودها لاصمتوا عن الجواب الجازم ، اذ كانت مهمتهم
قائمة على جمع اكثر ما يمكن جمعه وفهمه أي أخذ صفة عامة له دون ما تعليل ولا تحليل .
وأما اذا اعتمدنا هذا النظر الذي نأخذ به ، رأيت الجواب سهلاً موافقاً في غير تكلفة
لا غيبة بل جارياً مجري طبيعة كل شيء ، حين لا يكون شيئاً سوى أن هذه الكلمة
وامثالها ، بقايا تمثل الفعل الأمري قبل أن يتهذب تمام التهذيب على الشكل الذي
انتهت به العربية . وكذلك (هيهات) و (وي) و بقيت اسماء الأفعال . ويجيء
بعدها (يراع) و (ينبوع) الحرفان اللذان يعبران عن صورة الأفعال في العهد
الصوتي ، (فيراع) فعل ماضي متخلف و (ينبوع) فعل مضارع متخلف أيضاً ،
ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان ، مما يدل على أن
ترتيب الافعال على وضع مهذب ، سبق تمام التحلل من الصوتية .

ولكن بقيت الاختلافات بين أبواب الماضي والمضارع ، ونحن ظننا وابدينا هذا
الظن ، بأن هذه الأبواب أيضاً اثرية ، والواقع أن اختلافها كان له مفهوم في طبع

العرب الاقدمين ، لأن شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام المعنى ، ومن ثم نشأت هذه الأبواب ، فاذن لم تكن مقصودة في الواقع . وبهذا لما ادرك العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، حاولت التخلص من الاختلاف المذكور ، الذي لم يعد له معنى في الوضع الأخير ، وقد نجحت كثيراً في أبواب ، وعلى صورة محدودة في أبواب اخرى ، وكان اكبر نجاحها في باب (فَعْلٌ يَفْعُلُ) وباب (فَعَلَ يَفْعُلُ) وباب (فَعَلَ يَفْعُلُ) أما الأولان فقد نجحت فيهما نجاحاً مطلقاً ، لأن محاولة التخلص كانت اقدم ، وعوامل اتمامهما على اعتبار اقوى . وبصورة تكاد تكون مطلقة في الثالث ، وبقي باب رابع لم يتأثر كثيراً بالتهذيب ولكن لا ينكر انه أثر فيه وهو باب (فَعَلَ يَفْعُلُ) .

وعليه فقد كان للفعل بعد هذا ، ارتقاء آخر أخذ سبيل التحرر من قيود الاختلاف ، الذي سببته ظروف مضى أو انها . واذن (فوهل يوهل) تلي ما قدمنا ، ويظهر فيها عمل التطور بنقلها الى باب (فَعَلَ يَفْعُلُ) واعتبارها أصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة في باب (فَعَلَ يَفْعُلُ) وهذا المثال متخلف من وجهين . .

(١) التصحيح مع موجب الاعلال .

(٢) دورانها بين باي طرب وحسب .

ويظهر من هذا أن العربي فكر بتوحيد الأبواب قبل تمام عمل الاعلال ، ولذا نضع (وثق يثق) في الدرجة بعدها ارتقاء ، وذلك لانها جاءت من باب سمات مع الاعلال الذي هو تمام العمل الارتقائي . وهذا تشهد له عبارة أثرية احتفظ بها الفيومي في المصباح قال (١) .

(ان كان أي الماضي على فعل بالكسر فالمضارع بالفتح نحو يعلم ويشرب وشذ من ذلك أفعال فجأت بالفتح على القياس وبالكسر شذوذاً وهي يحسب ويبيس ويبيس وينعم وشذ أيضاً أفعال معتلة سلمت من الحذف فجأت بالوجهين بالفتح على القياس والكسر في لغة عقيل وهي بوغر صدره إذا امتلاً غيظاً ووله يوله ويوله وولغ يولغ ويولغ ووجل ويوجل ووهل يوهل ويوهل وشذ من المعتل ايضاً أفعال حذف فآنها فجأت بالكسر وهي ومق يوق ووفق امره يوق ووهن يهن أي ضعف

(١) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٥٦

في لغة ووثق يثق وورع يرع وورم يرم وورث يرث ووري الزند يري في لغة وولي
يلي ووعم يعم بمعنى نعم ووري المتخ يري اذا اكتنز) ويزيدنا في موضع (١) آخر
(بان كسر المضارع في (فعل) لغة عليا مضر والفتح لغة سفلاها) .

هاتان العبارتان نسقط فيهما على تصديق لـكل ما رأينا وجئنا به ، وبيانه أن
قوله كل ما هو من باب (فَعِل) فمضارعه من (يَفْعِل) عند عليا مضر ، ومن (يَفْعَل)
عند سفلاها ، ووغر واخواتها في منطوق جمهور العرب بفتح المضارع وفي لغة عقيل بالـتـكسر
وشذ اي قل في منطوق العرب (ومق) واخواتها ثم قوله (على القياس) ، ينشر تحت
نظرنا تسلسلا صحيحاً للارتقاء المفروض .

والذي يستنتج من هذا أمور .

(١) أن الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور إميتت وآخرها
ارتقاء الأمر ، ثم استقر في أنه يتبع المضارع .

(٢) أن تهذيب الأفعال سبق التحلل من الصوتية .

(٣) أن توحيد أبواب الأفعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

(٤) أن الاعلال متأخر في الطبع العربي عن توحيد أبواب الأفعال ، ويكون
أيضاً آخر أعمال التطور فيما وقع فيه .

اصولة تطور اسم الفاعل

إذا أخذت اسم الفاعل وصيغته ، ترى الجماعة على اختلاف وتوزع في أي صيغته
قياسية ، فما استقر عندهم الرأي على شيء ، وإنما بقي الخلاف كما بدأ بالغاً مبالغه فابن
مالك وابن الحاجب يذهبان إلى مجيئه من الفعل مطلقاً ، وخالف ابن عصفور فيما كان
على (فعل وفعل) الخ (٢) .

وربما استطعت أن تدرس في هذا الاختلاف كيف كانت دراسة العربية عند
الجمهرة وكيف بلغت عند البعض على وجه الدقة وإن كان لم يظهر على وجه التعليل

(١) راجع المصباح ص ١٠٥٩

(٢) راجعه مبسوطاً في خاتمة المصباح ج ٢ ص ١٠٦٦

الصحيح . وأما رأينا فيه فقد أبديناه بصورة جلية في بحث اللهجة الذي خرجنا منه باستواء فاعل وفعيل وفعل وفعل في أصل الدلالة ، وإنها ارتقاآت عن (فاعيل) المبات ، قصد ببعضها التتويج وبالبعض الآخر الأمانة . ومن هذا ترى أن لامعنى لاختلاف الأولين لأنك بهذا الاعتبار تعلم أنها تطورات تفيد إفادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد في اللغة ولكن حال دون ذلك ، ما بيننا من أسباب مبارحة الجزيرة ، وانتقال اللغة انتقالا حرجاً على أيدي النحويين ، وهذا الأمر أعني أمر الاكتفاء والاستغناء في اللغات ، لاسبيل إلى الطعن فيه فتمد قدره اللغويون الاولون أيضاً فيما اتضح لهم ، قالوا في المصدر من فعل المضعف أن العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة مكان تزكية ، وصلاة مكان تصلية . وإذا اتضح لك هذا الأمر ، علمت أن لفائدة أبدأ لما أطالوا به في بحث اسم الفاعل من الثلاثي المجرد . لأن الخلاف قائم على اعتبار خاطي ، والذي ينبغي اعتماده في هذا المقام هو أن هذه الأوزان تتوافق في العربية الأثرية على معان واحدة ، وان ما يبدو لنا فيها من وجه للخلاف فقد جاء من عدم تحقق وجه الوضع عليها ، وأما ورودها من مواد خاصة فقد كان بفعل التناقص المستمر . وجملة الموضوع أن العربي قصد أن يطرد زنة (فاعل) في كل ثلاثي ، مجرد من غير نظر إلى الأبواب .

اصولة تطور الصوتية :

يستوعب فراغاً عظيماً من العربية ، الاختلاف القائم على الورد بأحرف المد أو بحركات من جنسها ، ولقد تقدمنا ببيان أنها انفصالات وتطورات في الحقيقة ، وليس كما وهم الجماعة في شأنها ، وإنها ناشئة عن اتباع الحركة أو أنها لغات ، لأن نظرهم يعتمد الحركة أصلاً ، والأمثلة على هذا كثيرة جداً نظراً لكثرة المتخلفات في العربية ولناخذ كلمة (نصال) مثلاً ، فمن يقف بالروم ينطق بها بأثر حركة على الشفتين ، ووردت (نِصال) على ما ذكره ابن الأنباري في (أصول اللغة) وأنشد .

(لا عهد لي بنيصالي أصبحت كالشن بالي)

ووردت (نصال) كما هو السائد في اللغة . والمعنى في هذا المثل أن أقدمها تخلفاً

التي تنطقها (نيسال) بالروم لأن الوقف بالروم كحقيقنا بقية من الوقف بالواو ، فتخافت في المنطق العربي إلى حد الاعماء إلا في لهجة متخلفة بقي أثره الاشاري فقط عندها ، ويليهما تخلفاً القبائل التي تنطقها (نيسال) واستقرت في المنطق العربي على (نصال) والمفهوم من هذا أمور .

(١) ان الروم بقية من صفة الوقف العمومية .

(٢) أن أحرف المد كانت هي الحركات .

(٣) أن الاعراب سبق تمام التحلل من الصوتية .

هذه جملة من أمثولات اجتهدت بعرضها على وجه فذ ونحو طريف . وهي دراسة في جملتها ، كما تكون الباء كورة أول ما تكون ، تجمع إلى الندرة الطرافة والجمال .

وإن تكن أنت في بعضها دون ما يجب من الافاضة والتوسع ، فانها على أي الاعتبار تضع لدرس العربية قاعدة علمية ، لا تتنافى أبداً مع عفو الطبيعة . وفي منهج يبعد كثيراً عن الاسلوب الغيبي ، والطريقة الميتافيزيكية . وهذا النحو من العرض والشرح يبدو أجمل ما يكون حين يتوسع به ، ويدرس على نسقه كل ما سماه العلماء بالضرائر والنوادر وما إلى ذلك .

وهذا التطور الذي أثبتنا أثره على المفردات فقط ، لأننا بحكم الموضوع لا يصح بنا أن نتجاوزها ، ثابت العمل في الاسلوب والمنهج البياني على شتى أوضاعه ومختلف صوره . حتى الشعر لم يفلت في أوزانه من الانصقال به والتكامل على مده . ولقد يتسنى للباحث أن يربط بين محور الشعر العربي القديم ، بحيث يتسق في نشوء تصاعدي صحيح ، وان بقيت بين بعض الحلقات فراغات ، فهي تنظر إلى أبحر أميتت ، كما اميت في نظرنا (فاعيل) وبقي ما ينظر اليه .

وكان من نتائج هذا الدرس على الشعر أن انتهيت إلى نتيجة خطيرة ، وهي ان البيان العربي ابتداءً نظماً ، وتطور كذلك آخذاً نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع ويدل لهذا التحام الترصيع الشعري والسجع عند الكهنة الشعراء .

وقبل أن يستوي البيان العربي في النثر القرآني ، قام زمناً في الفقرات المثلية

والأسجاع القصيرة ، وعاميه فيكون السجع حلقة ما بين الشعر والنثر . وان في القرآن صورة واضحة عن شتى تطورات النثر ، حتى يكاد يحتبك مع النظم في بعض السور كمثل (إنا أعطيناك السكوتر) . ولكن يعود القرآن فيأخذ في مذهب انفرادي ، ينتقل بالبيان العربي على مثل الطفرة ، ويبدو هذا المذهب الجديد واضحاً في سورة المؤمن وفصلت ومحمد والطوال . ومعنى هذا ان القرآن يجمع مختلف صور البيان العربي قبله . ويأتي بها على نحو معجز جداً ، ثم يسوق اسلوباً جديداً لا ينتسب إلى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه الصور الشتى من الأساليب في القرآن ، على مسحة متسامية معجزة ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وليئبنا إلى الفرق بين الروح القرآنية ، والاسلوب القرآني . ودعوانا أن في القرآن (١) صوراً من أساليب شتى ، لا يعني أن روح البيان فيه مختلفة . وهناك فرق شاسع بين أسلوب البيان أي طريقة نظم البيان ، وبين صبغة أو طابع البيان التي تنسب إلى المعنوية والروح فقط .

فان مقال الشاعر على محور مختلفة لا تنفيه عنه ، هذا واضح جداً ولذلك لا أظن فيه . وأحرى بنا أن ندرس بيان القرآن على هذا النحو ، لأنه الوثيقة السامية في البيان العربي ، حتى انطبع به على الدوام ، فأشد الكتاب تطرفاً عنه أشدهم تعلقاً به على الحقيقة ، لأن البيان غذي القرآن .

والخلاصة أن دعوى التطور ، لا تتجناها نحن فقط بل عرفها الأولون ، واليك ما يقول ابن اسحق فيما نقل (٢) عنه ابن النديم صاحب الفهرست (وان الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي (ص) لأجل القرآن) ومعنى هذه العبارة كما هو صريح منها ، ان العربية كانت خاضعة للتغايرات المستمرة على الدوام ، فهي بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة . وهذا هو الغرض المقصود من التطور الذي نجتهد باثباته . ومعنى عزو الامتناع من الزيادة إلى القرآن ، أن القرآن نظم من

(١) بسطنا هذا البحث بتفصيل، وايضاح في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفسير

وسنشرها بعد عما قريب .

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص (٧)

حواشي العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت ، وأمات ما هو متراوح الفوضى فيها ،
وانتاشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الجذر ، وقد صرحت به في
غير مرة من المقدمة وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية ، للعربية
على وجه حرج جداً . فالقرآن^(١) أمات الفوضى ، واللغويون عادوا فأحيوها .

ومن شاء أن يدرس أثر التطور في البيان ، فما عليه إلا أن يمين النظر في كتاب
(المجاز) للحارث بن المثنى المعروف بأبي عبيدة ، ففيه تقع على تطورات مختلفة جداً
في هذه الناحية سماها مجازات أي أساليب ، والحق انها أبعد ما تكون عن معنى
التسمية ، وما هي عند البحث إلا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

تعليق واستنتاج

هذا فصل يدخل فيما مضى الكلام عنه دخول اللازم ، ويترتب عليه ترتيب
النتيجة ، ولكن هو وان كان كما نصف ، فلا مندوحة من أن نقف عنده وقفة تزيل
من خفائه ، وتحيط من غموضه ، فان فيه ما يعين على البحث في أمر القواعد التي
سنتهجها في وضع ما نضع ، وفي تقدير الوضع على صورته الموزونة .

وسنأخذ بالكلام فيه على المصادر والأفعال والمجموع وتخصيص الموازين ،
وسنرى من بعد أن اللغة وقفت دون ما قصد العربي منها ، ولكن وان تكن
كذلك قد قضت الظروف التي صادقتها العربية في تلك المرحلة من السير التطوري ،
فقد كان في عمل اللغويين لوتريشوا ، ما يصل المنقطع ويبلغ باللغة الهدف الوضعي
المعين لها . ولذا أصبح لازماً على اللغويين اليوم ، أن لا ينوا في هذا الأخذ ، وان
كان لأول أمره مفاجأة محضة ، قد تدعو إلى الدهشة المزوجة بالانكار . ولكن

(١) وذلك لان القرآن باعتماده لغة قر يش ، أمات ماعداها ولكن اللغويين عادوا فأحيوها
وتملقوا بها على وجه غير قليل . بل زادوا تملقا باحياء اللغات الجنوبية وانتابهم بعض الخطأ في
جمع العربية فسكتوا عن التنبيه على لغات القبائل وانقرادات الجهات

ما علمنا أن يكون الأمر مدهشاً وغريباً إذا كان حقاً وصحيحاً ، وفيه وحده دواء العربية فيما تخالف عنه أو يظهر وكأنها ضعيفة فيه .

وأرى كل ما يتوسل به إلى الأخذ بعثار العربية ، لا يمدو أن يكون كوسائل التخدير التي تنشر راحة وقتية جداً ، ليمقها الألم والشكوى على أشدهما شدة وأحزهما عقدة . فما يفعل اللغويون اليوم إلا كما يفعل اليأس المتعلل ، يقنع نفسه بأنه أشقى على الغاية وأنهى كل شيء ، وهو لم ينه شيئاً إلا في ظن نفسه . وله عندي شتى المعاذير ، ما دام قد أفرغ كل الوسع لاعطاء النتيجة المنتظرة منه على أتمها . وما حيلة اللغوي أن يفعل ، واللغة لا تسمح بأكثر مما سمحت لأنها مقيدة بضروب من القيود ما عرقتها العربية ، وإنما أزموها بها رغم أنها قد تهدم اللغة وتتركها أنقاضاً .

وسبيلها الحق هو ما تقرره ، ونلح في تقريره ، ومن ثم ندرك ان سعة اللغة انما ترجع إلى قوانينها الثرة لا غير . ومن بعد لا يبقى مفهوم لقولهم (ليس في كلام العرب) أو لدعوى (السماع) وغير ذلك من أشكال تحكيمية لم يفقهوا وجه السرف فيها (أي كذا خلقت) . ونحن عند ظننا في أمر تكامل اللغة ، ولتستعرض الوجوه التي يبدو فيها التخالف لتكون فيه البيئة . ونبدأ بالأفعال لأن حديثها أكثر مفاجئة وأكثر فائدة .

بنظرة شاملة في (الافعال على الثلاثي) نشهد تفاوتاً عظيماً وعلى مقدار ، وهذا التفاوت بلا ريب يقضي بأمر قد نكون على صدق من شأنه ، وقد نكون متمحلين لا أكثر في التماسات نظرية محضة ، وسواء كان هذا أو ذاك فنحن مطمئنون الى تقدير أن هذا التفاوت نتيجة لعدم الاستقرار . فان الثلاثي وليد الأزمان المتباعدة في القدم ، ووليد أدوار الفطرة ، الأمر الذي يجعل كيانه ساذجاً .

ولكن العربي في عهد رقيه ، جنح إلى التثقيح فيها حتى تأخذ سبيل الاستقرار ، كما هو الحال في المزيادات ، غير انه لم ينته بها على الوجه الأكمل ، فبقيت الأفعال بين متجاذب من دور التثقيح والقديم ، أدى إلى مشار من الاضطراب الواضح . ونظن بأن العربي قصد أن يطرد الأفعال المضارعة على الكسر دون تخلف ودليلنا على هذا شيوع الكسر كحركة أصلية ، فهي في النقاء الساكنين وفي الابتداء

بالساكن تكون على لزوم أو أرجحية . ولقد أدرك الصرفيون هذا ، واختلفوا في أيهما الأصل الباب الأول أو الثاني ، وعلى هذه الملاحظة بنى الاملائيون القدامى قاعدة (الكسر يغلب غيره) ، ورد المحققون الرفع على المجاورة ، حتى اتهم^(١) ابن الشجري في أماليه من اعتمده بعدم المعرفة ، بينما الجر على المجاورة شائع مشهور في الضرورات بلا خلاف فيه ، كما ان الانباع بالكسر كثير في الموازين ، ونادر^(٢) بغيره كما في تنضُب - ضرب من الشجر تألفه الحرباء - ولذا نعتمد الكسر اعتماداً لا تردد فيه ، بدليل غلبته في المزيد الذي هو بلا ريب من عمل الادوار الارقى . ولنعط صورة من الاستقرار المفروض في الافعال للايضاح .

(الماضي) يكون على وزان (فَعَلَ) مطلقاً إلا للحاجة معنوية ، فينقل قياساً إلى بابي طرب وكرم .

و (المضارع) يكون على وزان (يَفْعَلُ) مطلقاً إلا للحاجة المذكورة . وهذا في غير الحلقي فيكون من باب فتح مطلقاً ، والأمر يتبع المضارع وعليه فكل ماض بالفتح مطلقاً .

وكل مضارع بالكسر مطلقاً .

وكل حلقي بفتحهما مطلقاً .

وما بقي على غير ذلك فأثريات ، وليس معنى هذا انا ندعو إلى خرق حرمة النص فان ما مضت به المعاجم يتيقن به إذا كان محل وفاق ، فان اختلف فيه فالراجع الكسر .

وكذلك كل اشتقاق مستقبل يلزم هذا السبيل ويتطرد عليه .

والمصادر من الثلاثي بقيت كذلك قلقة في اللغة ، ويدل على هذه الملاحظة أن القلق لا يعمدو الثلاثي أيضاً بينما نجد المزيديات على اطراد وغير تخاف إن في المصادر أو في الأفعال ، ولا ريب في أن هذا القلق الذي لا يتجاوز كونه في الثلاثي فقط

(١) راجع الضرائر للأوسمي ص ٢٦ .

(٢) راجع سفر السعادة للسخاوي .

مصادر وأفعالاً ، كان للأسباب التي قدمناها وهي معقولة جداً فان الثلاثي كان في اللغة بمنزلة التراث القديم . وربما أتينا في بعض بحوث المقدمة بكلام على المصادر مصنفة إلى مصادر متعينة في المصدرية ، وإلى مصادر معنوية (أي تابعة للمعنى) التي حتى تعرى القواعد من الاضطراب الواقع . ونزيد بظن ان المصدر الميعي كان أشبه بمحاولة من العربي لطرده في الثلاثي على وجه مطلق كما هو الحال في المزيديات .

وكذلك المجموع لم تستقر إلا في قلة من الكلمات ، غير أن العربي أخذ بصورة جدية لاقرارها . ولنعرض مثلاً فيه قدامة وفيه تطور . وهو (دِيَوَان) ووزانه (فِعَال) أخذ بالاعلال . ويؤيد هذا جواب (١) أبي عمرو بن العلاء حينما سئل عن ديوان هل ينطق بفتح الدال ، فقال لو جاز هذا لقليل في جمعه (دِيَاوِين) فقال خلف الأحمر وكان في مجلسه ، انه سمع شاعراً حميرياً ينشد :

عديني أن أزورك أم عمرو دياوين تشقق بالمداد

فما حاوله ابو عمرو استنكاراً ، وانما قال ، ان حمير لم يفدها هواء نجد . وهذا يحتمل أن يكون جمعاً قديماً أميت في دور التنقيح بدواوين ، أو جمع قبلي متخلف ، أو هو فعلة من خلف ، وكل هذا غير بعيد وان كنا نميل إلى أنه جمع قبلي ويؤكدده رد أبي عمرو .

واليك أمثلة أخرى (٢) نحن على يقين من انها قديمة ، لانها جموع لأسماء الأيام والأشهر ، وهي أدخل في التقدير من غيرها في أن تكون كذلك . فقالوا في جمع (سبت) اسم اليوم أسبُت ، سُبُوت ، أسبات ، أسابِت ، أسابيت .

وقالوا في جمع (رمضان) اسم الشهر .

رَمَضَانَات ، أَرْمِضَة ، أَرَامِضَة ، أَرَامِض ، رَمَاضِي ، رَمَاضِين ، أَرْمُض ، رَمَضَانُون . الخ

وقد يكون دليلاً على القدامة كثرة صيغ الجموع ، لأن معناه انه لم يتنخل بمحاولة التنقيح .

(١) راجع أدب الكتاب للصولي ص ١٨٧

(٢) راجع أدب الكتاب ص ١٨٥

وبقيت فوضى في ناحية ثانية من اللغة ، وهي الناحية المعنوية فلم تتحدد للصيغة دلالة على اطراد ، فتحمل الكلمة معنيين أو معنى مؤلفاً مما تفيد الصيغة والمادة التي منها الاشتقاق .

وليست معالجة هذه الناحية على طرف من السهولة ، بل على العكس صعب جداً ومفيد جداً ، وضروري أن لا تخلو عنها لغة توسم بسمه الرقي الوضعي ، إذ هي أجلي ظاهرات الرقي العديدة . وهذا التحديد الميزاني يجهل الوضع الاصطلاحي خاضعاً لعمل آلي ، يوفر عناء الواضع وعناء المستعمل على السواء ، واللغة التي تكون على فوضى منه ، تبقى ضعيفة عن تناول الاشياء ، واذا تناولتها فلا تكون لها الصيغة اللغوية المحكمة .

على ان العربية مع كل ما نرى فيها من فوضى هذه الناحية ، لا ينكر انها أخذت في سيطرة الاشتقاق وغلبته بهذا النحو ، فاستقرت في موازين لم تعد تستعمل إلا على وجه لا تتخلف عنه دلالة الهيئة ، كما في مفعل ومفعال ومفعلة للآلة وكما في فاعل ومفعول إلى كثير من مثلها . ولربما كان هذا الأمر لا يعني العرب القدماء ، لأنه لم تكن بهم حاجة اليه من جهة عدم شمولهم بحركة علمية ، بيد أنه يعنينا كثيراً وكثيراً ، فان بقاء الموازين على فوضاها لا يتناسب مع المفاهيم العلمية الدقيقة ، التي تضطرنا لأن نجعل دلالة لازمة أبدأ للهيئة الميزانية . ومن ثم لا يكون عناء الواضع كبيراً كما نرسم للميزان أيضاً صورة عند السامع تكون على مقدار من المعنى .

فعلى الواضع^(١) الجديد ، أن يتوفر على تخصيص الموازين بما يقارب أن يكون جامعاً لشتى المشتقات عليها ، والا ما لم يكن الوضع على هذا اللون فلن يكون فيه عناء ، عدا عن التفاوت الذي يستغرق المقاييس وتبدو معه اللغة على تباينات وعدم نساق .

ومن جملة هذا الشرح ، نخرج بأن العربية لم تنزل على فوضى من الأفعال والمصادر والجموع والموازين ، ولكن عمل العربي القديم على اقرارها .

(١) وضعنا لأول مرة في كتب الدراسات العربية خصوصيات ثابتة للموازين فراجعها في المقدمة ص ٥٣ الى ٩٦

وكشي. صحيح التقدير ان العربية وقفت فجأة دون ما تمام العمل اللغوي ، ولقد أحس الأولون بهذا وعزوه إلى القرآن واحترامه ، وهذا سبب لا أجده له وجهاً صحيحاً ، بل على العكس كان القرآن وسيلة فعالة للتقدم في اللغة والبيان . والحق ان السبب كل السبب هو توزع العرب في الانحاء ، وتناول اللغة تلامذة المدرسة اللغوية ، التي كان طابعها الجمع فقط ، والوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي إلى تحرير اللغة ، فكان تلامذتها من هذه الناحية محافظين جداً وعرباً أكثر من العرب .

فأي أخذ من هذا الذي ندعو اليه ، هو عود بالعربية إلى سابق نهجها ، وانتشالها من بين القيود التي غلت بها ، وانتهاء بالعربية إلى مستقرها الكامل .



القسم الثالث

السمع او ليس في كلام العرب

روي أن سائلاً سأل أبا عمرو بن العلاء ، عن ما لو سمع من العرب شيء مخالف لعمه فقال له (اسمي ما واقفني قياساً وما خالفني لغات) .

هذه عبارة على اقتضاها حتى تجيء في كلمات ، وعلى اختصاصها حتى تقع في حروف ، تشرح غامض الموضوع ، ككتاب واسع المادة . وأظنها ظاهرة بنفسها حتى لا تحتاج الى تعليق . ولكن ما نحن في حاجة إلى فهمه ، هو السبب الذي حدى بأبي عمرو ومدرسته ، إلى أخذ العربية بهذا النوع من التقييد ، والضرب من التحكم . ولعل السبب قد أتى مشروحاً بالكلمة نفسها أو هي تشرحه بالفعل ، وتدلل عليه بصراحة كبرى لا خفاء فيها ولا غموض ، وهو لا شيء أكثر من أن السمع أقرب سبيل الى ضبط العربية ، حين يخفى ما يمكن أن يكون علة جامعة .

وهذا الأخذ طبعي في أول الأمر بالدرس ، ثم يتشكل على وجه آخر . ولكن المدرسة اللغوية انتهت بما ابتدأت به ، من اصول لم تجاوز رسومها إلا على وجه الندرة . وقامت أسباب عززت بعض هذه الأصول ، حتى عادت من العربية كما تكون العربية من نفسها ، ومن هذا القبيل السمع فقد اعتبر من أجل سبب ساذج بسيط ، لا يعدو كونه أخصر طريق الى الحصر ، ثم اشتط اللغويون في اعتباره إلى حد كبير ، أخذ عليهم الطريق الحقيقي لدرس العربية على وجه صحيح .

فكان ما اتخذوه الأوّل وسيلة إلى الضبط في فاتحة الدرس ، علة الفوضى في خاتمة . والأسباب التي توفرت عند متأخرة اللغويين للتمسك بالسمع تجيء في أمور .

(١) انه أقرب طريق للحصر والشرح .

(٢) تشبههم بنظريّة التوقيف في اللغات .

(٣) الخوف على سلامة اللغة أي إحاطتها دون أن تبعث بها الاهواء وتنال بالفوضى حتى تبعد بها عن صيغتها الأولى .

(٤) خدمة البيان القرآني في اعتقادهم . فانهم ذهبوا مع الظن بأن اطلاق القياس في العربية يبعد بها عن لغة القرآن .

(٥) الانانية العلمية أو الارستقراطية العلمية فان أهل الاختصاص من اللغويين اذا تسامحوا بالقياس لم يعد لهم المقام السامي الذي يتمتعون به مما جعلهم يتشددون بالسماع إذ كان السبب الوحيد الذي يحفظ لهم هذه الرعاية المهددة إذا أباحوا للناس القياس .

هذه في نظري الأسباب الهامة التي جعلت اللغويين يلجئون في الاعتداد بالسماع إلى حد منكر ومنتهى ممجوج . وما أخذوا فيه بالاعتدال كما أخذ الأولون منهم ، بل أفرطوا في تحكيمه حتى انتهى بتقييد العربية على الوجه الذي نشكو منه ونألم له . وأدى بالعربية إلى الجود والتعجر والالتواء المطلق .

والعجب أن يكون السماع الذي اتخذ سبباً للعربية من أن يعثب بها مهّد إلى العبث بالكذب والاختلاق ، فان أكبر ما حمل اللغوي على الاختلاق هو السماع ، ضرورة ما كان من عدم الاطمئنان إلا إلى الشاهد والنص والرواية . فكان إذا وضح له شيء من أسرار العربية يجد نفسه مضطراً ليثق الناس بما انتهى إليه ، وليسمع عنه ما يقول ، ان يدّرع بشاهد أو بشواهد وربما بقصيدة أو بقصائد .

هذا شيء نعرف من نواته كثيراً حتى أكون في غنية عن ايراد أمثلة مما حفظت كتب الأدب والتراجم . والذي يلفت حقيقة من أمر هذه الشواهد أنها لا تحفظ في الغالب الكثير إلا شطراً أو شطرين ، ولو طلبت للشر آخر والبيت مثلاً لأعياءك الطلب كأن الشطر لقطعة الطريق والبيت بيضة العقر .

ولكن ما لا شك فيه أن إباحة القياس للعفو ، قد يحمل على الاختلاف الكبير في الوضع والاصطلاح ومذهب البيان وما إلى ذلك . مما يضطر معه إلى ابقاء عمل السماع في المحيط اللغوي ولكن على معنى آخر غير معناه . فلسنا نعني به الورود عن العرب ، وإنما نعني به الإباحة للواضع فقط (كالعرف الشامل أو المجامع) فمثلاً قلب

الهاء زائياً كما في زمك وهمك ، لا يجوز أن يترك للمستعمل يجري فيه على هواه دون تواضع أو اصطلاح ، وكذلك فيما بقي من القوانين النادرة .

وهنا نأتي على معنى القياس عندنا أيضاً . ونعني به وقوف المستعمل عند وضع الواضع والتصرف بالمادة على حسب القانون المخول في الاشتقاق والتصريف . والواضع هو (العرف الشامل والمجامع والعالم) بعد تصحيح الوضع على مقتضى الاستعداد الحرفي وقواعد الاشتقاق . وعليه فمفهوما في أخصر عبارة .

السمع : الإباحة للواضع ، على قانون العربية في أشيائها النادرة .

القياس : الإباحة للمستعمل ، على قانون التصريف والاشتقاق .

وما وراء ذلك من القياس والسمع عبث مطلق وتلاعب حقيقي ، ولما لم يكن للسمع مفهوم صحيح له اعتباره . اختلف العلماء على الدوام في تطبيقه ، فما يراه بعضهم سماعاً محجوراً ، يراه البعض الآخر قياساً سائفاً . وهذا شيء عام في المفردات والضوابط ، وأقرب مثل أسوقه كلمة (اقتطف) التي ردها كثير من اللغويين بدعوى عدم السمع والحفظ ، بينما قبلها آخرون واستشهد بأنها وقعت عند الأعشى وجريير . فان السمع مبني على الحفظ وما لم يحفظ أكثر مما حفظ كما قال ابو عمرو بن العلاء . مما يكون سائفاً معه أن تقبل ما يؤيده القياس وكفى . على ان اعتماد السمع المشدد جعل اللغويين يتحلون لكلم بصححونها كما فعل الشهاب في شرح درة الغواص ، مما كان تلاعباً محضاً وعبثاً منكراً سبب اليه سماع دعوى السمع .

الثلاثي

سبق منا القول بأن الثلاثي وحدة كلم العربية ، وعليه استقرت في الثروة البالغة عظماً واتساعاً .

وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أبحاثهم في المعاجم والقواميس رغم اختلاف الاصطلاح ، وما كانوا يترددون في هذا النظر ، ومن ثم قال ^(١) الميمني (والاسم المتمكن لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف

(١) راجع نزهة الطرف ص (٧)

يفرق به بين الابتداء والوقف) ولتشبههم بهذا الرأي ردوا كل مزيد إلى ثلاثين ،
وتكلموا في ذلك عرق القرية كما يقولون ، وبالغوا في هذا التكلف حتى ألفوا شأنه ،
وظنوه مقياساً لغوياً لا اختلاف عليه أو ليس مما قد يختلف فيه ، وعليه وحده بنى
ابن فارس الكلام في كتابه (مقاييس اللغة) وأكده أيضاً في كتابه (الصاحبي) ونوه
بهذا الصنيع فقال^(١) (قول العرب للرجل الشديد (ضبط) من (ضبط وضبر)
(صهلق) من (صهل وصلق) وفي (صلدم) من (صلد وصدم) الخ.

وكيفما كانت النتائج المركبة التي انبنت على اعتبار الثلاثي ، فلا شك في أنهم على
حق من هذا الاعتبار المذكور. فنحن إذن على وفاق معهم في أمر الثلاثي، بل نشفع
رأيهم بتأكيد لا تردد فيه ، على ما في هذا من وضاحة لاستدعي خلافاً أو منازعة .
ولربما انحصر خلافاً معهم في وجهين :

(١) كيف نشأ الثلاثي

(٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة ، بل هي طرف من وحدة
تستوي في دائرة الثلاثي .

عند هذين الوجهين يكون اختلافنا واللغويين القدماء ، وليس هذا بالأمر الذي
لا يؤبه له من حيث ترتب النتائج ، بل له شأنه وسيظهر لك كيف هو جدير بالبحث
المشبع وحري بالدرس المستفيض .

وينبغي أن نتكلم هنا في بحث القواعد بتحرر وأناة بالغين ، وأن لا نرسل الكلام
إرسالاً يأتي معه ضعيفاً ، شأن كل مرسل على عواهنه .

أما الأول : وهو وجه كيف نشأ الثلاثي ، فحديثنا عنه الآن ليس على معنى ان
الجماعة الأولى في شعبة الدرس اللغوي ، وقفت عند الثلاثي على تقدير انفصاله عن
عهد ثنائي لون العربية بلون يشبه أن يكون طابعاً عاماً ، كلا فقد قدمنا بأن الجماعة
اللغوية لم تكن ملاحظتها نشؤية ، وإنما اتخذت اعتماد الثنائي وملاحظته لخدمة الضبط
والحصر ، ولتحقيق الاشتقاق فقط .

(١) راجع الصاحبي ص (٢٢٧)

وكيفما كان الأمر ، فحديثنا الآن عن تأكيده ان الثلاثي نشأ عن الثنائي ، وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً ، وهذه الثنائيات التي نظنها هي المعلات . وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم ، يجب أن نتخذها عمدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه ، لأنها الأصل الذي انفصل عنه ، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية ، فالواوي منها ينظر إلى الضمة الممدودة ، واليائي إلى الكسرة كذلك . ومن ثم يتأيد ما ذهبنا إليه ، من ان هذه الحركات تراد (١) لمعان بعينها في العهد الصوتي ، ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي .

وعليه فهذه المعلات ثنائيات مصححة ، وهنا يلزمنا أن نتكلم عن ضروب التصحيح التي لجأ إليها العربي وهي عند نظرنا تقع في امور .

(١) جعل الصوت حرفاً . وهذا السبب هو الذي ادى الى الاحتفاظ بالمعلات رغم أنها ثنائية .

(٢) التضعيف . والمثل عليه (بصا) نقل الى (بص) بمخطف الحركة وتضعيف الحرف والأخذ بهذا النحو يرجع الى عهد ارقم من الأول في اللفظية ، فان الأل تصحيح بالتحويل وهذا تصحيح بالحذف .

(٣) ابدال الهمزة به . كما في (يش) نقل الى (أش) .

(١) ولا يكون غامضاً بعد هذا وجه اختلاف المعنى مع عدم اختلاف المادة الا بالواوية واليائية فقط كما في (دحوة ودحية) لان اختلاف حرف الصوت يغير في المعنى ومن ثم نجد الافعال تختلف معانيها باختلاف الابواب لانه ينظر إلى هذا الملحوظ فكان العربي إذا أراد تأليف الكلمة عمد إلى حرف ما على صوت بعينه ليبدل على معناه فاذا غير الصوت تغير المعنى على مقدار من خصوصية الصوت . وبالاخص إذا علمت أن الثلاثي في العربية جملة مؤلفة من ثلاث كلمات في طبع العربي القديم وبارتقاء اللفظة تناسوا اختلاف الدلالة باختلاف الصوت واستقرت هذه الالفاظ في معانيها على أشكالها من الاختلاف الأثري . وهذا هو السر في تعدد أبواب الثلاثي ولقد اعترضني باحث لغوي بالافعال التي حفظ ضبطها في المعاجم من بابين كتنج وفسد في غير اختلاف معنوي وكان أن أجبته بأن عدم حفظ الخصوصية لا ينفها ولقد يمكن تعليل عدم الخصوصية بتناسي العرب لها أو بخفائها على الرواة ولقد ثبت ان الرواة اعتمدوا في تعيين المعاني على المفهوم من الشعر أو النثر ومن ثم جاءت كلمات كثيرة على غير تحرير

هذه هي الوسائل التي نظن أن العربي تذرع بها لتصحيح الصوتي ، وهي تختلف في مقدار أثرها على اللغة ، ولكن وان اختلفت شيوعاً واختصاصاً فقد كان جميعها تأثير واضح . ونستطيع أن نقول من بعد هذا ، ان مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المعلمات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان أن محله (١) الوسط ، ولكن لم نخض هناك في مقابلات على الظن المذكور ، نظراً الى أن مهمتنا اذ ذاك التاريخ حسب . ولناخذ في سرد امثلة ومقابلتها ، حتى نخرج منها بترجيح

(١) لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون المزيد على الثنائي . الفاء او العين او اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل . قد يبدو على بعض الكلمات ضرورياً حين لا يظهر تمام المعنى الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا ارى في هذا ما يهدم اعتبار النظرية كشيء يشمل اللغة في اكبر عدد من المواد المحفوظة وهذا وحده كاف في التمويل على نظرية زيادة الحشوفان النظريات المعروفة في صدر التاريخ وما اليه تركيز على المشاهدات الاكثر انتشاراً . هذا من وجه ومن وجه آخر يبدو ما انتهى اليه الجماعة لا يجاوز ان يكون احتمالاً لا يصح ان يكون نتيجة درس تعتمد على ان مما يجب التنبيه اليه هو ان المدليل المعجمية المحفوظة ليست هي المعاني الحقيقية احياناً بل تأصلت بعد نقل او تجوز وليست هي كل المعاني فما ضاع اكثر مما حفظ ومن وراء كل هذا يباح في نزعة العلم ان تعتمد نظرية الزيادة حشوا بدون تردد في دراستنا اللغوية التاريخية . وطريقة تطبيق النظرية ان نتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط وبتناول معها المعلمات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبهما فاذا اردنا ان ندرس (شح) وجب لتحقق معناها تماماً ان نأخذ معها (شحي شيح شوح وشح) لأن هذه المعلمات جميعها ثنائية صوتية صححت بجعل الحركة حرفاً والحركة تراوحت بين ان تكون عند الاول والوسط والآخر فنشأ بعد التصحيح المثال والأجوف والناقص وكما سبق ونهنا ان لهذه الحركات معانياً في العربية الساذجة فلا عجب اذا وجدنا هذا التباعد المعنوي بين المثال والأجوف والناقص مع كونها من ثنائي حرفي واحد وبترتب على هذا انها اذا أخذت بالتضميف فينشأ عنها جميعها ثنائي واحد وهو (شح) ومن ثم تنتظم له جريدة من المعاني المتخالفة وهذا الرد الى المعلى هو الذي يضمن لنا توزيع المعاني الى الجذور الاولى على وجه حقيقي وقد بقي شيء آخر يجدر التنبيه عليه وهو أن تعيين المعنى الاصل أو الجامع المعنوي فيه عسر غير قليل ولكن بين أيدينا ظاهرة قد تعين بعض الشيء وهي ثبوت المعنى الواحد في التطورات للجذر الثنائي الواحد وهي المعلى مثل (وشح شوح شيح شحي) والمهموز مثل (أشح شأح شحاً) والمضعف الثنائي مثل (شح) والثنائي المكرر مثل (شحشح) فانها قينة بان تكشف عن المعنى الاصل . هذا ما بدالي حقيقياً واطنه كذلك لا شك فيه ولكنه يحتاج الى الاناة بالدرس والى عدم التطلع بالانكار والتفنيد والتروي بالمقابلة . فان المسألة لغوية تستند على ما بين أيدينا من (تقليدات لغوية) تشبه كثيراً التقليد للمؤرخ والحفري وتبعد اشد البعد عن المحاكاة العقلية المحضة . فهي تعتمد المقارنة بين المواد ومعانيها وادراك وجه التعاشق فيها .

لاحد وجهي التقدير، وان كنا نقرر أن تقديرهم قد يتبادر لأول وهلة وهو علامة الحقيقة، ولكن لا يستقيم الى النهاية بل يتخاف كثيراً. والسري في هذه الظاهرة هو ما قدمنا من أنه راجع الى دلالة الحروف المجتمعة، فان لها دلالة مقارنة ومتفاهة. ومن ثم اشتبه الاولون ولكن العلامة الفارقة دائماً في تحرير التقديرات ترجع الى ما يتم عليها المعنى. وسيظهر هذا في عرض الامثلة ومقارنتها.

(عَبَل) قال اصحاب المعاجم في معناها (الضخم من كل شيء) وكأنه وحدة المعاني في المادة فعلى منهج الأولين ترد الى (عب) زيدت عليه اللام، وعلى منهجنا ترد الى (على) زيدت عليه الباء، والوجه في ترجيح ما نذهب اليه، أن (عل) من مشتقاتها ما يدل هذه الدلالة، قالوا (العل) ذكر المعزى الضخم العظيم وأيضاً القراد الضخم. وفيه نجد تمام معنى (عبل) بينما أخص ما استعملت فيه (عب) يدل على تدافع السائل فقيل بحر عباب وهكذا.

وأنت تجد أن وجه الملاحظة بقطع النظر عن الاستعمال في السائل، التدافع لا التضخم كما هو ظاهر.

وخذه في الزيادات. فعند الأولين (عبث وعبد الخ) مما لا يظهر فيها جامع إلا على تمحل بينما تجد فيما ترجع اليه (عبث) على رأينا. وحدة معناها بدون فسد وهو (عث) ومن مشتقاتها (عثاث) الترم في الغناء و (العثة) المرأة البديئة. والزيادات عندنا (عتل وعتل الخ) وانظر كيف تجد بينها جامعاً معنوياً ظاهراً قالوا (العئلة) الهراوة الغليظة والعصا الضخمة من حديد وقالوا (العثل) الغليظ للضخم إلى غير ذلك مما يظهر بالتتابع ويتضح بالاستقراء أخذاً هذه الطريقة بالشكلية. فنحن نخالفهم في هذا ونلحظ في المخالفة، وأرانا على حق في هذا الخلاف أو هو كل الحق والصدق، وكيفما كان فإنه لا يعيننا في العمل اللغوي أبداً، لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي، وانما هو يمت إلى التاريخ اللغوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة.

وأما الثاني من وجه خلافنا مع الأقدمين. فهو في أن وحدة الثلاثي المقاليب الستة، وليست وحدته المادة الواحدة. وهذا ما نسميه (بالقاب) ويسمونه

بالاشتقاق الكبير وأما القلب عندهم ، فيعنون منه غير هذا . يعنون به (الترادف في صورة القلب) كجذب وجبذ ويأس وأيس فكلها بمعنى واحد . وهم يرجعون سببه إلى تزاخم حروف الكلمة على اللسان وتسابقها . وعلاه ابو عبيد البكري بسبب ذهني ، ومن هنا فرقوا بينه وبين ما مرجع الترادف فيه الى اختلاف اللغات كما نبه عليه ابن سيده في مقدمة المخصص وناقشهم في جذب وجبذ بأنهما من القلب لأنهما عنده لغتان .

ومن ثم لا يكون للقلب عندهم عمل في تكثير اللغة إلا في كلمات الترادف فقط على انه كشيء غير مقصود أيضاً . ومن هذا نعرف أن صاحب الفلسفة اللغوية لم يتحرر عنده معنى القلب في اصطلاح الاقدمين إذ لم يفرق بين القلب واللغة قال (١)
(القلب عبارة عن تقديم وتأخير أحد الحروف من اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغيير طفيف وهو أقل وروداً من الابدال) فعبارته تشعر بقصده وانه يكون على تغيير في المعنى وليس بصحيح ، ولا بأس من تحرير مفهوم هذا الاصطلاح والاختلاف في وقوعه .

ذهب الكوفيون إلى وقوعه في الأفعال وسواها كبكل ولبك وطامس وطامس ، وردة البصريون في الأفعال والمصادر ورأوه لغة ، وأثبتوه في مشتقات المعاني كما في جرف هار وهائر . ومن هذين المذهبين نشأ مذهب آخر إستدلالي وهو ما حكاه السخاوي في شرح المفصل بقوله (إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً لئلا يلتبس بالأصل ويقتصر على مصدر الأصل ليكون شاهداً للاصالة نحو يئس يأساً وأيس مقلوب منه ولا مصدر له فاذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب نحو جبذ وجذب وأهل اللغة يقولون ان ذلك كله مقلوب (٢))

وعبارة السخاوي تفيد أن الخلاف بين الكوفيين والبصريين اشتهر بمذهب أهل اللغة وبأن المذهب الثالث اشتهر بمذهب النحاة وهو ارتاء متأخر .
والقلب على هذا المعنى نسميه (بالقلب اللفظي) وهو غير واقع عندنا في الالتهجة

(١) راجع الفلسفة اللغويه ص (٢٠) .

(٢) راجع الزهرج ١ ص ٢٨٥ .

الواحدة إلا على قلة لا يمكن تحديدها واكثر منه بين الالهجات . وأما هو فليس له عمل
أبدآ في النمو اللغوي والتزيد الكلمي ، وهذه الكثرة التي يسوقونها ترجع في رأينا إلى
ما قبل عهد الاستقرار ، وتنظر إلى عهود كانت فيها كامله الحياة ، ثم تناقصها المد
الزمني حتى لم تبق منها إلا بقايا داخل الرواة في بعض منها لعدم التمييز ، وداخل
العرب في البعض الآخر اكتفاء بدلالة المادة العتيده . فمثلاً وجود (يأس وأيس)
يدل على أن أيس أثرية امينت مشتقاتها لأنه لم يدخلها عمل الاعلال .

و بالجملة فنحن نوافق ابن السكيت في دعوى ابطال القلب بهذا المعنى إلا في قلة
ترجع إلى لهجات القبائل واختلافها ويمكن تحديدها . وهذا القلب اللفظي بديهي انه
غير القلب الذي نعبه لأن ما نقصده هو ما يلاقي الاشتقاق الكبير في عبارات الاولين
ولنأت بين يدي الموضوع بفلسفة تاريخية عن اقتراح هذه الفكرة عند علماء الاشتقاق
القدامى .

تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير

يمكننا أن نورخ فكرة الاشتقاق التحقيقي (بالخليل بن احمد) وهو بهذا رأس
طبقة كان يتوسع عملها بين حين وآخر منفعلاً بالعقلية التي تخدمه ولون الثقافة السائدة .
ولا شك في أن للثقافة العامة أثرها من حيث توجيه شتى البحوث ، ولقد ظهر هذا
في بحث اللغة فنسقه عند الطبقة التي يجيء على رأسها (ابو على الفارسي) وتلميذه له
طابع فلسفي من الطابع السائد لذلك العصر . ومهما يكن من أثار من تعاقبوا في طبقة
الخليل لم يجاوزوا خطته واعلامه ، بل تقول انهم لم يتحققوا كما يجب وأيضاً تقول في
غير مبالغة ، لم يكن عمل الطبقة الثانية إلا شرحاً لما بدأه الخليل ، فهو أول من تبين الوحدة
بين المقاليد وتناولها بالدرس ، وزاد بأن أراد حصر ما في العربية من الثلاثي على
ضوئها بعد تحقق أن للكلمة الثلاثية ستة مقاليد فيها المهمل والمستعمل . ومن ثم كان
عمله خطيراً جداً ولا يفهم من هذا أنه قصد الاستفادة من المهملات بعد عمل نظامي

عليها ، وانما كان جهده فيها عملاً تحقيقياً فقط . ولقد توسع على فكرته (مخبرة النديم) في كتابه^(١) جامع النطق الذي شرحه الزجاج .

ولا نتوسع في ذكر عمل هذه الطبقة ، لما ان مجتهد وان اتجه هذا الاتجاه غير انه بقي محافظاً جداً ومنطبعاً بالرواية ، ولكن لا ينكر أن انتاج هذه الطبقة في الاشتقاق الصغير كان بالغاً جداً وقويماً أيضاً ، وهو يعادل انتاج الطبقة الثانية في الاشتقاق الكبير التي يجيء على رأسها الفارسي وتلميذه ابن جني وان كان تلميذه هو وحده صاحب الثروة الطائفة والمتنوع الواسع الذي ننسبه إلى طبقته . ومع ان ابن جني اعتمد هذا الاشتقاق وبالغ في اعتماده لم يكن على اقتناع من ان عمل العربي كان آخذاً هذه الصورة قال^(٢) السيوطي (وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة ولا يصحح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب)

والطبقة الثالثة تبدأ بالعلامة الحاتمي وتلميذه السكاكي ولا نغفل فيها ذكر ابن الاثير صاحب المثل السائر ، فهؤلاء حققوا النظرية بصورة أكثر عملية . على اننا لا نعرف للحاتمي أثراً باشره بالتأليف في هذا الموضوع سوى ما نقله عنه تلميذه السكاكي في المفتاح . وحم علينا أن نذكر عبارة السكاكي وابن الاثير ليوضح لنا مقدار تطور التعليم عند رجال الطبقة الثالثة . قال^(٣) السكاكي في المفتاح (وان تجاوزت إلى ما احتملته من معنى أعم من ذلك كيفما انتظمت ، مثل الصور الست للحروف الثلاثية المختلفة من حيث النظم . والاربع والعشرين للأربعة . والمائة والعشرين للخمسة سمي الاشتقاق الكبير) وتأمل جيداً قوله والاربع والعشرين للاربعة تفق على ان تعليمه لم يكن أكثر من تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء ، ومع اني أذهب في احترام الحاتمي مذهباً بعيداً يجمعه الثالث بعد الخليل وابن جني ، أعتبر هذه النظرية مجازفة منه ومن تلميذه ذي المجازفات الجملة في بحث الفنون الأدبية ، حتى قصد في

(١) راجع معجم ياقوت ج ١ ص ١٤٩

(٢) راجع المزهج ج ١ ص ٢٠١

(٣) راجع المفتاح ص (٧)

حين أن يصطنع المنطق بمصطلحاته في محيط الأدب مما أدى الى مسخ حقيقي فيه ، ومع ذلك كان صاحب عبقرية نادرة .

ثم يزيدنا هذا التلميذ المخلص ، أن شيخه الحاتمي أحكم قانوناً في الدرس اللغوي سماه بالاشتقاق الأكبر وسيظهر لك من عبارة السكاكي أنه إغراق في الاستنباط والتمحل . قال ^(١) (وها هنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر وهو أن يتجاوز إلى ما احتملته إخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً ، وقد عرفت الأنواع والمخارج على ما نبهناك وأنه نوع لم أر أحداً من سحرة هذا الفن وقليل ما هم حام حوله على وجهه إلا هو) ومثاله بأن تنقل بالحروف إلى ما يجانسها في (قط) مثلاً التي تنوع إلى (قطب وقطف وقطع وقطل) وكلها تتضمن معنى القطع .

ويجانس (قط - قص) ومنها (قضم وقصل وقصف وقصر وقصا) وهي تفيد معنى القطع في جميعها .

ويجانس (قص - قض) ومنها (قض وقاض وقضم وقضب وقضع)

ويجانس (قص - كس) ومنها (كس وكسر وكسع وكسم)

ويجانس (قص - جذ) ومنها (جذ وجذب وجذف وجذم)

ويجانس (جذ - جز) ومنها (جز وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزم) وجميعها

تتفاهم في القطع .

وهذا كما ترى شيء يعتمد الحدس فقط ونظن بأن قانون الاشتقاق الاكبر

سرى عند الحاتمي من المشجرات اللغوية التي أفردتها اللغويون بالتأليف ، ومن قارن بينها ظهر له مقدار التقارب غاية ما في الأمر ان تلك مشجرات كلية وهذه مشجرات حرفية . ومع ان قاعدة الاشتقاق الكبير بلغت عند الحاتمي كما ترى بقية قاصرة جداً ، ولم تستخدم إلا خدمة بيانية فقط وكأن الحاتمي قصد الى هذه الغاية البلاغية خاصة .

وفي هذه الطبقة ينفرد ابن الأثير بملحظ دقيق ولكن لا أدري أوقع له عفواً وهو ما يظهر أم قصد اليه قصداً بناء على تصوره ان العربي جنح الى الوضع على هذا

الترتيب مراعيًا المشابهة بقاء الكلمة . فال (١) (وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل إليها ، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول (ان لفظة (قمر) من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي : (قمر - قرم - رمق - رقم - مقر - مرق) فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة) والملاحظ الذي أقول بأن ابن الاثير انفرده به على جميع باحثي الاشتقاق الكبير ، هو هذا الترتيب باعتبار الفاء . مما كأنه يرمي الى غاية نشوئية حاصلها انا لو فرضنا مادة كذا أصلاً ، فالمادة التي يكون لها فؤها عقبته بها اشتقاقاً كما ترى في صنيعه (قمر قرم) وان كنا نستبعده لأنه لم يشر اليه أصلاً .

وبعد ابن الاثير لا أظن أحداً عرض للقلب بعمل مشعر ، وانما كان كل عمل الأدباء بعد ذلك نحوياً ومعجمياً فقط .

وبالجملة لم تكن هذه النظرية أكثر من وسيلة يستروحون اليها ويتعللون بها ، كما قال (محمد صديق حسن خان) في رسالته (العلم الخفاق) ولهذا السبب ظلت أبحاثهم فيها مضطربة فلم تقم على أساس فقهي ، وقولنا بأنها غير فقهية لا يطعن على عملهم أو يقلل من قيمته ، وانما هي السنة الفكرية الدائمة في كشف الغوامض تبدأ غامضة ولكن مع ذلك فيها عناصر الحل الاخير . وأهم النتائج التي أجتهد في أن أتوصل اليها من وراء قاعدة المقاليب .

(١) تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد .

(٢) الوقوف على المئات كمحور وعلى الدخيل من الأصيل كما في (جبت) (٢)

(٣) اعتماد الجامعة المنعوية بين مواد الثلاثي كاعتمادها بين مفردات كل مادة .

(١) راجع المثل السائر ص (٢٩٤)

(٢) اظن أن كلمة (جبت) في العربية بمعنى (الصنم) غريبة عن العربية واقدر تقديرأ قد يطمأن اليه وهو أنها محرقة عن (ايجبت) اسم مصر عند اليونان ويظهر أن آلهة مصرية حملت الى بلاد العرب في زمن البطالسة وعبدت فيها ولا يبعد أن يكون وصولها الى الجزيرة وعبادتها حدث بعد حملة البطالسة على الجزيرة التي وصلوا فيها الى اقصى تهامة .

(٥) وهي نتيجة النتائج . أن نأخذ بالوضع الجديد على مقتضاها لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

القلب أو قاعدة الدوائر

هنا نريد أن نتكلم على القلب وقواعده في نتائج بحثنا ، غير متأثرين أحداً ولا ملزمين به ، وإنما كشيء نراه الكفيل فحسب بمنجاة العربية في مستقبلها البعيد . وقد نكون على خطأ في تقدير انه خطة العربي القديم في الوضع ، وقد نكون على صواب والاصابة غير بعيدة عنه . وسيان لدينا أكان هذا القانون في طبع العربي أم لا ، ما دام يسد عوزنا وفيه البلاغ ، وينزل من طبعنا منزلة ما لم يكن العربي ينبو عنه أو ينكر أمره .

نبهنا فيما سبق على أن القلب في عرفنا يستوي مع الاشتقاق الكبير في عرف أئمة اللغة . وقدما أيضاً أن الزيادة في الثلاثي تكون في محل (العين) ولم نفرده من هذا الرأي إلا بطرده في كل ثلاثي . وتقدم بين يدي الموضوع التنبيه على ان عمل القلب خاص في محيط الثلاثي لا يتجاوزة الى غيره مما ظنه العلامة الحاتمي وقدره تقديراً مرسلأ لا يعمد شيئاً من المنطق ، وهو في جملة لا يجاوز كونه معادلة حسابية فقط تقوم على الارقام والاعداد .

تقدمنا^(١) بشرح قاعدة القلب ، ونكتفي هنا بإيراد مثال يتضح عليه سير القلب النظامي كما نحب أن نقرره وهو (ز ف ن) فان أقدم مواد هذا الثلاثي (زفن) لأنها الأوفق للترتيب الهجائي ويتفرع عنها بمقتضى القاعدة (فنز) وهذه يتفرع عنها (نرف) وهذه لا تفرخ إلا مادة الأصل (زفن) على نظام التفرخ السابق . وعليه فلا بد من التغيرات حتى يستقيم الثلاثي في تفرخه . وبمقتضى التغيرات المعبر يتفرع من

(١) راجع ص ١٤٩ من المقدمة

مادة الأصل (زنف) التي هي الاصل الثاني وينشأ عنها على نظام النفرنج السابق (نفرز) وهذه يتفرع عنها (فزن) ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتاج ابدأ .
علي هذا النسق ^(١) قد كان القلب عند العرب الأولين ، وقد يستبعد بادئ
بدأ ولكنني على غير ريب في أن تطبيق القلب بنظامه على اللغة ، سيكون كفيلاً
للاعتداد به واعتباره عند أي باحث كان . وعلى هذا نتمكن من بحث أية مادة وتعيين
المعنى الوضعي لها حقيقة ان كانت من ذوات الخصوصية في الاطلاق أو التقييد كما انه
يأخذ بيد الوضع الجديد الذي سيضطر الى الأخذ في السبيل العربي الصحيح ، دون
الترقيع البالي الذي لا يكون في رقعته بأكثر مما أعوز اليه .

(١) قدمنا أن هذه المواد الست تجمعها وحدة معنوية هي الملحظ الوضعي الثابت وإنما
تختلف بالخصوصية فقط وسبيل تعيينها بشيئين (١) موقع المادة من الدائرة (٢) الاجتماع
الحرفي في المادة أما الاول فنعني به أن المادة يختلف معناها على اختلاف الموقع من الدائرة .
واعلم أن كل دائرة تجتمع في وحدة اخص تكون أكثر ظهوراً في المواد الثلاثة من الوحدة العامة
للاثاني في مواده الست . فوحدة الدائرة الاولى تكون بملاحظة المعنى فيما يقوم فيه . ووحدة
الدائرة الثانية تكون بملاحظة المتلبس بالمعنى والوحدة العامة هي المعنى نفسه بعيداً عن العلائق
الحسية والمعنوية . وعليه فالمادة الاولى من الدائرة الاولى تدل على الوحده في اوضح صورها
الحسية . والمادة الثانية تدل عليها في ملابسات حسية والمادة الثالثة تدل عليها في ملابسات معنوية
والمادة الاولى من الدائرة الثانية تدل على وحدتها في جلاء ووضوح والمادة الثانية تدل عليها
مع انفعال ظاهر والمادة الثالثة تدل عليها مع انفعال مستخف . وأما الثاني . وهو الاجتماع
الحرفي في المادة فنعني به رد الثلاثي الى الثنائي على الطريقة السابقة لمعرفة المعنى الاصل ثم تحرير
معنى الحرف لتحديد المعنى المجموع ومن هذا اصبح ضرورياً ان نتكلم على تحديد معاني حروف
الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة

(الهمزة) يدل على الجوفية ، وعلى ما هو وطاء للمعنى ، ويدل على الصفة تصير طبعاً .
(الباء) يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً ، ويدل على القوام الصلب بالتفعل . (التاء)
يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً . (الثاء) يدل على
التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى . (الجيم) يدل على العظم مطلقاً .
(الحاء) يدل على التماسك البالغ والخاص في الخفيات ويدل على المائية . (الخاء) يدل على المطاوعة
والانتشار ، وعلى التلاشي مطلقاً . (الدال) يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع . (الذال)
يدل على التفرد . (الراء) يدل على الملكة ويدل على شيوع الوصف . (الزاي) يدل على التقلع
القوي . (السين) يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص (الشين) يدل على التقشي بغير نظام

مناقشات

وجه المناقشة في القاعدة على أنحاء .

(١) اعتمادها الجدول الهجائي أساساً .

(٢) دعوى أن أقدم المقاليب ما وافق ترتيب الجدول .

(٣) دعوى ان التفریح المادي يكون باعتبار العين واللام .

(٤) دعوى ان التغير لتحصيل رأس الدائرة الثانية يكون بتقديم اللام إلى

موضع العين .

(الصاد) يدل على المعالجة الشديدة (الضاد) يدل على الغلبة تحت الثقل (الطاء) يدل على الملحة في الصفة وعلى الالتواء والانكسار (الظاء) يدل على التمكن في الغرور (العين) يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقاً (الفين) يدل على كمال المعنى في الشيء (الفاء) يدل على لازم المعنى أى على الوضع في المعنى الكسائي (القاف) يدل على المفاجئة التي تحدث صوتاً (الكاف) يدل على الشيء ينتج عن الشيء في احتكام (اللام) يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه (الميم) يدل على الانجماع (النون) يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى يمكننا تظهر اعراضه (الهاء) يدل على الثلاثي (الواو) يدل على الانفعال المؤثر في الظواهر (الياء) يدل على الانفعال المؤثر في البواطن. وبتقرير هذه القواعد للاشتقاق اصبح سبيل الوضع معبداً جداً فهو من موقع المادة في التفریح ومن هيئة اجتماع الحروف يعين الخصوصية في غير تكلف جهيد ولا عناء ملحف . ومثاله (فزن) فان من هذا الثلاثي ما هو غير محفوظ كادتي (فنز) و (فزن) فلو اردنا تعيين المعنى لكل منهما فإلى ان نبحث عن موقعهما الدائري من وجه وعن اجتماع الحروف من وجه آخر وبعد هذا النظر والملاحظة نخرج بتحديد صحيح (ففنر) يظهر معناها في (فز) وهى الخفة و(النون) تدل على البطون والمعنى المؤلف (الخفة المتمكنة الباطنة) وبما ان موقعها الثانية من الدائرة الاولى فتدل على الوحدة في ملابسات حسية وقد بقى مزيد يدل على الرقص وهو (الفنرج) و(فزن) يظهر معناها في (فز) وهى الحركة في ميد و(الزاي) يدل على التقلع القوى وعليه فالعنى المؤلف (الحركة المتقلعة في ميد) وبما ان موقعها الثالثة من الدائرة الثانية فتدل على الوحدة مع انفعال مستخف وعليه فدالاتها الشاملة (الاضطراب المتأثر بتأثير باطني) كاضطراب ذوى الامراض العصبية ورجفان الهرم وتوقد الموتورات وهكذا . واذا اخذنا في زيادة اخرى كلفهزة مثلاً نخرج من المادة بمعنى (الاضطراب الطبيعي المتأثر بتأثير باطني) في (فزنأ) كالمولود المرنجف لعلل فيزيولوجية خلفه . وبمعنى (الخفة الطبيعية التي تظهر اعراضها بتأثير باطني) في (فنزأ) وهكذا .

هذه وجوه دقيقة ، والجواب عليها ليس هيناً على سبيل البسط والتحرير ولكن يمكن أن نجيب عنها بجواب اجمالي ويعتبر كافياً في الرد مع ذلك . وحاصله أن الافتراض العلمي أي المصوغ على أساليب صحيحة يعتبر مبدأ علمياً ما دام يصلح أن يكون علة للسؤال عن الشيء ولا ريب في أن هذه القاعدة صالحة لأن تكون جواباً عن كل ما يسأل عنه في اللغة .

ولأن الموضوع على شيء من الدقة كان ضرورياً أن نتعرض لشرح انحاء المناقشة وبالخاص فيما يتعلق بالجدول . حينما حاولت درس هذا الخاطر وتطبيقه على كالم اللغة الشتي ، وقعت على نص أشبه ما يكون (بالتقليد) فهو اذن أثري ، وفيه ما يدعو إلى التساؤل لأنه يخالف كل ما عرف واشتهر ومضى الناس على تقريره واعتماده وهو ما أورده ابن النديم في الفهرست قال^(١) (وان نقرأ من أهل الانبار من أياد القديمة وضعوا حروف الف ب ت ث وعنه أخذت العرب) وهو يعزو هذا الزعم الى ابن اسحاق وأنا على اعترافي بما عند القدماء من اسطورية في التحديث عن الماضي البعيد ، لا أنكر انه أنه من خاطري المطمئن إلى الابدية ، بحيث جهاني آخذ بامتحان القاعدة على وجه آخر ولهذا الشك وجوهه .

- (١) هذه المسحة في الابدية التي هي أقرب الى الاصطلاح والضبط .
- (٢) اتخاذ الابدية في حين عوضاً عن الارقام الذي ينظر اليه (حساب الجمل)
- (٣) الظن القوي في دائرة المباحث المشرقية بأن للعرب أحرف هجاء خاصة كتبوا بها لا تقل^(٢) قدماً عن الخط الهيروغليفي والاشوري .

فنحن اذن منه على ما يدفع بنا الى الشك ، فلم ندخر وسعاً في تتبع المواد وتقدير المعاني ، الأمر الذي أفضى بنا الى اعتماد الجدول في كثير من الاطمئنان وان كنا لم نزل على ريبة من انه كذلك كان بكل حروفه ولكن لا يسعنا إلا اعتماداه على ما هو بدون تمييز لتصحيح الوضع في المستقبل . ولناخذ بعرض مادة غامضة لتري

(١) راجع الفهرست ص (٧)

(٢) كما حققه الاستاذ سايس والدكتور كليز . راجع مجلة المعرض البغدية السنة

مقدار ما فيه من صدق . (عقر) بمعنى جرح ومنه العقيرة بمعنى الصوت في قولهم (رفع فلان عقيرته) حمل اللغويين على التساؤل في حيرة ، عن السبب في تولد العقيرة بمعنى الصوت من عقر بمعنى جرح . ومن ثم ذهبوا ينتحلون له التعاليل والفروض حتى انتهت عند ابن دريد (وهو من هو في اتحال الحكاية) برواية قصة (١) طريفة جداً زعم أنها وقعت لرجل عثرت به رجله فخرحت فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى بأعلى صوته فقال الناس رفع فلان عقيرته أي رجله المعقورة وتناسوا فيها دلالة الأصل لتدل على القصة من باب تأصيل الفرع . وعندنا أن الأصل في معنى (عقر) الصوت بدليل ظهوره في أغلب المواد من مثل (رعق) و (قرع) ونقل الى الجرح بالملابسة في موضوع بعينه ، وأميت في عقر المعنى الأصلي وبقيت العقيرة كحلقة اتصال بين التطورين على ما أثبتته القاعدة .

هذه هي أنحاء المناقشة على القاعدة ، ولقد يرى في وجوه الدفع على اجتماعها ما لا يصحح الغرض ولكن هذا لا يعني الشك في صحة القاعدة أبداً . فان جمعنا نذكر حديث الفروض الطبيعية الذي بها يتم التفسير الكوني . وصموت الطبيعي ووجوه الخائر امام التجارب التي لا تزال مجهولة الناموس على ان موضوع كون هذه القاعدة على ترتيبها اعتمدها الوضع القديم في واد ، وموضوع ضرورة اعتماد الوضع الحديث لها في واد آخر . فلقد تقرر بما لا يحتمل ريباً أن بين مواد الثلاثي الست جامعاً معنوياً وانما وجه الخلاف في الخصوصية فقط . وما من ثلاثي يمكن فرضه إلا وضع العرب عليه . بيد أنه لم يتم وضع كل مواده دائماً ، وعليه فيمكن انتزاع الجامع المعنوي منه وتعيين الخصوصية بمساعدة الثنائي الذي لا نظن في أمره مناقشة . وبهذه القاعدة يترب الوضع ويستقيم وتظهر فائدتها في الاشياء التي تتفرع أنواعها عن وحدات كالفصائل في الحيوان والنبات والجراثيم . فالمادة الاولى تخص بالدلالة على الفصيلة ، ويوضع منها للنوع الذي تكون فيه أوضح ، ويوضع لبقية الأنواع على مقدار ما فيها من مشابهة في اللزوم أو الانفكاك . وفي حال ما إذا لم يعتمد تقديرنا في أن العربي كان سائراً

(١) راجع مقدمة الكافي للشيخ طاهر الجزائري .

بالأفعال لطردھا على باب (ضرب) نعتد مذهب أبي زيد الانصاري الذي اعتمده
الفيروزابادي في القاموس وهو اذا جاوزت المشاهير من الافعال فأنت بالخيار بين
الكسر والضم . وان كنت أميل الى طرد الكسر للجمع بين مختلف آراء النحويين
فان الفراء يذهب إلى أن الأصل في المضارع الكسر وعليه فأبو زيد يجيزه والفراء يعينه .
صرحنا منذ سالفة ان القلب عامل هام في تزايد الثروة اللغوية حتى أشبهه من
كل وجوهه التكاثر بالانقسام في النقايات . ومن هنا كان ذلك المد اللغوي الدائم في
العربية حتى لم تعرف له جذراً إلا حين وقف عمل القلب فيها . ولقد بقيت عوامل
أخرى ضعيفة في نفسها وضعيفة في انتاجها عمات في اثلاثي عملاً محدوداً جداً وهي .
القلب اللفظي . الاعلال . الاتباع . تداخل اللغات . التخفيف بالاسكان . فعليمة
المصدر . الرد الى الأصل . التضاد . الاشتراك . المزوجة .

القلب اللفظي

هذا الذي عناه الأقدمون باسم القلب، وقد خرجوا عليه كثيراً واختلفوا في أمره
كثيراً وأغرق فريق فأنكره كابن السكيت . وهم مع هذا التعليق الطويل والأخذ
بالموضوع مأخذ الدرس الواسع لم يتحدد كما يجب فبقي غامضاً في شروطه غير متوضح
في منحاه التعليمي . وكان في أوضح بحوثه قائمة من السماع .

وقد قدمنا شيئاً عنه وعلقنا على اختلافهم ، وليس بنا من حاجة هنا للاعادة مرة
أخرى . وإنما سقصد من أول الأمر للكلام على رأينا فيه دون ماوقوف عند ماقروره
من أمثلة وشواهد . ولكن بما أن هذه الكثرة المثالية عرفت بأنها من القلب فلنتكلم
على العوامل التي سببت اليها ونظن بأن لها سببين .

(١) اضطراب الحروف على اللسان . فلا تنطق موزونة ويدخل فيه الاختلاف
القبلي وهذا هو القلب اللفظي فقط ومن أمثله - لعمري ورعلمي ، وما أطيبه وأيطبه الخ .
(٢) الأمانة ونعني بها أن تكون مادة المقلوب حية بكل اشتقاقاتها ثم لا يعرف
منها إلا اشتقاق واحد بقي إما نسياناً أو استغناء فيالحق بالأقرب صورة ومعنى وأمثله

ماء سلسال ولسلاس والخذخد والدخدخ الخ مما يمكن تمييزه بالرد إلى الأصول الثنائية التي هي المعلات وتبين المعنى فيها . إذن فهذه تنظر إلى مواد كانت كاملة الاشتقاق ثم امتت ، ولم يبق منها إلا هذا النادر وقد بقي في العربية كثير من هذا النوع ومنه (كفف) و (محارة) وهذه الأخيرة توضح شيئاً من غموض الموضوع . فان اللغويين لما لم يجدوا لها فعلاً أحقوها (بحور) . وهذا النحو من القلب ليس خاصاً بالمفرد بل يدخل الجموع ويظهر عليها بأكثر من ظهوره في المفرد . قالوا في جمع بئر آبار وفي جمع رم آرام . إلى حد أنه يعاود وجوده مرة أخرى على كل لسان فانا كثيراً مانغلط عين الغلط في مثله ، وهو شيء فاش في اللهجة العامية ، فكثير من المناطق السورية ينطق (أليم في لثيم) والاستدلال^(١) بعامية اليوم له وجهه من الاعتبار . وضروري أن لا نغفل هنا شيئاً آخر كان له أثره وهو غلط الرواة وتحملهم بدون تمحيص . ولقد يكون من الظن القريب احتمال أن القلب نوع من الاتباع (فحسن بسن) اتباع بالابدل و (سبسب و بسبس) اتباع بالقلب .

وبالجملة فليس في القلب اللفظي ما نستفيد منه في الوضع المستقبل أية فائدة بل على العكس هو سبب للاشتباه والمغلطة وإذا قصدنا الاستفادة بشيء منه ففي الجمع فقط إذا سمينا به فان الجمع العلمي يرفع اللبس .

الاعلال

حديث الاعلال في العربية متسع عريض ، فكان ظاهرة قوية الوضوح وعلى نحو بارز في الأفعال والمصادر والموازين والجموع ، والاعلال عندنا مظهر من مظاهر الاتعداد اللغوي والبلوغ الفني ، وهذه نتيجة ضرورية للعمل النظامي الذي نشاهد أثره في شتى

(١) راجع المبهج لابن جني فقد احتج بعامية بغداد في عهده غير مامرة . والامر العجيب أن بعض النواحي في لبنان لا ينطق أهلها المهموز الا مقلوباً مما لا يبعد معه التقدير بان المهموز المقلوب من لهجات القبائل التي ربما يرجع اليها القوم الحاليون على طريقة المرحوم حفني ناصف

الألفاظ المعلة . ولقد تدهش حقاً للتحويلات التي لا تشذ ولا تختلف وإنما تتبع سنة واحدة فيها من القوة ما يجعلها ذات أهمية .

ومن ثم كان حديث الاعلال طريفاً أيضاً من حيث كونه حيلة لغوية لبقية ابتدأها العربي للمرة الأولى في الصميم من اللغة اداة للتصحيح^(١) وللمتمكين اللفظي واخفاء لمواطن الضعف في الكلمة . وفي العرض والتحليل غنية وكفاء . فاذا أخذنا مثلاً قانون (اعلال^(٢) الاتباع) الذي هو ملاحظة الحركة قبل النقل وتأثير هذه الملاحظة فيما بعد النقل ، تقف على مقدار الملاحظة الفنية العميقة ، وان تكن على تكلف فلا تنفي انها فنية جداً وعمل موزون وانه سبق بارتقائات لغوية سامية أدت اليه . وأظن أحداً لا يخالف أبداً في براعة قواعد ادخال الواو على الياء والعكس وعمل التعويض في (اسطاع)^(٣) وقواعد الابدال في أحرف اللين إلى غير ذلك .

فالاعلال تصرف يأخذ طريقة ارتقائية محفوظة النسب لا تختلف إلا على ملاحظات معتبرة ، مما لا يدع شكاً عند الباحث بأنه نتيجة لمبالغات عالية في البناء والاسلوب ، وأفكار ناضجة في اللغة وفيه وحده مقنع للدارس اللغوي بما تناول اللغة من جهود وما استقر فيها من افكار تسامت بها .

ولا يحك في صدر أي باحث حوك من ظن أن قواعد الاعلال اصطناع النحاة واللغويين ونتيجة لتقدير اتهم الشخصية المحضه . لان الاعلال حقيقة راهنة في صميم اللغة سواء كان متخذاً اسلوب النحاة ولون تعبيرهم أم لا . ومن ثم ينبغي أن لا يتجاوز شكنا هذا اللون من التعبير فقط الذي اصطنعه النحاة ولم يشرحه على وجهه وأما هو في نفسه وحقيقته وفيما يكشف عنه من تسام صريح فمالا فيه ولا شك . وان مجرد ان يكون (قال) مثلاً أصله (قول) واعتبار هذا الاعلال في كل الاشتقاق الفرعي عنه يحملنا على الدهشة الممزوجة بتقدير العقلية اللغوية التي صدرت عنها هذه التفاعلات

(١) نعني بالتصحيح هنا التمكين اللفظي وليس المعنى الصرفي فإنه معه على طرفي سلب وإيجاب .

(٢) راجع شرح الجواليقي على أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٣) راجع التصريف الملوكي لابن جني .

واذن فالاعلال في غاية يراد للتصحيح ، وهو وسيلة لبقه جداً وسامية . وان كنت اعجب من شيء فاكثراً ما اعجب له . الشك في رقي عقلية العرب من هذه الناحية . وهذا لا يمنعنا من الدعوة الى اعادة النظر في قواعد الاعلال التي اقرها النحاة في اسلوب قد لا يجد شواهد عليه لا لعدم صدقها ولكن لانها انبنت على لف ودوران كثير . فاذا أخذت مثلاً (اعلال الأتباع) رأيت فيه ظاهرة من هذا اللف ليست بأقل مما تجده في وجه اعلال مطايا وقضايا وبعد وسواهما مما هو كثير . بينما كان يمكننا أن نقرر قواعده في بساطة متناهية وصدق أيضاً فقد ظهر أن الاعلال وجه من الاتباع بالمثل أو بالاشباع ، وهو رأي أقرب ما يكون الى الصواب ، فان الاتباع قانون واسع العمل في العربية جداً يدخل في الأعراب والموازن والقلب والابدال ، ولا عجب فان اللغة التي تعطي من جانبها ميلاً شديداً للجرس والنغم وتبني الكلمة والاسلوب بناء موسيقياً تترك لسلسلة الاتباع أثراً هاماً ، وقد يخرج هذا عن حد التقدير الى الاعتقاد حينما تقف على الانحاء التي وضح أثره عليها في بحث الاتباع .

وهذا لا يعنيننا الآن كثيراً وسيأتي بسطه في محله . وانما اريد أن اقول في جملة الموضوع بان ما عرفناه من قواعد الاعلال وما أكثر به الصرفيون لم تعد اليه حاجة أبداً . وأما ما يفيدنا منه في الوضع الجديد فقد يكون غير يسير اذا أبقينا على التصحيح مع موجب الاعلال لدلالات بعينها . بعد تعيين مفاد الاعلال والتصحيح على الاطراد . فالاعلال يفيد المعنى الطبيعي كما في (طال) فانه يفيد الطول بنمو طبيعي و(ماد) يفيد التحرك كذلك . والتصحيح مع موجب الاعلال ، يفيد المعنى بتكلف او باضطراب (يفيد) يفيد التحرك باضطراب او بتجوج و (طول) يفيد التكلف في الطول .

الاتباع

لست اعلم قانوناً كان أكثر عملاً في اللغة من قانون الاتباع ، حتى كان في آخرته طابغاً لغوياً فظهر أثره (١) في الاصول والزوائد والكلمات والادوات والاشتقاق .

(١) ولا أدل على ذلك مما ذكره الزمخشري في الكشف عند تفسير قوله تعالي (فاعبد ربك مخلصاً له الدين) قال وقرى بضم الهمزة اتباعاً لحركة الباء

وهو يفسر غوامض اللغة تفسيراً بسيطاً جداً غير متكلف شيئاً من الفلسفة التي طالما أكثر من احتمالها للغويون الذين ارتضعوها وانطبغوا على أسلوبها . وقد ادى النحاة فهموه ووقفوا على طرف من عمله ، وبدأ يتوضح لهم شيئاً بعد شيء كما غمض عليهم احياناً فلم يفهموه في الاعلال والقلب اللفظي والادغام ، بينما نجده تفسيراً معقولاً لكل هذه الاشياء التي اعتبرها الاولون قوانين تعمل بنفسهما غير متأثرة .

ولقد يهمننا أن نفهم الاعلال على هذا الوجه ، لأنه عدا عن كونه يقرب العمل الصرفي ويحتزله يوقفنا على تأثير ما للنغم والتناسب من عمل في اللغة ويجعلنا نفسر الاعلال تفسيراً لا يتفاوت في النظائر ولا يستعبد مع طبيعة اللغة . فان القواعد الصرفية المقررة للاعلال قد لا تستقيم كثيراً فهذه (يعد) واصلمها (يوعد) وجهوها بان الواو لما وقعت بين عدوتيهما الياء والكسرة حذفت ولكنه لا يتجه في (نعد) و (تعد) وهكذا بيدانا نجد توجيهه من باب الاتباع يستقيم في كل النظائر والشواهد لان الاتباع خفة وذلاقة . ونسوق هنا امثلة نأخذ عليها بمقارنة عجيلى بياناً لمدى الدقة في تخريج الاعلال من باب الاتباع بدون ما اعتماد لشيء آخر .

قالوا أن الاصل في (مطأياً) جمع مطية (مطأيو) قلبت الواو ياء لتطرفها بعد الكسرة ثم قلبت الاولى همزة كما في صحائف ثم ابدلت الكسرة فتحة ثم الياء الفأثم الهمزة ياء فصار (مطايا) بعد خمسة أعمال . ونحن نقول بان تقدير الاعلال على هذه الشاكلة عدا عن ان فيه محذور اجتماع اعلايين في قلب الياء همزة ثم قلبها ياء ، يبعد وقوعه على هذا المقدار من المبالغة ووضح منه واقرب حتى لا يظن سواه في طبع العرب ، تخرجيها من باب الاتباع وبيانه أن كسرة الياء في (مطأيو) ابدلت فتحة بجانسة أو اتباعاً للألف قبلها ثم قلبت الواو الفأ اتباعاً لحركة الياء . بدون تهويل ولا مظالعة ولا عبث مرهق طويل . وهم يقولون في اعلال (مدار) ان اصلها (مدور) نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها ثم قلبت الواو الفأ لتحركها بحسب الاصل وانفتاح ما قبلها بحسب الآن . وعندنا ان الواو وقلبت الفأ اتباعاً لحركة الميم ، لما أن الساكن حاجز غير حصين وشاهده فنوا ان اتبعوا الحرف للحركة مع وجود الساكن فقالوا قنيان كما سبق . وعرفت الوجه عندهم لاعلال (نعد) وعندنا أن الواو قلبت ياء اتباعاً للكسرة ،

ولأخذ العربية باللفظية أخذاً عنيماً حذفت . ويظهر أن العربي أخذ المثل في كل أمثله بالحذف في المضارع خفة ، وأن مجيئه في كل الباب كذلك دليل على ثبوت التطور في اللغة وعلى أن الاعلال اتباع فقط .

ولنشرح الاتباع في شيء من البسط لهذه الأهمية التي له في تكييف اللغة ، قلنا في بحث الاعلال أن الاتباع شمل أنحاء من اللغة ويجدر بنا هنا تعدادها وهي .

- (١) اتباع بالابدال : كحسن بسن .
- (٢) اتباع بالقلب : كسبب وبسبس .
- (٣) اتباع بالحركة : كما في زَيْبِرٍ وَمِنْخَرٍ وَسَجْدَاتٍ وَتَنْصُبُ فِي تَنْصُبٍ .
- (٤) اتباع بالأعراب : كما في يا أيها الناسُ وكما في الجر بالمجاورة .
- (٥) اتباع بالاعلال : وهو على وجهين اعلال بالمثل كما في (كَيِّ) واعلال بالاشباع كما في (مدار) .

(٦) اتباع بالادغام : كما في عَضَّ وَمَصَّ وقد تمكّن هذا الاتباع في منطق العرب حتى أجروه على الحروف المتقاربة .

(٧) اتباع بالمزاوجة : كما في (ليرجمن مأزورات غير مأجورات)

(٨) اتباع بالتحريف أو التصحيف : كما في قول العباس (هو لشارب حل وبل)

وانما يمتينا هنا من كل أنواع الاتباع ما كان بالقلب وهو الذي اشتهر عند قدامى رجال اللغة بالاتباع على الاطلاق . وهم قد شرطوه بشروط أتى عليها اللغويون في كتب الدراسات كالمزهر والبلغة في أصول اللغة . ونحن لا نرى منها إلا شرطاً واحداً فقط ولذا لا نذكر غيره ، قال السيوطي في المزهر^(١) (ولا يكون مثل قول العباس في زمرم هي لشارب حل وبل من الاتباع لوجود العاطف) فكان شرط الاتباع بالقلب عدم العاطف لما انه يفيد الغيرية كما هو مقرر عندهم . وانما اعتمدناه لما انه يساعدنا في الاستفادة منه كعامل في التكثير اللغوي .

(١) راجع المزهر ج ١ ص (٢٤٥) .

ورأيي في الاتباع بالقلب انه لا يكون إلا في حروف المعاقبة والإبدال السماعي .
والذي الفت نظري إلى هذا تعبير وقع للامام ابن الجوزي في كتابه (١) المدهش قال
(وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون اعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك
يسمى الاتباع فيقولون اسوان اتوان وشيء تافه نافه وعفريت نفريت) الخ . فان
تعبيره بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون . يفيد أن التغيير جار على أصول ثابتة
وليس متروكاً للنفو مما يعين انه جار في حروف الابدال أو المعاقبة أي الحروف التي
تتناوب وتفيد عين الافادة .

هذا شيء نحن نستنتجه لأنفسنا ، ولا ندري بعد إذ كان ابن الجوزي يقصد
هذا القصد أم لا ، ولكن على أي حال كذلك رأينا وفيه تعليل صحيح للاتباع بالقلب
ولا يجعله على فوضى في لسان العرب . واذا صح هذا نستطيع أن نرتب حروف
المعاقبة والإبدال في جدول منظم متسق وهو يفيدنا جداً في سير الاشتقاق الجديد
كما سيأتي في بحث الابدال وأظن بأن هذا التفسير للاتباع بالقلب يقرب من الواقع
إلى حد أن يكونه . واما تصور انه كان متروكاً للنفو أو للخاطر فانتزاع له خبيء .
وكان العرب يقصدون بالابدال على هذا الوجه من المزوجة والروي تأكيد المعنى
وتحويل مقامه وربما فسره قول العربي لمن سأله عنه (هو شيء تند به كلامنا) . وهو
من جهة عمله يدخل في الكلمة والقصة - الصفة - ولكن الأمر الذي يدعو إلى
التساؤل عدم استعمال القرآن لشيء منه على شتى ألوان التعبير فيه . وفي الحق انه
تساؤل له أهميته . ومما لا يبعد احتمال (٢) أن يكون الاتباع خاصاً بالكلام المرتجل .

(١) راجع المدهش لابن الجوزي ص (٢٥)

(٢) بسطنا الكلام في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفسير وذكرنا هناك وجهاً
آخر لتعليل عدم وجود الاتباع بالقلب في القرآن ولا في الشعر . بيناه على ما ذكره سنسر في
عرض كلامه على الرقي من أن اللغة التي تتحكم بالنغم تكون على طفولة فلا بدع أن يكون الاتباع
الذي فيه قسط كبير بل اكبر قسط من الاعتماد على النغم والجرس ان يكون ظاهرة من الطفولة
وعلى كل فالامر الواقع أن القرآن لم يستعمل الاتباع في لون أبدأ من البيان وأن القرآن أسمى أثر
أدبي تمخضت عنه اللغة فلا بدع أن يكون لشيء مما ذكرناه أو لشيء آخر لم يتضح لنا .

والذي نستطيع أن نستفيد منه في الاشتقاق الجديد ضئيل جداً في الكلمة وأما في القصة فيكثر إلى حد أن لا يختلف عما كان في العربية الأولى ، وأرى أن يوضع منه كل ما لا يتأدى باللفظ الواحد كما قالوا (الكان مان) .

وبالجملة فالاتباع لا يختص بموضع من الكلمة في الفاء والعين واللام على حسب الاتساق وانتظام الروي ويكون واحداً وأكثر.

المزاوجة

ذكرنا أن المزاوجة نحو من الاتباع ، وهي لا تكون إلا في القصة . ومن ثم يظهر أن عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً وإنما قصدت ذلاقة في الأسلوب ومسايرة للاتساق اللفظي .

والمزاوجة لا تخص بوجه من الوجوه التي يقع فيها الكلام ، بل تكون في المفرد كما تكون في الجمع وتكون في الأداة كما تكون في الكلمة . قالوا (رأيت الوليد بن يزيد مباركا) وقالوا (ليرجعن مازورات غير مأجورات) إلى كثير تجده في كتاب (ليس في كلام العرب) وكتاب (الاتباع والمزاوجة لابن فارس) وكتاب (سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي) .

وإذا أخذنا بتحليل قول النبي (ليرجعن مازورات) وقوله (خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة) استطعنا أن ندرك سر المزاوجة . فإن (مازورات ^(١)) وأصلها (موزورات وهي من المعل المثال الذي سبق أن قررنا في شأنه أنه يصحح بالهمز ، تدلنا على أن المزاوجة إنما تجري في الحروف المتقاربة والمنقلبة . والمزاوجة لأنها تختص بالقصة فليست تفيد في العمل الاشتقاق أبداً . وإنما فرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة . على أنه يمكننا أن نستفيد من المزاوجة في الوضع الجديد بما يخص المشتقات فقط ، وأما في المواد فيمنع امتثالاً للباس . ودعوتنا إلى الاشتقاق عليها ليس لأنها ثابتة العمل على

(١) وكذلك (مامورة) فإنها ترجع إلى (مومورة) أي كثيرة النتاج .

الاطلاق بل لأنها من العوامل التي قد يستفاد منها ولو على قلة . وتكون لفادة معناها مع التأثر بما زاوجها .

التخفيف بالاسكان

هذا العامل قدره اللغويون الأولون في كلم كثيرة من اللغة ، حتى من كثرته عدوه قياسياً فيما كان حلقى الثاني ، وأوردوا عليه أمثلة كثيرة جداً . والذي يسمح اليه كلامهم انه مرادف للمتحرك ويظهر انه تطور من المتحرك ، ونظن زمن تولده في الدور الثاني من العهد اللفظي ، ومع الاعتقاد بأنه تطور نرى بأنه يراد للتويع ولكن عدم حفظ الخصوصية صيره مرادفاً . فمن الضروري أن نستفيد منه نحن اليوم . ونتحرى ما وقع فيه التخفيف بالاسكان ونتبع دلالاته بدقة ومقارنة . ولا بد اننا خارجون بعد هذه المقارنة بفارق قد نستفيد منه فائدة لها قيمتها في الوضع الجديد .

وعندي ان التخفيف يفيد أو يخص لفادة الملكة وزيادة التمكن في الوصف فاذا حاولنا تحديد (ثَبَّتْ وَثَبَّتْ) كان لنا منهما الدلالة في الأول على المثبت وفي الثاني على ذي الملكة . على انه وان كان قد ترك في العربي ثروة لا بأس بها . فلسنا نستفيد منه اليوم في وضعنا الجديد إلا فائدة نذرة جداً ليست بذات بال كما يقولون .

فعلية المصدر

هذا بحث جديد الموضوع وجديد التفسير . كان الغرض منه درس أشكال من اللغة فيها غموض ليس بالقليل . واذا صح وجه الشرح الذي نأخذه به فلا ريب في أن العربي كان صاحب حيلة لغوية ولباقة بارعة .

حفظ عن العرب قولهم (تَمَنَّدَل) و (تَمَدَّرَع) و (تَمَسَّكَن) إلى الفاظ عدها ابن خالويه في كتاب (ليس في كلام العرب) ويظهر من قوله (ليس في كلامهم تَمَفْعَل الرجل انما هو تَفَعْل إلا تَمَفْعَر الخ) انه وزان غير مقصود ، كما نلحس في عبارته

حيرة واضحة في وجه تعليله ، وكذلك إذا وقفت على ما عند ابن جني في كتابه
المبهم حيث قال (١) (وتجمشوا زيادة الميم في الفعل وانما هي من خواص الاسم
ومثله تنطق من المنطقة) . وعندني أن الأمر على عكس ما قال ابن جني تماماً وذلك
لأن العربي بعد أن اشتق المصدر الميمي ليؤدي به معنى مخصوصاً وتأديةً بعينها ، عاد
فتوسع عليه توسعاً ظهر غريباً جداً فنقله الى الفعلية بزيادة التاء . ولكن بقي سؤال
يحتاج إلى تفسير حتى يتسقى ما نجى به وهو لماذا كانت الزيادة بالتاء دون غيرها ؟
وما المعنى المقصود من هذا الوزن ؟ والجواب الذي يتبادر عندني انه يراد لغاية هي
الدلالة على التشكل بالمصدر وهذا آت من حرف (التاء) الذي أصله (تاو) بمعنى
(علامة) واذا لاحظنا هذا المعنى في التاء وأضفناه إلى المصدر الذي هو (مَنْطَق) مثلاً ،
كان المقصود منه (التنطق الذي صار علامة للفاعل) . ويدل على هذا أن التاء تدخل
على الوزن بدون ما تغيير فيه كما في (فَعَل) مثل (حَجَّر) تقول منه (تَفَعَّل)
ومثاله (تحجر) ومعناه الذي صار الاستحجار علامة له ، ونفهم في هذين الوزانين
قصوراً على الفاعل وهو ناشيء من كونه علامة . واعتبر هذا ملحظاً دقيقاً جداً ولا
أظن خلافاً له أو عليه لأن هذه الظاهرة وهي عدم تغيير ما تدخل عليه التاء لا تفسر
إلا على هذا الوجه .

ولا يبعد احتمال أن العربي خرج بالمصدر الميمي الى الفعلية ابتداء بدون زيادة
التاء فقال (مفعل يفاعل) ولكن هذا وان كان يستقيم في بادئ الاحتمال يحتاج إلى
أمثلة عليه من صميم اللغة تثبته ولقد سقطت على ما يمكن أن نكتفي به الآن عند ابن
جني في المبهم (قالوا (٢) مَرَحَبَكَ اللهُ ومسهلك) . ودون هذا وذاك فهو يفسر
ناحية غامضة من اللغة أو في طبع العرب اللغوي أحسن تفسير ويوقفنا في غير مشقة
على نشوء الفعل من المصدر ، وهو وان يكن مزيداً فإنه يدلنا على مكان هذا الطبع
من العربي بحيث كان يصدر عنه حتى في الثلاثي أيضاً .

(١) و (٢) راجع ابن جني في المبهم ص (٦٩) .

الرد الى الاصل

هم اعني الصرفين يعملون مثل (تَمَطَّى وَتَطَيَّ) بأنه تفعل من (مَطَّ وَظَنَّ) ولكن كرهوا التكرار ، فاصطنعوه هذا الصنيع تشبيهاً له (بفعال) على ما ذكره ابن خالويه والاعلم الشنتمري في شرح ديوان طرفة . ونحن أولاً لا نسلم لهم توهم أن تظني (تفعل) من ظن بل من ظني وعدم وجود المثل ليس دليلاً على العدم ، لاحتمال الاماتة وهذا كثير كما تقدم لك في كهف ومحرو . وعلى مجازاة الجماعة في التقدير المذكور نخرجه من باب الرد الى الأصل لأن أصل الثنائي المضعف ، ثنائي معك كما سبق . فاذا زادوه زيادة تفضي به إلى الاستكراه اللفظي ردوه إلى الأصل أحياناً بدليل وجود كثرة من (تفعل) للثنائي على وجهه كما في تحدد وتجدد وسواء كان الصحيح فيه هذا الوجه من التخريج أم غيره . فوجه الاستفادة منه اليوم بجعله (تفعلاً) من الثنائي المضعف ويراد لدلالة بعينها غير دلالاته لو كان على وجهه ، وضروري هنا أن نعرض لتحديد كلا الدالتين .

فدلالة التفعّل على وجهه من المضعف الثنائي ، التصنع .

ودلالة التفعّل في صورة الرد إلى الأصل ، على المفاجأة .

وعليه (فَتَطَنَّ) يدل على تصنع الظنة دائماً . و (تَطَنَّ) يدل على المفاجأة بالظنة . وهذا قد يكون تخصيصاً محضاً أو اعتبارياً ولكنه لا يبعد أبداً عن الملاحظ الوضعي والاستعمالي في طبع العرب . ويصح أيضاً أن تلغي هذه الملاحظة من الاعتبار الوضعي في غير العلوم بحيث لا يكون الملاحظ الوضعي فيها إلا التحكم والتخصيص ، كما لو أخذنا مادة (ش ط ط) التي جاء منها بمعنى جار وقالوا منها بهذا المعنى (تشطط) وقالوا منها (الشط) بمعنى سيف البحر فيمكننا أن نقول منها على هذا المعنى (تشطى) أي سار على الشط .

الضد

ظاهرة غامضة تلك التي تسمى في العربية بالضد ، ومع كثرة البحوث عليها في

أقدم ما يكون قدامة وفي أحدث ما يكون حداثة ، لم تزل غامضة ولا استثنى ظنوني أيضاً وإن كنت أطمئن إليها نوعاً ما وعلى مقدار . وهي لا تزال تنظر إلى قصد في تفكير العربي تناوشه الرغام ، ولم يبق منه إلا ما لا يكاد يبين في مواضع الألفاظ رغم الجهود المنتورة في هاتيك البحوث الشتى . ولعل أقرب الباحثين قصداً في التقدير ابن حبيب البصري حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ، وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للاضداد ونشرها أو انتشر بها على اللغة ، أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه وإنما كان من عموم المفهوم اتفاقاً فهو من لواحق الماصدق . وانظر كيف يخرج مثلاً (وراء وجلل وسواهما) التي ذكروا أنها ضد قال (وراء) حرف موضوع بمعنى التواري وهو حاصل في الأمام والخلف . و(جلل) حرف موضوع للغاية في الشيء فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضد الخ . وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهاداً صرفاً لا شاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الانفصال .

وأما نحن فنرى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمي إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً . وذلك لأننا رأينا كيف كان العربي يستخدم الملاحن في أغراض حازبة وظروف مرغمة محرجة ، على ما عرض علينا القالي من أمثالها وشيخه ابن دريد من قبله في كتاب (الملاحن) . وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربي ولهذا الغاية . قال في سبب التأليف (إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين) أي وضعه حيلة قضائية عن طريق اللغة وإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغموض ليتسنى له تحقيق أغراضه حين الملحفة ، والابانة عن أفكاره حينما تحوم من حوله الاذن . وإذا كانت الاضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيتحتم علينا جداً أن نتريث في درسها لأنها قد توقفنا على نحو من (الشيفرة) عند العرب إذا قبلت هذه التسمية ، وسواء صح هذا الرأي في منشأ الاضداد أولاً ، فإن من الخطأ نحوياً النظر إلى الضد كظاهرة وحده بل ضروري أن يجعل وجهاً من الاشتراك اللفظي . وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين .

(١) (ملاحن) كعين وحاج .

(٢) (اضداد) كبعد ووراء .

وليلاحظ هنا أن الملاحن اللغوية ، غير الملاحن الأدبية لأن الأولى مرتجما إلى تعدد الوضع فيها والثانية مرتجما إلى لباقة الاستعمال وتصنع السكناية ولو في الموضوع وضعا واحدا كما في قصة الأسير في بكر بن وائل . وإنما نبهنا على هذا لأن ابن دريد اتسع في كتابه للنوعين بدون تمييز ولا تفرقة .

على أنه يبدو لنا وجه آخر يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضا في هذا الذي يسمونه بالضد وهو الاستعمال^(١) الخطأ وغلبته

وبالاجمال فلاشتراك الذي الضد نوع منه ، ظاهرة من ضعف اللغة وطفوليتها مهما التمس لتفسيره ومهما استخدم في شرحه وتعليقه . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي فإنه لا يلزمنا في شيء بل على العكس يضر به ضررا بليغا ويغلبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار .

الترادف

يتخذ بعض من دارسي العربية اليوم ، الترادف علامة على قلق اللغة . وبعض آخر يتخذها أثرا من الاختلاف القبلي أو ما يشبهه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات طويلة . والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من القوة والصدق ليس هو كل الحق .

(١) وربما وجدنا الشاهد عليه في العربية الشائعة اليوم فإن الاستعمال المشهور جرى على إحلال البرهة في محل الفترة القليلة من الزمن وكان الوضع العربي القديم ارادها لمعنى عكسي تماما ولكن من يفهم استعمالها اليوم على حسب الوضع ومن يستعملها على مقتضاها وأذكر قصة وقعت لصاحب لي كان يدارسني القاموس فبينما كان يسرد مقدمته اجفل على معنى الدهشة لكون صاحب القاموس وهو من هو يستعمل لفظ البرهة في غير ما وضعت له حين قال (كنت برهة من الدهر التمس كتابا جامعا بسيطا ومصنفا على الفصح والشوارد محيطا) ولكنه دهش ثانية حينما نبته الى أن هذا صواب استعمالها والشائع هو الخطأ .

وأما الرأي الأول فليس إلا منكرآ من القول وزوراً لا ريب في ذلك ولا شك، ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن من مواد لانزال دارجة في اللغة ولها حياة قوية. فان من المعقول أن وجود مواد الاشتقاق بخصوصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل على قصده بالوضع ، فأين منه القلق المزعوم .

كما أن تعليله بالاختلاف القبلي ليس مقبولاً على إطلاقه ، لأن من المعقول أيضاً أن الاختلاف بينها لن يبلغ هذا المبلغ الكبير إلى حد أن يكون المترادف في رقم الاربعاية أحياناً وفي رقم المائتين كثيراً وهكذا مما ذكره حمزة الاصهاني . حتى قال ابو منصور الثعالبي (كثرت أسماء الدواهي من الدواهي) .

والحقيقة فيه انه عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه وعلى مرونة اللغة من وجه آخر ، وبما انه أصبح صفة ظاهرة من العربية إلى حد التفرد وليس هذا فقط بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً اذا لم تكن له فسحة من الالفاظ الشتي التي تتلاقى على معنى واحد ، وجب على الواضع الحديث أن لا يهمل هذه الناحية أبداً وفي اللغة كفاء وغناء . ولكن ضعف الطبع اللغوي في اللغويين جعلهم يمتنون على اللغة الأماني ، يمتنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من المترادف غنى يتناول ما في العلم وما تجيش به النفس ، ولكنها أمنية لو علموا تناولهم أنفسهم دون اللغة . فان في هذا المترادف الذي سخروا منه جوابها على الاجيال . هذا غناي إلى حد التزيد وهذا ضعفكم حتى عن الاستفادة بالاعلام المنشورة في متعرف السبل .

تداخل اللغات

لا أدري مقدار تأثير هذا العامل في اللغة على وجه التحديد، وان كنت لا أرتاب فيه كذي أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات ، وكما أظن بأن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله ، كذلك أظن بأن من الخطأ المبالغة في عمله إلى الحد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم . لأننا على شبه اليقين أو اليقين كله في أن اللغة خضعت لقوانين عامة ومواد عامة ، وكان أكبر الاختلاف يرجع الى اللهجة فقط ، وأما هذه الانفرادات

القَبَلِيَّة التي يرويها اللغويون فهي بقايا من متارك التطور عند التحقيق . كما رأينا في اسم الفاعل (من حديث التطور) ولكن هنا نذكر رأياً غريباً في اسم الفاعل نص عليه الفيومي قال ^(١) (وذهب آخرون إلى أن ورود فاعل من المضموم في الأصل من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغات)

يمكننا أن نرى في دعوى هذا الأخير مقدار المجازفة ، فإن دعوى التداخل لا تتم إلا بثبت هو أشد ما يكون افتقاراً إليه . ونخرج من جملة خلاف الجماعة بأن الشواهد المنصوبة من اللغة تثبت كل هذا الاختلاف . فهي تشهد للضعف كما تشهد للصحة وتقرر القضية بين السلب والإيجاب مما نفهم بأن المسألة تعليلاً آخر غير ما يقدر هو ما سبق لنا الاجتهاد بتقريره ، سنة عامة في اللغة فهي أثيرات مضمحلة أو تنويحات لم تتعمم والشاهد في هذا أن كثيراً من اللغويين كانوا يلجئون إلى دعوى التداخل كلما ضاقت بهم وجوه الحيلة في تعليل ما يقع عليه من شذوذ . واليك شاهداً آخر ، تفهم منه أن لا معنى لهذا الاتساع في فهم التداخل والاختلاف القبلي . وهو ما أورده ^(٢) صاحب المصباح ، أفعالاً عن مجيء فاعل لا فعل كاحمل البلد فهو ما حل ثم نقل عن ابن القطاع زعم انها من تداخل اللغات . وهو خطأ من جملة ما هو من باب هذا التقدير ، وذلك لأنه بقي بين أيدينا ما يبين لنا نحواً من التلبس اللغوي وتداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها قالوا (أحب الرجل ومفعوله محبوب وحبّ وفاعله مُحَبّ) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حَابّ ومُحَبّ لتقارب الخصوصية بين المزيد والاصل ، ويؤيد هذا مجيء اسم الفاعل من هذه الرباعيات على وجهه كما في أَوْرَس فهو وَاَرِس ومُورِس وان نصوا على قاتنه أي مورس وكونه قليلاً يقوي لنا وجه الاستدلال به . لأن قاتنه عنوان على الأخذ باماتته بحكم الاستثناء عنه . وبالجملة فالتوسع بفهم الاختلاف القبلي والتداخل إلى هذا الحد خطأ محض . وقدامى اللغويين لم يفعلوا عمل هذا الضرب بل زعموه في الاعراب

(١) راجع المصباح المنير ج ٢ ص ١٠٦٦

(٢) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٧٠

واللغة على السواء ، وساقوا من أمثله في الافة (هلك يهلك) وأمثلة سواها ذكرها ابن خالويه والميداني ، وليس بنا حاجة إلى ذكرها هنا ونكتفي بمثل نبني عليه رأينا في الكيفية التي تمكنا من الاستفادة في العمل اللغوي الجديدة .

قالوا على ما ظن النحاة بأن هلك كانت تنطق في قبائل من باب (ضرب) وفي قبائل من باب (طرب) فداخلوا بين اللغتين . وهذا ظن قد يكون صحيحاً وسواء أصدق أم لا فإن سبيل الاستفادة منه على وجه أن ندخل بين البابين لافادة أخرى فباب ضرب هو الأصل وباب طرب يدل على المفاجأة فندخل بينهما لافادة الشيء يحيى تارة مفاجئاً وتارة على الطبيعة فإذا حللنا عليه (هلك) مثلاً دلت من باب ضرب على الهلاك الطبيعي ومن باب طرب على الهلاك الفجائي وفي التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح البسيط بالتسم . ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه (بتداخل الاوضاع) .

الرباعي

لن يكون حديثنا عن الرباعي أقل مفاجأة من كل ما رأيت أو سمعت في منشأ الثلاثي وأدواره التي يعيش فيها على ما تمادى بنا التقدير هناك ، ولكن شيئاً سيميز به هذا الحديث ، وهو ان له مسحة الحق من كل وجوهه ومعناه أيضاً . فهو حق يمكنك أن تطمئن اليه في غير تردد ولا ضعف منه ، ويمكنك أن تعتمد عليه في درس كل ما تحتفظ به المعاجم من الكلمات على الرباعي في غير وجل من نتائجه وأي وجل في التعويل على ما يفسر العربية من هذه الناحية تفسيراً صحيحاً وتصديق عليه صدقاً مطلقاً . وهو وان يكن تقديراً يري العربي على بلوغ لغوي حيث يعتمد ارتقاآت نظامية جداً وقواعد فيها من العقلية شيء غير يسير ، وهذا قد يستبعد مع ما كان عليه العرب من فطرة مطلقة ، فانه الحق الذي لا سبيل إلى سواه . ونحن مهما حاولنا أن نغمض النظر عن نبل العربية فانها ناطقة بذلك . ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب وانما نكون أكثر قصداً اذا فسرنا تاريخ العرب باللغة ،

وستكشف الأيام عن شيء غير يسير . وعلى أي الاعتبارات فاني أعتد ما وصلت اليه من هذا اعتماداً غير محدود . ولناخذ بالكلام عليه دون أن ننظر الى استبعاد مستبعد أو استنكار مستنكر ما دما نفهم منه كل ما نريد أن نفهمه من العربية وكفى . نرى في الرباعي أنه حلقة من حلقات التطور اللغوي وقد وفق فيه جيداً إذ توسل اليه ببساطة ودقة حتى كان عملاً فنياً منقطع النظير ، وأكثر ما يقضي به العجب انه استطاع أن يحفظ الفكرة الواضحة على تطورها ، وأن يجعل منها كائناً له أطواره الحية ومراحلها التامة .

وهنا نستطيع أن نحصر خلافتنا مع الأولين وقدامى النحاة . فهم يظنون على وجه العموم انه نشأ بواسطة النحت والاختزال من ثلاثين ، فالرباعيات أو أكثرها ترجع عند هؤلاء إلى ثلاثيات اختزلت ، وهم يطمئنون الى هذا الظن كثيراً ، وربما لا يشكون فيه فان ابن فارس اعتمده بصورة محضة في كتابه (مقاييس اللغة) وخرج عليه من هذا شيئاً كثيراً . وهذا التخريج إن يكن يدل على شيء فعلي قدرة لغوية فقط وتحيل عقلي ، واما شيء غير هذا فيما يتعلق بأنه صواب في نفسه ، وصحيح انه كذلك كان في صنيع العرب فليس من وجهه . وأظن بأن الذي روج لهذا التقدير ان كل الذين تناولوا العربية وحملوها وتخصصوا بعلمها كانوا أجنب يرون في لغاتهم شواهد منه فأخضعوا العربية لما ظنوه قانوناً لغوياً عاماً تشترك فيه اللغات على اختلافها وتباين ما بينها . وأياً كان حقيقة تعليقه فالأمر الذي لا ريب فيه ان الأولين اعتمدوا الاختزال اعتماداً كاد يكون قانوناً يستندب في درس أي رباعي ومضوا على هذا قدماً في غير خلاف ولا نكرة . وهؤلاء هم أصحاب المذهب التعليلي للغة ومع ان أسلوبهم غلب في العهد الأخير وظهر في كتابات كل اللغويين بقي في نظرهم كشيء ظاهر الغرض لا يطمئن اليه إلا كما يطمئن للنكتة المستملحة . ولهذا لم يتناولوه كثيراً بالتحصيل ومحاولة التصحيح بل اقتصروا منه على مقدار ما به تكون تطريات الدراسات اللغوية التي قد تحتاج إلى طرافة من هذا القبيل . واما انهم عولوا على نتائج التقدير المذكور كما لو كان شيئاً يتم به التصحيح فلا . ولهذا لن اعنى كثيراً بالتوسع في مجازبة نظرية الجماعة لأنه ليس لها عناصر النظرية قبل أي اعتبار .

ولنخلص من هنا لتقرير نظريتنا في المزيد على الثلاثي مطلقاً في غير ما تكون الزيادة فيه حرفية وقد تقدمنا بشيء من هذا في الكلام على نشوء الثلاثي . قلنا يفرغ العربي من كل الوضع في الثلاثي ولا تزال في نفسه بقايا من معاني الاشياء لا يجد لها ما يجدها أو يحكي عنها في معجم الالفاظ . ولما كان للحروف اعتبارات ومعان . وهذا ما لا ينكر في مذهب اللغوية العربية ، فيدلف من طريقها ليعبر عما يلامس نفسه ويجده في الطبيعة مما تسخر له اللغة ، فكان أن ابتدع المزيد الاشتقائي باضافة الحرف على آخر الثلاثي ليدل المؤلف الحرفي دلالة الثلاثي تزيد فيه الخصوصية على مقتضى الحرف وهذا هو الرباعي الأصح المعروف كذلك في تعبيرهم ، ومثله الخماسي وما اليه . وهي نظرية تبدو لأول وهلة شاذة غريبة ، بيد أن الاستقراء والاستقراء وحده يصححها ، وسنرى في عرض الأمثلة بساطة متناهية تحكي الحقيقة في غير اصطناع ولا شطط . وماذا كنا نفعل لو أخذنا بأسلوب الاكراه والعنف سوى إنا نفرض على اللغة ما نريده فرضاً وسوى أنا تراوغ لأجل ما نريغ اليه فقط . وفي نظري انه لا يستقيم لنا بحث إلا اذا صححنا طريقة العرض المتبعة اليوم ، تلك التي تكون في حقيقتها عرضاً للنفس والفكرة الشخصية فحسب . ولذلك كنا في أكثر أبحاثنا المنتشرة شخصيين على وجه خالص ، ولهذا أسباب من التقاليد التثقيفية التي تكيف اتجاه التفكير عندنا على نحو قاصر جداً يكون كحركة الرحي تنبعث وتستقر في جهد ضائع لا ينتقل بوضع الرحي ولا يترك شاهداً على انه كان أو انه وجد .

ومحسبي أن أتخذ سبيل العرض المجرد فقط بدون أية محاولة تكون في صالح النظرية وأنا أطمئن إلى هذا العرض وهذا البسط وهذا الاستدل أيضاً الذي اعتبره بريئاً بالمعنى المطلق ، على اني أتجاوز في فقه وفهم أسلوب الاستدلال إلى حد أن اتهم كل محاولة تزيد عن حدود العرض أو توضيحه ، وكذلك يرى كل من يحترم الامانة العلمية ويفهم مقدار ما في المجازفة خارجاً عنها من تبعات ويقدرها قدرها الصحيح . (جنخدب) الضخم الغليظ يرجع الى (جنخد) الضخم وهذا يرجع إلى (جدى) الذي من مشتقاته الجدية بمعنى القطعة المحشوة ويظهر معناه في (جد) ومن مشتقاته ما بمعنى الاتان السميئة .

(طمرس) اللثيم يرجع الى (طمر) ومنه الخبأ والدفن وهذا يظهر معناه في (طر) ومنه ما بمعنى الخلس والوغد .

(قاطف) الخنة في صغر جسم ترجع إلى (قلط) القصير جداً من الناس والخفيف وهذا الثلاثي يرجع الى (قطي) بمعنى قارب الخطو ويظهر معناه في (قط) ومنه فلان قارب الخطو وأسرع .

(طحلب) خضرة تعلو الماء المزمّن يرجع الى (طحل) بمعنى فسد الماء وأنتن من حمأة ومنه الطحل الماء المطحلب وهذا يرجع الى (طلى) ومنه قولهم المنهل الطالي أي المطحلب .

ويقوي نظريتنا في الرباعي تقدير الامام أبي العباس ثعلب في (زغذب) انه من (زغد) والباء زائدة وتقدير محمد بن حبيب في (عنسل) ان أصله (عنس) ولكن العجب من ابن جني هذه اللهجة التي قابل بها تقدير الامام ثعلب في (زغذب) واليك عبارته قال ^(١) في الكلام على بغثر بن لقيط (كأنه من معنى الابغث ولست أقول ان الراء زائدة كما قال احمد بن يحيى ان الباء من زغذب زائدة لأنه أخذه من الزغد وهو الهدير يقطعه البعير من حلقه ، هذا ما لا أستجيزه وأعوذ بالله من مثله وأحسنُ الظن بأبي العباس أن يريد ما نذهب اليه نحن في نحو سبط وسبطر ودمث ودمثر ولؤلؤً ولآلٍ وجمفة وجمفلة من انها أصول تقاربت وليست من واد الخ)

لهجة قاسية حقاً هذه التي توشح بالاستعاذة وعدم الاستجازة وكأن الأمر منكر لثيم من القول وعدوان من التخريج ، كل ذلك لاقتناعهم بامر ين الاختزال في الرباعي ، وان الرباعي مولود انبراعي لا ينظر الى وجود سابق .

الرباعي المثلّي او الجُملي

تقف هنا على عنوان جديد ورأي جديد ، لم يتعرف عليه الأولون إلا على وجه

عام . فهم لم يتركوه على معنى الابهال له ولم يدرسوه دراسة تعنيه بالذات ، وانما من حيث كونه وجهاً من الرباعي أو بعبارة أصح مثلاً من أمثاله . هذا صحيح وقد كانوا موقنين نوعاً ما في فهمه والذي نعنيه بالتوفيق انه وحده الذي يمكننا أن نسله لهم على ستمهم في اعتبار الرباعي وكونه .

فالنحت له عمل ثابت في هذا النوع بعينه من الرباعي فقط لا شك في ذلك ولا ريب . ومن قلة محصوله في اللغة نسمح لأنفسنا بأن لا نعده في جملة القوانين التي عملت الثروة الهائلة ولا تزال آخذة بعملية الخلق والتكثير . وينبغي علينا أن نعين الآن ما نعني بكل هذا الذي نقوله .

قررنا منذ هنيئة بأن الرباعي ليس في الحقيقة وليداً إلا لزيادة الحرف فقط حسب أي ليس وليداً للاختزال من الثلاثين فأكثر مما أكتروا التهويل به في ماضي حلقات الدرس المرسل . وقدما هناك مقدار ما تشهد به اللغة للظن الذي نظمته ، ومقدار ما تشهد به من تكلفة التقدير الآخر حتى كأنها تقول بأنه ليس منها . ولكن في هذا اللون من الرباعي نحقق انه وليد النحت وأثره ظاهر فيه بحيث لا يقتضي مجهوداً تبينه ، فلو أخذت (بسمل) و (حوقل) ومثلهما ثم تعاطيت لاذن عربية أي على طبع منها ، لم تترد في التهويل على التخريج لها من بابه . واذا صح هذا فيمكننا أن نتحقق من الشروط التي تلزم في النحت . ونراها في أمور

(١) المفاجأة أو الكناية أو المثل : مما فيه اعتبار مجازي طريف أو تعريضي .

(٢) السهولة اللفظية .

(٣) وضوح الاختزال : ونعني بهذا أن لا تشبه صورة المنخوت رباعياً له

معنى مادي .

ومع اننا لا نحدد مجيئه من الكلمات فان مما يجب أن يلاحظ فيه ان مجيئه من الجملة المؤلفة من أكثر من كلمتين أكثر جداً . ويجدر بنا أن نأتي بتطبيقات على ما نرسله أو نقله حتى لا ننتظر من غير العربية حكماً أو ملحظاً اعتبارياً .

قالوا (بسمل) و (حوقل) و (حيعل) الخ وتقتصر من أمثلها على هذا

المقدار وفيه غناء . فان (بسمل) وأصلها (بسم الله الرحمن الرحيم) كناية مبنية على اعتبار طريف عند ابن ابي ربيعة في قوله :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

ويقوم على سهولة لفظية وعلى وضوح في الاختزال . و (حوقل) وأصلها (لا حول ولا قوة إلا بالله) تشتمل على مفاجأة وسهولة ووضوح . و (حيعل) وأصلها (حي على الفلاح) تشتمل على مفاجأة أو كناية وسهولة ووضوح . ويحسن بنا أن ننبه هنا بأن المختزل الواحد قد يكون وارداً مختزلاً لاعتبارات شتى وكلها يقتضي عين الاقتضاء .

وقد جاء المولد أحياناً جامعاً لكل ملاحظ الاختزال وأحياناً قاصراً عنها فمثلاً (صلعم) كل القصد فيها السهولة فقط ، فلا تكون محيطة بكل ما يلزم فيها . بينما جاء بها الزمخشري على وجهها تماماً في قوله :

قد شبهوه بحلقه فتحوفوا صنع الوري قنستروا بالبلكفة

فان (البلكفية) وأصلها (بلا كيف) كناية مبنية على اعتبار لاذع من التعريض وتشتمل على سهولة ووضوح ، وهي منه حسنة جداً وطريقة للغاية وجيدة أيما جودة . وكذلك يكون ذو الحاسة الفنية الدقيقة ومن كالزمخشري لغة وبياناً . هذا رأينا نعرضه بعد دراسة نظنها ساحة لنا بكل ما أتينا به من استنتاج حول الموضوع .

الرباعي غير الأصم

لن نقول شيئاً جديداً حول هذا اللون من الرباعي ، ولكن سنأخذ بمناقشات على ما قالوا فيه وما ظنوا في نشوئه وما قرروا في معناه ، وليس قليلاً أن تبين ان غاية ما تكلفوا فيه لم تكن إلا احتمالات مرسله في غير تبحر علمي ولا توفر على الدرس المعبر .

قالوا^(١) في نشوئه أنه تضعيف بالزيادة على الثنائي المضعف فكككب أصله ككب ورقق أصله رقق وأنشدوا

وتبرد برد رداء العرو س في الصيف رقرقت فيه العبرا

أراد رقرقت . هذا ظنهم في نشوئه وهو يقوم على تتبعات غير وافية ودراسة جد ناقصة لا تكون خليفة باعطاء نتيجة ما . وفيما إذا أخذت بالاستقراء تخرج بنتيجة صادقة جداً ولها اعتبارها وتقديرها الواقع ، ونحن هنا سنأتي على ما استطعنا فهمه فيه وأراني غير مقصر بدرك واقعه .

ينشأ الرباعي غير الأسم من ثنائيين يراد بضمهما (دلالة بين بين) وإذا صح فيه هذا الظن الذي يستقيم معناه عليه كثيراً ، أمكننا أن نتحقق من صدق ما تقدمنا به من اصالة الثنائي في اللغة . وأدركنا شيئاً آخر له قيمته ، وهو أن هذا الوزن متأخر بمشتماته لأنه يدل على معنى تركيبى في صورة البسيط . وكأنهم لاحظوا فيه التركيب الذي صارت عنه وحدة كما في الحركات العكسية المتعاقبة . فالذهاب والاياب السريعان المتعاقبان على المكان الواحد يقال عليهما من هذا الوزن . وعليه فيكون ثنائياً مكرراً لافادة تركيبية فاصل (ذَبَّ ذَبَّ) و (ذَبَّ ذَبَّ) ، و (رَقَّقَ رَقَّقَ) و (رَقَّقَ رَقَّقَ) وهكذا ويدل لما نذهب اليه قول ابن جني في الخصائص (الواو لا توجد أصلاً في ذوات الأربعة إلا مع المتكرر نحو الوصوصة والوحوحة) وهذه القولة تهدم مذهبهم هدماً حين أحالت ما يقدرون زيادته على مقتضى قولهم في (كككب) .

ثم هم يقولون بأنه مضعف وهو خطأ . وإنما هو مكرر . وفرق كبير بين التضعيف والتكرار ، ونحن اذا جاريناهم رأينا كيف يحاولون جعله وليد تضعيفين ،

(١) على الثنائي لتحصيل الثلاثي .

(٢) على الثلاثي لتحصيل الرباعي متخذاً وضعاً من التضعيف غريباً ومنفرداً شاذاً . وقد رأيت ما فيه من خطأ ومخالفة للأقرب اعتباراً وللاًكثر ، كما انا لا نرى عده في جملة الرباعي . واذا كان ما يشفع لهم في هذا فانما هو الصورة اللفظية التي

تتألف عددياً من أربعة حروف . والأقرب في مذهب التشعيب والتقسيم أن يعد
قسماً من الثنائي وقسماً للثنائي المضعف وعليه فيقسم الثنائي إلى قسمين .

(١) الثنائي المضعف كشد ومد وجد وهكذا .

(٢) الثنائي المكرر كربرب ونضنض وهكذا .

وهم يقررون معناه خارجاً عن السماع ، بالقياس على مطلق الرباعي وهذا في
نظري أشد أو هامهم على الاطلاق . وذلك لأن هذا الوزن الذي ابتدعه العربي
لدلالة دقيقة جداً وفنية كثيراً يفقد كل ذلك بالذهاب مع وهم الجماعة المذكور . وأما
معناه في نظري فقد صرحت بطرف منه قبل بضعة أسطر ، وخلاصة المعنى فيه انه
يفني عن العطف بالواو مع ملاحظة الورود على المورد الواحد . (فرقق) مثلاً تدل
على التموج الضعيف المتعاكس . ومن ثم قالوا (الرقارق) للضغاف التي يضعف فيها
التموج و (نضنض) تدل على الانتهاض اللين برشاقة وخفة ، ومن ثم قالوا للأفمي
(نضناض) وهكذا مما لو تتبعته إذا كنت تطاب المزيد .

وفائدتنا منه في الوضع الجديد كبيرة جداً . وبالأخص في الموضوعات العلمية
والصناعية كما في الذبذبات الكهربائية والصوتية والحركات العكسية والحركات
الدولابية والرحوية بالاسنان .

النحت

لا يمكننا تجاهل أثر النحت في تهيئة الأوضاع التي تنتهي بها اللغات ، بل ربما
كان له وحده الأثر الفعال في اعداد الالوان الشتى . ومع انا نفهمه بهذا المقدار نرى
أن عمله أ كثر ما يكون في الأساليب حيث تراد لتؤدي معنى واحداً على الانفراد .
وأما في المادة اللغوية فعمله لا يكاد يذكر ، وخصوصاً في بناء اللغات التي تحتمل فيها
الحركات دون الحروف ، وتقوم على الاشتقاق دون التركيب . ولذا كان في السامية
أقل منه في الآرية وكان في العربية أقل من كل ما هو منه في سائر الساميات
الأخرى . والسبب الذي جعل العربية غير خاضعة لعمله على نحوين :

(١) قيام العربية قياماً كلياً على الحركات .

(٢) كون الثلاثي يدل دلالة تركيبية .

فان الأول يؤدي الى استنقال كل ما يدخله النحت من مثل ما وضعه بعضهم للفصيحة ذات الاربع الأيدي في الحيوان على طريق النحت فقال (أُرَيْدِيَّة) من أربع أيدي . وللبرشوت (ضِسْقُوط) من ضد السقوط وللبلون (سَفْنَجَوَّ) من سفينة الجو وللجيولوجيا (أُرْطَبَاق) من طبقات الارض و (مُحَرَّرِ كِيَّار) للعوتير من محرك السيارة الى كثير من هذا الرطانة المعجوجة .

والثاني لا يترك مجالاً للنحت لأن عمله في الواقع لهذه الغاية المتأدية بالثلاثي العادي . وها هنا ملحظ ينبغي أن لا يفوتنا اعتباره ، فان له خطورته في درس النحت وهو ملحظ يظهر انه صحيح قريب . وهو ان الفطرين يجتهدون باعطاء تأدييات تتناول الغرض المقصود من كل وجوه بحيث تكون أقرب الى الاحاطة التامة . واليك مثلاً ذكره الاستاذ (Q. Velken) الهولندي في كتابه (بحث عن الامومة) من لغة قبائل (ما كاسل) وهو (Passarilattasang) ومعناه اللغوي المقصود (الاخوة أو الاخوات) ومعناه الحرفي (النابتون من بطن واحد) بينما نجد مثل هذه العناية بالاحاطة تحف حماها كلما انتسبت الأمة الى نوع رقي عقلي يتبعه ارتقاء لغوي ضرورة ، حتى يكاد يكتفي فيما بعد بالرمز الى وجه المعنى رمزاً وينقلب الوضع تحكيمياً أو لأدنى ملاسة ، ويظهر هذا ظهوراً واضحاً في المركبات الكيميائية الاصطلاحية وغيرها .

ويظهر من هذا ان اللغة عند الاولين تتحكم بالفكرة ، بينما هي عند الآخرين محكومة بالفكرة ومعنى هذا ان النحت يكون ضرورة حينما تضطر اللغة الى تأدية المعنى على هذه الصورة من التفصيل ومن ثم رأينا كيف انتحت سكان جزيرة (فاكور) كلمة (بكسيكوكس ليكوس) بمعنى الرجل الاوربي حتى صارت ليكبوس)

وكذلك اذا أردت درس النحت ببقه صحيح وجدته يدور في اللغات التي تكثر من الزوائد لتأدية المعنى الواحد . وهذه ظاهرة من طفولية اللغة ومن هنا قدرنا أن النحت لا يكون إلا في اللغات التي لم تبلغ البلوغ النهائي في التنزيل اللغوي .

هذا وان تقدير ان العربية لم تخضع للنحت يبدو لأول النظر غريباً ، بيد أنا

نظمتن اليه . لأن العربية لم تتناولها في بداية تطورها حضارة تفضي بها الى تطور سريع بل بقيت تتطور تطوراً طبيعياً محضاً وعلى وجه من البساطة جعلها تحتفظ بكل مراحل التطور . فبقي للاحادي مفهومه وكذلك للثنائي . ومن ثم استعان العربي بهذه الخلفات على بناء اللغة بناء ثابتاً . واذا أردنا أن نحصي عمل النحت في العربية فلسنا نراه في غير الموازين وبعض الادوات فعلية أو اسمية أو مشتركة وما سبق أن سميناه بالرباعي المثلي وفيما عدا ذلك لا نكاد نقع له على أثر أبداً . ومن الخطأ بكل المعنى أن نذهب مطبقين لقانون النحت على العربية أخذاً باعتماد اللغات له ، لأن الواقع يشهد بأن العربية تنفرد باعتباريات هيأت لها مذهباً فذاً لا يتأتى تفسيره بمذهب اللغات سواها بل ربما كان هذا المنحى يزيدنا غموضاً مطلقاً .

الخماسي والسداسي

لا اطالعك في موضوع الخماسي وما اليه بشيء جديد ، فقد أبدينا رأينا في زيادة الاشتقاق وهي تستوي في الرباعي والخماسي والسداسي ، وتلزم طريقة واحدة ومجلاً واحداً ، نكون منه في غير داعية الى تكرار الكلام عليه .

ولكن شيئاً واحداً سنفيض بالكلام عليه وهو ما ذكرناه غير مرة في معرض الكلام على البناء وأعني به (السداسي) والحال أن سداسياً أصلياً لا يحفظ أبداً في شيء من الأسماء والأفعال . ونحن من هذا على خلاف ، لأن السداسية في المزيد الصرفي فرع السداسية في المزيد الاشتقائي كما هو معقول . على ان عليه أمثلة لا تزال محفوظة في المعاجم وان كان اللغويون يخرجونها على غير بابه .

هذا وجه نحن منه على خلاف ، ووجه آخر وهو دعوى أن الخماسي لا يجيء من الافعال استناداً الى عدم الحفظ والورود ، وعليه ذهبوا يعلونه بعدم قابلية الفعل لثقله . قال العلامة الميداني في نزهة الطرف (الفعل على وجهين ثلاثي ورباعي نقصت الافعال من الاسماء بدرجة لثقلها وخفة الاسماء) ونحن لا نرى معنى لعدم مجيء الفعل منه مع مجيئه من المزيد الصرفي ، وأي معقول في أن لا يكون وروده في الأسماء

دليلاً على وروده في الأفعال ، وعدم السماع ليس دليلاً على العدم لاحتمال أن يكون ترك العربي له اكتفاء بالرباعي واستثقالاً له ، وبالأخص إذا لاحظنا مجيء هذه الاسماء الخماسية صفات ، مما يكون في المنطق المعقول دليلاً على ان العربي صاغ منها أفعالاً ولكن أماتها بالاستغناء . ويقوي هذا أيضاً ملاحظة أن أكثر ما يجيء من الأسماء الخماسية يكون على صورة الفعل (كسفرجل) و (شمدل) . ومما يجعل منطقتنا صحيحاً حينما ذهبنا نستدل بورود المزيد الصرفي . (الالحاق) فقد نجد الجماعة الصرفية على اتفاق في تخريج مثل جدول وكوثر وهما من الجدول والكثرة بالالحاق بجمعفر ومثل (جحنفل) بسفرجل وهكذا مما يشعر بأن المزيد الصرفي مقيس على المزيد الاشتقائي ، هذا صريح بأنه أصل وعليه فلا معنى اذن لأن ثبت الفعل في المزيد الصرفي الخماسي ولا تثبته في مثله من المزيد الاشتقائي وبعبارة أوضح ، لامعنى لأن ثبت في المقيس ما لا ثبت في المقيس عليه في محل القياس . وكذلك لا معنى لأن ثبت السداسية في المزيد الصرفي ولا تثبتها في المزيد الاشتقائي ، ونحن وان كنا ندعو في عملنا الاشتقائي الجديد الى اعتبار السداسي ولكننا نقصره على الأسماء لأن التصريف يقتضي الزيادة والسداسي بلغ غاية البناء في العربية .

الابدال الاشتقائي او المعاقبة

لا يحتاج الى تنبيه ان ما نعلمه هنا بالابدال غير ما اشتهر بالابدال على لسان الصرفيين ، ولا بأس من أن نفرق بينهما بالابدال الصرفي والابدال الاشتقائي . وفي غير كبير جهد يمكننا أن نحدد غرضنا من الابدال الاشتقائي الذي نريد به المعاقبة في الحروف المؤتلفة مع الترادف . ولكن يحول دون ما نبغي منه أن ما وقع فيه التعاقب ، وعلم أمره نذر جداً لا يفي بالقصد . بيد ان ما تقدمنا به من ان الاتباع يقوم على أساس الابدال مهد بين أيدينا سبيل استخراج جدول للحروف المتعاقبة أو القابلة . ولا يمنع من التعويل عليه انه قد لا يمكن تعليقه لما انه يجري كثيراً في الحروف التي لا تتشاكل نوعاً ولا صفة وذلك لأن التعليل شيء آخر غير صحة العمل ،

والمقصد هنا ليس إلا تبين الاثار التي نهجها العربي لاحراز هذه الثروة في أكثر ما تكون غنى .

أثبت الأولون هذا الضرب من التنويع في اللغة بعنوان آخر غير عنوان الابدال ، لما أنهم اصطاحوه فيما يخص الابدال الصرفي فكان أن أخذوه بعنوان آخر ، وتبعوه في الفاظ عدوا منها كثرة باسم (المعاقبة) ونحن نستحسن لهم هذه التسمية ، وان تكن كلمة الابدال أصرح بافادة المعنى المراد في قصد الاصطلاح ومميزات الابدال في نظر الأولين .

(١) بحري في حروف بعينها .

(٢) يكون تابعاً لرغبة المتكلم بتنويع المادة الواحدة .

(٣) يكون محفظاً بدلالاته على الافراد .

هذه هي مميزات التعاقب كما يظهر من عباراتهم ، ومن هنا لم يجدوا في الاتباع صورة من التعاقب لأنه لا يكون إلا لاحقة ، فكان أن أفردوه بالتقسيم ولم يمتخط البحث هذا المقدار على طيلة العهد بيد ما كان من السكاكي حيث أشار اشارة غامضة في الكلام على تنويع الحروف من أن الحروف المتقاربة المخرج أو الصفة تتعاقب ولم يزد ، على ان هذه الاشارة لا تقرر مذهباً أو تشيد رأياً . وجاء صاحب الفلسفة اللغوية وتناول الموضوع بالدرس المقارن وخرج منه بنتائج لا بأس بها غير انه لا يفرق كثيراً بين الابدال واختلاف اللغات ، والحال ان اختلاف اللغات شيء آخر ، ولذا لم يعد قدامي اللغويين مثل قول حاتم الطائي (هذا فزدي انه) وهو يريد (هذا فصدي أنا) معاقبة . ويظهر ان الذي حمله على هذا كون ملاحظته نشوئية وأياً كان فيجب على الباحث أن يفرق بين أوجه الابدال وأن يتوضح الفرق جيداً . ونحن نرى الابدال في شعب ثلاث :

(١) الابدال الطبيعي كما في اختلاف اللغات .

(٢) الابدال الاشتقائي . وهو المعاقبة .

(٣) الابدال الصرفي . وهو الاعلال وما اليه .

أما الأول : فلا ريب في انه متأثر بعوامل النشأة وبما يحدها ، وشواهد كثيرة

في العربية القديمة كعنقنة تميم وتلتة بهراء وفحفحة هذيل . وأما الثاني : فهو المقصود هنا بالبحث وذلك لاستفيد منه في اعداد الثروة اللغوية كما استفاد العرب الأولون منه واستثمروه . وسنجهتد في تمثيله جيداً حتى نتمكن من الاستفادة في عمل الجانب الجديد من اللغة وفق ما طبع العرب عليه وحتى لا تكون اللغة إلا كما لو تساقطها مد الحياة فأورقت من الجانب الآخر بعد أن كانت تبدو فيه على ضمور وتقلص .

ونحن نرى على حسب الملاحظات التي قيدها بها على مذهب الاولين انهم فهموا الوجه العملي من المعاقبة تماماً ، وانما نخالفهم في أمرين فقط .

(١) دعوى الترادف المطلق بين المتعاقبين .

(٢) دعوى ان الاتباع ليس معاقبة .

وإذا صح ان الاتباع يجري في حروف الابدال استطعنا أن نضع جدولاً محمراً جداً لحروف المعاقبة ونحن لا نبدأ فنضع الجدول المذكور حتى نرى مقدار ارتياح الرأي العربي لهذا التقدير . وفائدة الابدال في الوضع الجديد ظاهرة جداً ، وذلك لأنه يفزع اليه عندما تكون المادة قد استوفت الوضع ، وينبغي أن يُخضع لشروط حتى لا يكون سبباً لاشترك قريب .

(١) أن لا يستوفى من مادة الابدال كل موازين التصريف ، فلا يصاغ منها مصدر وما أشبه اكتفاء بمصدر الأصل ولا يزداد فيها زيادات تصريفية .

(٢) أن لا تجرى عليها زيادة الاشتقاق .

(٣) أن لا تعمم في كل دوائر الثلاثي .

(٤) أن تذكر في مادة المبدل منه لا في مكانها بحسب اقتضاء الحرف .

التعدي^(١) واللزوم

حين انهمينا إلى النتيجة الخطيرة الشأن في موضوع الدراسات العربية ، حتى كان لها أن تغير وجهة الدرس العربي رأساً على عقب ، وتأخذ النقبض على ما كان عليه تقيمه ، وتبني الصرف وأيضاً النحو بناء آخر جديداً ، وتوضح كثيراً مما كان غامضاً وتشرح الشيء على حقيقته وعلى مقتضاه من الشرح ، وتفسره تفسيراً منطقياً ومعقولاً .

(١) بين يدي مواضع ضافية طويلة الذبول هذا احدها حاولت فيها درس ظواهر العربية في التذكير والتانيث والتضعيف والنقل والارتجال والافعال والاعراب والتعريب والمصادر والجموع والنسب والتصغير . ولكن ظروف الطبع ابت الاختصارها في اسطر فاسقطتها وقيدت ما فيها من افكار جديدة . لتنشر إن شاء الله كاملة في الملاحق والاستدراكات على المقدمة . (الافعال) تتلخص فكري في الافعال فيما عدا الجانب التاريخي والنشوءي الذي درست فيه اصل حروف (ايت) وكيف توصل العربي الى هذه الصور التي عليها الافعال مطلقاً اذ كان منا التقدير بان الافعال على صورها مهذبة عن صور اخرى ترى لى ان من بقاياها اسماء الافعال . عدا هذا الجانب التاريخي وما يتبعه يتلخص رأينا في الافعال بضر بين .

١ — ما سبق لنا ان تكلمنا عليه وهو طرد الافعال مطلقاً على باب (ضرب) .
٢ — قياسية كل الزيدات الصرفية ولكن لدلالات خاصة . وقد توصل الى شيء كبير من هذا الشق الثاني المأسوف عليه ظاهر خير الله الشويري في رسالته (اللمع النواجم) ولا يتسع المقام لايراد شيء من تخصيصات الزيدات الصرفية على ان الصرفيين سقطوا على كثير من التحقيقات النفيسة في بحث الافعال وبلغ بحث الافعال عندهم باكثر مما بلغ سواه ومن اراد تحقيقاً ترتضيه على الافعال فعليه برسالة (اللمع النواجم) .

(التعريب) من اصعب البحوث ضبط التعريب حتى ان اللغويين القدماء انتهوا وما انتهت ابحاثهم فيه وخصه كثير منهم بالتأليف . وانا اختلف كل الجماعة السابقة في عمل التعريب وارده رداً عنيفاً واعتقد بان الاسباب التي اظهرت حاجة العرب في عصور مدينتهم الى الاخذ به لم تكن سوى وقفة اللغويين والنحاة هذه الوقفة المنكرة ورأى ان التعريب لا يدخل الا في نقل الاعلام وليكن بشرطين (١) ان ينقل العلم او الاسم على مقتضى الحروف العربية البحتة . فليس لنا من أجل نقل العلم ان نزيد في ايجديتنا بل نُكسِّر العلم على حروف الابجدية كما فعل العرب الاولون وكما يفعل الأجانب اليوم في كافة الاعلام الغربية والامثلة عليه أكثر من ان تحصى ولا داعي ابدأ لايجاد (حاف) وما لها وكان اول من فكر بزيادة حروف وحرركات على وفق الاجنبيات في العربية المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في كتاب (توجيه النظر) ولكن رحمه الله كان أكثر حيلة حينما عمد الى احيائها من منطلق العريبات المماتة (٢) ان ينقل العلم ايضاً مراعى فيه وزن عربي محفوظ وان لا يزيد عن سبعة احرف فاذا زاد انقص منه بحيث لا يتخلل بالعلم . وقد رتب

وهي النتيجة التي قضت بأن العربية خضعت ككل شيء لناموس التطور العام ، وان القرآن تناولها وهي بين أيدي التطور أي لم تستقر بعد على أكل الوجوه. بل لازالت تنزع الى الهدف الأسمى الذي ترى مقدار ما هي تنظر اليه وتشخص نحوه في تماثل اليه وتسام قريب. حتى انتهينا الى النتيجة المذكورة التي لم تكن عليها ظاهرة واحدة من البناء أو الاعراب أو الاعلال أو الافعال أو المجموع أو تخصيص الموازين أو همز المعل أو التذكير والتأنيث أو العروض بل كان لها ظواهر في كل ما من العربية في جوهرها وطبيعتها. وفي التمدي والازوم ظاهرة أخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها،

قواعد خاصة لنقل الاعلام لا يتسع المجال لذكرها هنا وهذا وان بدا غريباً نائياً فان للغة شخصية يجب ان تحفظ ومسحة يجب ان تظهر .

(الاعراب) نعتمد الآن في هذه الخلاصة ما انتهى اليه البحث الاستشراقي في الاعراب وفي حركاته انها بقايا ضمائر وادوات اشارية على ما ذكره العلامة (رايت) في كتاب (مقارنة نحو اللغات السامية) وانتهينا الى رأي جديد في التنوين وهو ان العربي لما أقر لفته في اللفظية واستوى منطقه على اشده كره الصوتية في الحركات الاعرابية التي يقتضى مداها عند الوقف عليها ظاهرة . فقطع المد بالتنوين وقد ظهرت محاولته هذه في تنوين الترم من مثل قول الشاعر (اقلي اللوم عاذل والعتابن) والاصل العتابا . واذا صح هذا فيكون العربي قبل التنوين كان يقف على الحركات ممدودة مما يشعر بصحة الملحظ الاستشراقي والشيء الملفت حقاً هذا التناظر الشديد بين جمع المذكر السالم وبين المفرد المنون في حالة الرفع في المفرد تقول (زيْدٌ) بحيث لو مدت الضمة قليلا مع الاحتفاظ بالتنوين نشأ منها (زيدون) وكذلك في المثني مما يظهر معه ان النون في الجمع تنظر حقيقة الى التنوين في المفرد .

(التذكير والتأنيث) في غير شك ان التذكير والتأنيث لم يتنقيا في العربية من الفوضى خذ العنق والابط والاجهال الخ ثم أخذنا بالاستقرار بعلامة فارقة اطردت بالتاء وكثرت بالالف المقصورة او الممدودة . وهذه الفوضى عزها الاصمعي والمفضل وابن الاعرابي من الرواة الى الاختلاف القبلي وكذلك النضر بن شميل وسيبويه من النحاة وهم يطعنون الى هذا الالتباس ونحن لا نعلمن ولاصعوبة الموضوع خصوصه بالتأليف ولكن يختلفون فيه اختلافاً كبيراً فما يقطع ابن سيده بتذكيره يجوز فيه الازهري التأنيث. ونحن نفهمه على انه كان امرأ اعتبارياً يدور مع الملاحظة بدليل ما ذكر صاحب الامالي من ان اعرابيا سمع يقول فلان جاءته كتابي فاحتقرها ذهب الى معنى الصحيفة. ويقويه ان الاولين يتوهمون ذكورة وانوثة في غير الحيوانات. ولكن كما قلنا أخذت العربية بالاطراد تذكيراً وتأنيثاً تبعاً للعلامة فما ليس فيه علامة وهو مؤنث فاثري متخلف ولقد أحس بهذا بعض قدامى اللغويين كابن السكيت وابن الانباري فقد نقل الفيومي في خاتمة المصباح عازيا اليهما (ان العرب تجترىء على تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه علامة تانيث) هذه

الذي غمض على علماء العربية السابقين وجه تعليله ، فاحتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ماحظ يتسق مع ما يبدو من الاختلاف . وكذلك انتهى بهم الاجتهاد العقلي والتفكير الطويل الى ما دعوه بالتضمنين النحوي ، وهو بدون شك افتراض قدره النحوي ليعمل به هذه الظاهرة الغامضة ودائماً كان الافتراض سنة الشرح والتفسير . وهنا نقص حكاية التضمنين كما تصور منه . لما أخذ النحوي يحدد مفاهيم الادوات وانتهى إلى أن (على) تفيد الاستعلاء و (في) الظرفية و (الباء) الالتصاق . أعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصياتها فكان معقولاً (وهو لا يقدر بأن للعربية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات) أن يقدر شيئاً آخر ، فقدر التضمنين واقنع به واطمئن اليه في كثير من اليقين ، ولأن كل القصد قد كان تفسير وجه النحو فنسب اليه . ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمنين على وجه آخر ودعوه بيانياً وهو يقوم على ملاحظة معني لفظ المضمن والمضمن فيه ، ومن ثم اختلفوا في أنه حقيقة أو مجاز أو واسطة أو جمع بين الحقيقة والمجاز وهكذا مما تجده في حاشية (يس) على التصريح . ونقل الانبائي في تقريره على حاشية السجاعي لقطر ابن هشام

القالة التي تحفظ عن ابن السكيت وناهيك به تفسح المجال لظن أكيد الصحة . وعليه فالتصنيف الذي نراه لكلمات العربية مطلقاً .

١ — يتعين التذكير أو التأنيت فيما كان وضعه على الحيوان بفارقة أو بدونها وهذا ما يسمى بالحقيقي .

٢ — يتعين التذكير أو التأنيت تبعاً للفارقة في غير الحقيقي .

٣ — يترجح التذكير فيما لا فارقة فيه نظراً الى ان العربي يجروء على تذكير ما ليس

فيه علامة .

(التضعيف) انتهينا ذفيه الى انه على ضربين (١) التضعيف البسيط وأمثله معروفة .

(٢) التضعيف المركب وهذا شيء نحن نراه تمليلاً لمجيء زيادتين في أوزان العربية كمثل (ففعمبل)

و (ففعلال) وتأمل هذا التناظر المدهش بزيادة الفاء والعين في الاول وزيادة العين واللام

في الثاني .

(الارتجال والنقل) ليس عندنا شيء غير منقول وما زعموه من الارتجال توهم محض

جاءهم من عدم الحفظ لمادة الاشتقاق أو من المجيء على خلاف القياس والحال ان القياس معناه

ما استقرت عليه العربية بمد تطورات طويلة . فإنا يسمونه مرتجلاً هو من هذه البقايا الاثرية .

وبالجملة فالاعلام في نظري تشتمل على قدر زاخر من تطور العربية لأن الاعلام تمتاز عدا عن

انها وليدة انفصالات عدة بكونها تتناقل عادة على صورتها .

تصريحاً مهماً وهو ان أول من قدر التضمين البياني العلامة الأول السعد ، اخذاً من عبارة وقعت للزخشي في الكشاف على ما ذكره ابن كمال باشا في رسالة التضمين .

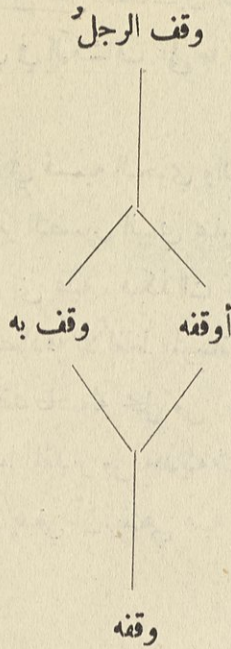
هذه حكاية التضمين في قسميه النحوي والبياني على ما نرى ، وهو حق من كل وجوهه فاذا كان كل أمر التضمين البياني عبارة تقع من الزخشي لم يرد لها محصلة أبداً لما فهمه السعد وبني عليه . فكذلك كان الشأن من قبل في التضمين النحوي . شيء أدت اليه مصادفة الألفاظ المرسلة ، والذي عندنا من أمره انه وان كان تكلفاً لاغياً في أوله ، فقد عاد وله محل من الحاجة على أن يصطنع بمقدار من فصاحة البيان . وبسببنا هذا المقدار من حديثه لناخذ في حديث التعدي والازوم وما هو في أصله ؟ والوضع الذي ينبغي أن ينتهي عليه . وهو لمن يريد أن يتناوله بالدرس على وجهين :

(١) كيف التعدي والازوم .

(٢) معاني الحروف والتعدي على معانيها .

أما الأول : فيظهر ان الأصل في الافعال القصور على النفس والازوم لها والتعدي من عوارض الافعال الثانية ، فكان من المعقول أن تبدأ الافعال وهي لازمة ثم تأخذ في تعدي عملها . فاذن التعدي فرع للزوم وهذا معنى قول الاولين (واقع وغير واقع) . ولقد جنح العربي الى التعدي بعدة وسائل بالحرف والهمزة والتضعيف ثم يكتسب الفعل التعدي بنفسه . وفي هذا شاهد جديد على ما قررنا من تأثر الأصل بالحالة التي يكون عليها الفرع . وهذا ليس كلاماً مرسلأ بل فيه شكلة شديدة من الحقيقة واليك ما يشهد له قالوا (وقف ، واوقفه ، ووقفه) وعدوا (بباب المغالبة) وهو رجوع بالمزيد المعدي الى الثلاثي اللازم ليعمدى تعديته وبحسبي من شواهد الرأي المذكور (باب المغالبة) .

واليك صورة التطور من الازوم الى التعدي على ما اتضح لنا .



وإذا صح ان التعدية تسير هذا السير الارتقائي كان لنا أن نتحلل من بعض قيود التعدية واللزوم لا على اطلاق القول فان فيه ما يذهب بشخصية العربية وطابعها من بعض الوجوه .

وأما الوجه الثاني : الذي هو معاني (الأدوات) والتعدية على معانيها فأكثر ما يكون لزوماً ، وبالفعل قد أخذت العربية في هذا السبيل وقطعت شوطاً واسعاً فيه كما يظهر في (على وفي واللام) .

وقبل أن أنتهي بالكلام عند هذه الغاية المجلدة أنشر تساؤلاً وأجتهد بالجواب عليه . لماذا لزم بعض المصادر ومشتقاتها التعدية بحرف شخصي من مثل (قصد) الذي يعدي (بالي) و (عمد) الذي يعدي (باللام) على ما هو الافصح ، وتخصيص الحرف بالفعل يكاد يكون عاماً في مصادر العربية اللازمة . والذي يظهر انه آت من تدقيق الملازمة بين تمام معنى المصدر ومعنى الحرف فاننا بدرس (عمد) مثلاً ومشتقاتها

(العمدة والعامود والعمدة) نخرج بمعنى الارتكاز والتحمل على الشيء . ثبات . وهذا لا يناسب أبداً حرف (الى) التي تفيد الانتهاء . ولم ترى مناسبتة ظاهرة مع حرف (اللام) التي تفيد الاختصاص أو الملك . هذا هو وجه السر فقط على ما اتضح وليس آتياً أبداً من طبيعة الحروف أو من اعتبار آخر .

وإذا كان هذا هو السر في اختصاص الحروف فقط ، فلا نرى حرجاً للكاتب العلمي والفني أن يجاوزه على ما وجدنا في (عمد) و (قصد) كيف يجاوز العربي بهما فصيح الربط ودقيق الملاسة في الاستعمال الشائع ، بدون أن يقال بتخطئة أو غلط . وان كنا نتخرج مع الأديب أمره ونأخذه بفصيح الروابط ودقيقها ما دام يختص للأدب ويكتب لخدمته .



نموجات من المعجم الجديد

ليس هذا المقدار هو كل ما انتهى وضعه من المعجم بل قد استوى وضعه مع الجدول الهجائي بكامله على نسق هذه النموجات وانما لم ننشر إلا مادة أو مادتين ليكون مثلاً للطريقة التي نجتهد في إحلالها محل العمل والقبول . وهو إذا لم يحز من ثقة الناس واعتدادهم النصيب الذي نرغب به فلن يكون شيئاً يزيد على انه عمل لنا مما نرى عبثاً محضاً اخراجه كذلك وإيفاً قبل أن يبدي الرأي العربي ارتياحه اليه . ونحن لن نلبث حتى نخرج المعجم الجديد في حجم (لاروس) أو يزيد قليلاً على أبلغ ما يمكن تحريراً ودقة من حيث موضع الاصطلاح ومنزلة الاسم العلمي من روح الدلالة .

هذا وقد اصطلمحنا على ما هو نسق أجنبي في وضع المعاجم من التمييز بين الاسم والصفة والحقيقة والمجاز واصطلمحنا على الرمز الى الابواب بحروف مفردة بقطع النظر عن مزايلة المصادر أحياناً بين بعضها وكذلك اصطلمحنا على الرمز الى المصدر والتصريف و الوحدة ^(١) المعنوية والوحدة ^(٢) المادية والاشتقاق والتعدية وهذا شيء نجد مثله كثيراً في المعاجم الاوربية تكتب بأحرف أخرى وتنزل وسط الأسطر في سير الشرح ولا نجد حرجاً من الأخذ على شبهه في وضع معجمنا العربي .

وهنا أسوق راموز الاصطلاحات على ما تم في المعجم .

(ل) الباب الاول	(حد) الوحدة المعنوية	(ج) الجمع .
(ن) الباب الثاني	(وحد) الوحدة المادية .	(جج) جمع الجمع .
(ث) الباب الثالث	(تص) التصريف .	(مك) المذكر .
(ع) الباب الرابع	(مص) المصدر .	(مث) مؤنث .
(خس) الباب الخامس	(مع) المعدى .	(سم) اسم .
(س) الباب السادس	(شق) الاشتقاق	(صف) صفة .

(١) تعني بالوحدة المعنوية المعنى الذي تشترك فيه جميع المشتقات وتتلاقى عليه

(٢) تعني بالوحدة المادية جعل معنى كل مشتق على الانفراد وحدة للاشتقاق

[إنجین] (صف) خلاصة تجمل

الجسم متأبداً (سم) الاديوشيرا وهي
مادة بيضاء تعلقو تلافيف الحيوان اذا دفن
في منطقة باردة أو في الثلوج تحفظه من
الفناء .

(أبد)

(مر) التماذي في جاني الماضي
والمستقبل والتوحش أيضاً وهو مجاز مرسل
عن المنزل القفر لأنه تماذي عليه الدهر
(نص) ل . ن ؛ في التوحش والنفور
؛ ع ؛ في الغضب وجاء منه تأبد الرجل
توحش . (مص) أبود . أبد (مع)
بالباء . (سو) الأبد (ومر) الدهر
الطويل غير المحدود .

[أباد] (سم) صورة الابد تقول
أبادة أي صورة من حياة الانسان في
أقدم التاريخ .

[إبادة] (سم) العلم الذي يبحث
الاشكال التي كان عليها العالم في أقدم
ما كان .

[أبادية] وبالتشديد (سم)
الفلسفة التي تقول بقدم المادة وان الدهر
أسباب ونتائج متواصلة .

(أبح)

« مر » الأبدية في الاشياء (نص)
؛ ن ؛ (مص) أبح . (سو) الأبح
« ومر » الأبد

[أبح] (صف) الشيء يحفظ على

الابد بصناعة تدخله تقول هيكل رعمسيس
ايح . وهياكل المصريين القدماء على وجه
العموم أباج (سم) الايجوالابجة الموميا
[أباج] (صف) صورة المتأبد
(سم) مجموعة صور الموميآت تقول
أباج نفيس

[إباجة] (سم) علم الاخنولوجيا

أي علم آثار الاقدام في طبقات الأرض
وإباجي (صف) أي بحث يتعلق بأثر
من هذا النوع كقدم النبي المزعومة على
الاحجار . تقول رأيت بحثاً طريفاً حول
آثار قدم النبي من الناحية الاباحية .

[أبجن] (سم) الشخص المسيطرة

عليه فكرة الخلود على هذا الشكل . تقول
كان قدما مصر بين أباجن والفكرة نفسها
(أبجئة) تقول بحث حول ابجئة المصريين
القدماء .

« وهمر » برد يشق فتلبسه المرأة من غير
كمين . سراويل بلا رجلين .
[الأتَب] (سم) الثوب يلتقي على
الكتفين وهو المعروف في الأجنبية
(بالكاب) .

[الأتاب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة في البيت كالعباءة يدعى في الأجنبية
(كمنو) .

[الأتیب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة تحت الثياب الرسمية أشبه بالجمالة لها
يدعى في الأجنبية (كبلزون) .

[المئتب] (سم) سراويل
الاستحمام والسباحة ويدعى في الأجنبية
(مايوه) . (شعر)^(١)

يا فتنة تفتثر على ضفاف البحر
وباقة تزدهر على دوار الصخر
يا حبذاه مسرحاً والخود فيه تجري
خرائد مثل الدمى يشين وثب المهر
يثرن أسباب الهوى في وثبات الجري
برزن في (مآتب) ايظن سحر السحر
ثم انحدرن غوصاً بين عباب البحر
تحسبن بين موج الماء بلق الطير

[إبدیت] (صف) الذي يستخفي
فيه التوحش ويكون له روحان واحدة
عصرية وأخرى جيلية ترجع به الوراثة القهقري
أحقاباً وهما يحكمانه في تعاقب كالتى صورها
الكاتب جاك لندن في اقصوصته (الحياة
الاولى) تقول بحث حول شعور الابديت .
[إبدین] (سم) اكسير الحياة .
[إبدیان] (صف) المائل إلى
التوحش في تفكيره وتقاليده . وكذلك
الذي يرمي إلى رد الناس الى حياة الفطرة
(كروسو) تقول كان روسو ابدیاناً في
مذهبه الاجتماعي .

[اُبدوان] (صف) المنزل التاريخي
يصبح قفراً تقول رأيت اُبدوان سامراء
كملت أقبر حياثم لفظ أنفاسه في صموت
موجع .

(اتب)

« همر » الرقة في غير تماسك شديد
على الاشياء (نص) ؛ نه ؛ وجاء منه
اتب الثوب صير اتباً . وتأتب به وأتتب
لبسه . (مص) أتب (سو) الأتَب

(١) من قصيدة لنا (على شواطئ الاسكندرية) . .

[الآتوب] (صف) المرتفع من الأرض ارتفاعاً يسامت معه السحاب .
تقول جبل آتوب وجبال هملايا
أوائب .

(ابر)

« هر » الانسلاخ في الشيء والخروج منه بدون أثر يترك . « نص » ل . ه .
وجاء منه أبر الزرع أي أصلحه . وأبر الكلب أطعمه الابرة . وأبر العقرب لدغ بابرته . وأبر الرجل اغتابه . « مص » أبر . آبارة . آبار « مع » بالنفس « ش » آبرة « ومرة » آلة دقيقة فولاذية أو عظمية أو عاجية ذات رأس محدد تستخدم في الخياطة والتطريز وما أشبهه .

[إبور] « سم » ربو المحدد الذي يحصل بسبب غبار فولاذي يمتزج بالهواء ويدخل رئت عمال الابر .

[إبور] « سم » رمد في العين يحصل بهذا السبب نفسه عند المحدد .
[مشبر] « سم » الآلة التي تمنع من غبار الابر فلا يصيب المحدد .

[مشبر] « سم » الآلة التي تصنع الابر

(أثب)

« هر » السهولة في تجدل ويظهر معناها في (وثب) والهزمة منقلبة .
(نص) ؛ ن ؛ أثب الرجل لعبت به الريح فجعلته في ارتفاعات وانخفاضات واثب الماء اذا تسرد (مص) أثب .
مأثب (ش) مثب « هر » الأرض السهلة والجدول .

[مثاب] (سم) آلة تختص بالاراضي الرملية .

[أثبان] (صف) المتفوق بتصوير الجداول أو بنحتها .

[أثبوة] (سم) الجدول ينحدر من جبل ويوافق الجبل في هبوطه إلى الأرض (شعر)

ان لبنان في الطبيعة عدن

صنوها تيك في خيال الجنان
تستهم النفوس بين ذراه

وبأرجائه تهيم الأماني
(أثبوات) من فوقنا صامتات

فاذا ما انحدرن هن أغاني

مثب « هر » ما ارتفع من

الأرض .

بطريق غير شرعي كما لو قضى على شخص
بالابرة والأيبرة نفس الاهلاك تقول
اتخذ لخصومه ابيرة لثيمة جداً .

الآبر « وهمر » للعقرب اللدغ
بالابرة .

[يُوْبُور] « صف » لدغ كل ماهو
على شاكلة العقرب أي يحمل ابرة يدفع
بها عن نفسه تقول فصيلة يُوْبُورية
وحيوان يُوْبُوري .

مِشْبَر « وهمر » موضع الابرة .

[مِشْبَرَة] « سم » موضع الابرة
مطلقاً من الآلات أي اسم للاداة التي
تمسك الابرة .

الآبر « وهمر » للبتر احتفاره .

[مِشْبَر] « سم » الالة التي يحفر
بها الآبار الحديثة

الآبار « وهمر » البرغوث .

[مِشْبِر] سم برغوث الرمل .

ويشتق من الوحدة المعنوية للعمليات
الجراحية الماهرة تقول استأبر في استئصال
الزائدة المعوية بصورة مدهشة .

[أْبِير] « صف » الماهر في

الجراحة إلى حد كبير « سم » لقب
التفوق الذي يعطاه الجراح .

الآبر « وهمر » للزرع اصلاحه
[إِبَارَة] « سم » فن اصلاح
الزرع .

[أِبَار] « صف » صورة الزرع
الصالح « سم » نموذج بالصور من اصلاح
الزرع أو التعليم الزراعي المصور .

[أِبْرُم] « صف » توليد نوع أجود
بالاصلاح المستمر على النبات « سم »
قانون مندل ونخص (أِبْرُمَة) بالتاء
لتجربته التاريخية على القمح تقول درس
على الابرة أي تجربة مندل على القمح .
إبرة العقرب « وهمر » طرف ذنبها
الحاد .

[أِبْرَة] « سم » العضو القائمة فيه
الآبرة المذكورة ويتحرك بعمل عضلي .

الآبر « وهمر » للخصوم اهلاكم
والنخيمة أيضاً .

[إِبْرِيْت] « صف » صاحب
النفسية التي لا يحلوها العمر إلا بالايقاع
بين الناس وكذلك تكون مفضرة على
أن تنضح بالبعض الوبيل لأفراد النوع
الانساني .

[أَيْبَر] « صف » الذي يهلك

[مِثْبَت] « صف » اداة تهبيج
النار واذكائها « سم » اداة تقوية المجري
الكهر بائي .

[الأبت] « وهر » شدة حرارة
الجو في النهار في قولهم ابت اليوم .

[الإيوت] « صف » الآفة تنشأ
عن شدة الحرارة الجوية .

التأبت « وهر » احتدام الجمر في
قولهم تأبت الجمر .

[إيبت] « صف » حالة احتدام
الآلات المولدة للحرارة أو النار مطلقاً
تقول السيارة في ايبت أي في حالة احتدام
شديد .

الآبئة « وهر » شدة الغضب في
قولهم ابئة الغضب .

[أبأت] « سم » صورة الغضب
الصحيحة عنه .

(أبز)

« هر » السير بتوثب « نصس »
ه ؛ قالوا ابز الغلي وثب أو تطلق في
العدو والانسان استراح في العدو

« مصس » أبز . أبوز . أبزى « سو »
الأبز « وهر » الوثب .

[مأبران] « سم » المشرط
الكهر بائي الذي يكوي في وقت الجرح .
(أبت)

« هر » اشتداد الحرارة . « نصس »
ه . ع . ل ؛ أبت اليوم اشتد حره فهو
أبت وأبت وأبت . وتأبت الجمر احتدم .
« مصس » أبت . أبوت . « مع » بالنفس
من « سو » الأبت « وهر » اشتداد
الحر .

[الأبتاء] « صف » التميز بشدة
الحرارة تقول آلة ابتاء وسنة ابتاء « سم »
خط الاستواء تقول مقاطعة ابتاوية أي
واقعة في خط الاستواء .

[الأبتوة] « صف » الناقى من
الحرارة تقول ابتوة الحروق للتؤلولة التي
تحدثها « سم » مرض باطني يمتاز بحرارة
تحدث في سطح الجلد تنوءاً .

[الإيوت] « صف » كل ما يتولد
من تفاعل حرارة « سم » الغابة التي
تتمرق بمجرد احتكاك شجرها إذا حركها
الريح .

[مأبتان] « صف » مقوي الحرارة
أو مضعفها بصورة آلية .

[إِبْرَز] « صَف » وثب الحيوانات
المصغرة الذي لا يقال له الديب .
الأبْرُ « وهم » للظبي المنطلق في
العدو .

[أِبْرَ] « سَم » السيارة تسير بدون
مبالاة كسيارات الاسعاف والحريق .

[مُؤْبُوز] « صَف » الذي يحس
في باطنه توثباً من مرض أو عارض « سَم »
رعشة الغضب المكتومة أو رعشة الغضب
على تذكر اهانة أو اساءة .

[إِبْرِبْت] « صَف » الذي يريد
أن ينتقم للتاريخ ويثور له أشد الثورة
وبوده لو يستقبل تاريخ الحادث حتى
يحرق الارم .

(ا ب ص)

« هم » النشاط البالغ « تصن »
ع ؛ « مصى » أبص « شو » الأَبْص
« وهم » النشاط

[أَبَاص] « صَف » النشاط
المتجسم تقول رجل يطالعك بأباص دفاق
« سم » صورة النشاط البارعة أو مجموعة
الصور من ذلك .

[إِنْز] « صَف » وثب خفيف
منظم « سم » الوثب في الرياضة الملحقة
بالالعاب السويدية .

[أِبْرُ] « صَف » الذي يفعل
الوثب في مضاعفات « سم » حيوان
الكنجرو .

[أِبْرَان] « سَم » الذي يثب في
الهواء في مرات والذي يتقاب في الهواء
مع الوثب .
[أَبَاز] « سَم » صورة الوثبة البارعة
مطلقاً ومجموعة الصور من هذا أيضاً تقول
اباز جميل .

[أِبْرَة] « صَف » ما يوثب بدفع
« سم » كرة التنس .

[إِبَاز] « صَف » تعاطي الوثوب
مع آخر « سم » لعبة التنس

[إِبَازَة] « سَم » فن هذه اللعبة .
[أِبْرُ] « صَف » السير بالوثوب
تقول حيوان أبزي وفصيلة ابزية .

[إِبُوز] « سَم » مرض ينشأ عن
الوثب .

[أْبَيْرُ] « سَم » الحركة العضوية
التي يقوم بها الحيوان الانقلابي كالحيوانات
النباتية .

الذي يعطي نشاطاً باطنياً بدون إجهاد
حركات التنفس الهندي الموزونة .
أَبُوص « وهر » الفرس النشيط
السباق .

[آبُوص] « صَف » صنف الخيل
المتماز « سم » حامل جائزة السبق من
الخيول .

[أَبْص] « صَف » نشاط الحيوان
مطلقاً .

(اِض)

« هر » العقل بحيث يأخذ المسارب

« نص » ه : ع ؛ قالوا منه تأبض بمعنى
أبض « مصى » أَبْض « مع » بالنفس
« سى » الأَبْض « وهر » شد رسوخ
البعير الى عضده .

[مَبْض] « سم » الفرام في
الاتومويلات وسواها .

[مَبْأض] « سم » مفتاح أو اداة
الايقاف في السيارات الشديدة الاندفاع
في الجوى أو البحر أو الأرض .

[مَبْض] « صَف » نسبة قوة
الفرملات .

[أَبْصَن] « صَف » من عنده نشاط
روحي قوي « سم » الشخص يتقوى
عنده أثر العقل الباطن حتى يحل المسائل
المعضلة في النوم . وتضاف التاء لافادة
الوضعية تقول بحت حول (الابصنة) أي
هذه الظاهرة .

[إِنْصِن] « سم » الشخص ضعيف
النفسية الى حد الخور .

[أَبْص] « صَف » النشاط يكون
في مضاعفات من النشاط تقول رجل ابص
« سم » الرجل الذي يفوز بالبطولة في
لعبة منشطة .

[مَبْص] « صَف » اداة التنشيط
مطلقاً « سم » آلة التنشيط المطاطية
أو الزنبركية .

[مَبْأص] « سم » الأدوات
الحديدية المبنية على نسب رياضية للأكف
والاصابع والأيدي والصلب وهكذا .

[مَبْص] « صَف » نسبة النشاط
« سم » ميزان النشاط الرياضي .

[إِبْوص] « صَف » العارض
المرضي ينشأ من النشاط .

[إِبْص] « سم » اللعب الرياضي

غير شيء من الظهور « نصي » له دل؛
قالوا ابطه الله هبطه وجاء منه تأبط وضع
تجت الابط . وأتبط اطآن واستوى وفي
النفس ثقلت « مصى » أبط « مع »
بالنفس « سمي » الإبط « وهر » مارق
من الرمل .

[مَاطِط] « سم » الأرض تكون
مغمورة بطبقة رملية رقيقة .

[أَبْط] « سم » الطبقة الرملية في
باطن الأرض .

الإبط « وهر » باطن المكتب .
[إِبْط] « سم » الآفة تصيب
باطن المكتب كالقرحة .

[أَبْطَان] « صف » أكل ما يكون
عليه الابط من جمال في التكوين .

التأبط « وهر » ادخال الثوب من
تحت اليد اليمنى والقائه على منكب اليسرى .
[إِبْطِيَان] « سم » لباس جندي

الرومان القديم « صف » كل لبسة تكون
مائلة إلى التأبط .

[مِبْض] « سم » المِبْض الحراكي
(الاوتوماتيكي)

الإباض « وهر » الحبل الذي يشد
به رسغ البعير .

[إِبْاضَه] « سم » قطعة الحديد أو
الخشب في عربات النقل التي تجعل فوق
الدولاب للتوقيف أو إبطاء الحركة .

[إِبْضَة] « سم » قطعة الكاوتشوك
أو ما يقوم مقامها من الآلات المصغرة
كالبيسكالات وهكذا .

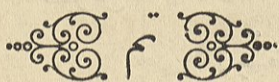
المابض « وهر » باطن الركبة .
[إِبْوض] « صف » الآفة تصيب

باطن الركبة كالقرحة .
الأبض « وهر » الدهر .

[الأَبْضِيَّة] « سم » المذهب
الدهري المنشأ وأصحابه يحملون الموت
أمنية الاماني تقول كان الخيام أباضياً أي
دهرياً منشأئماً شديد التطير بالحياة .

(أبط)

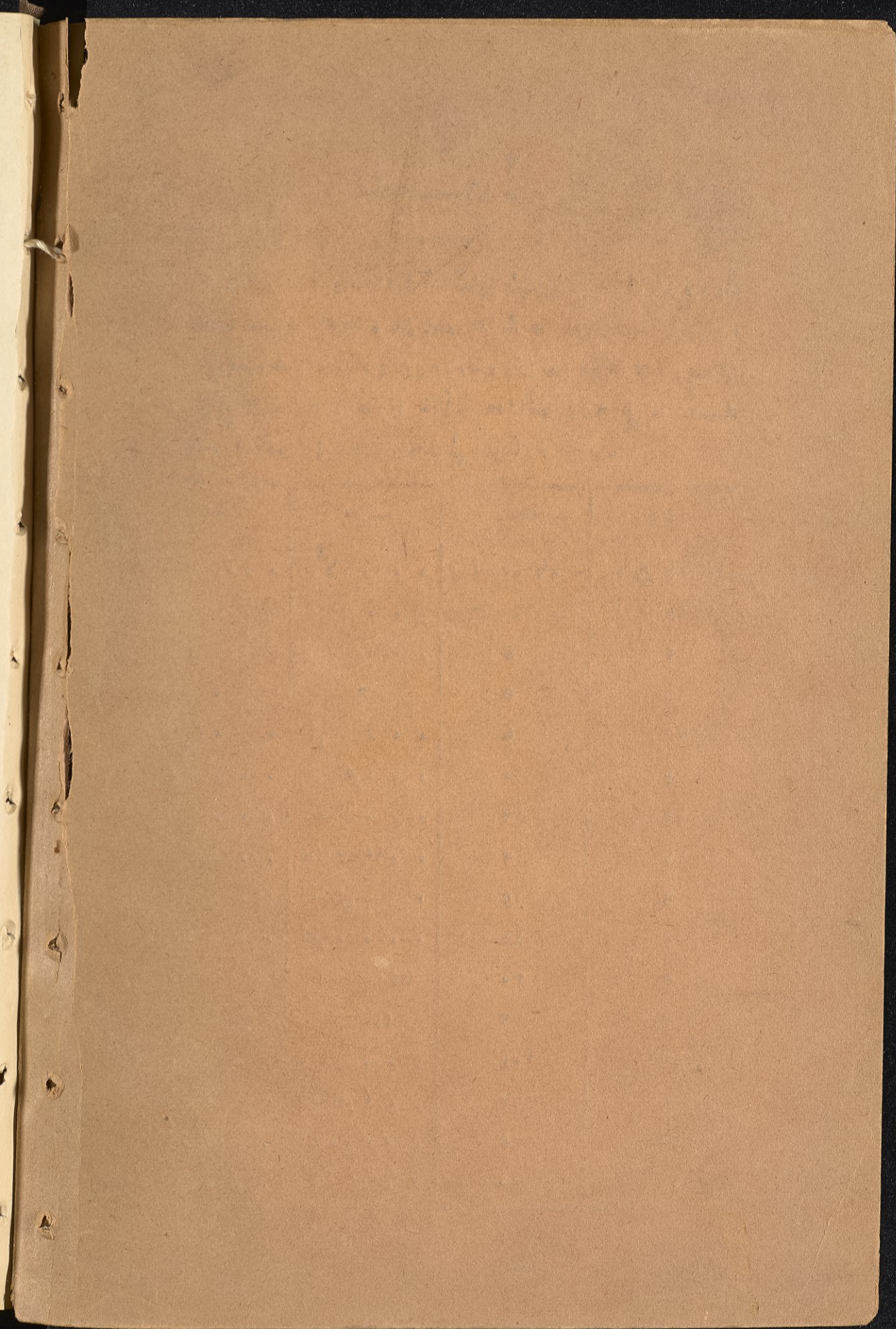
« هر » الاستخفاء غير التام أو في

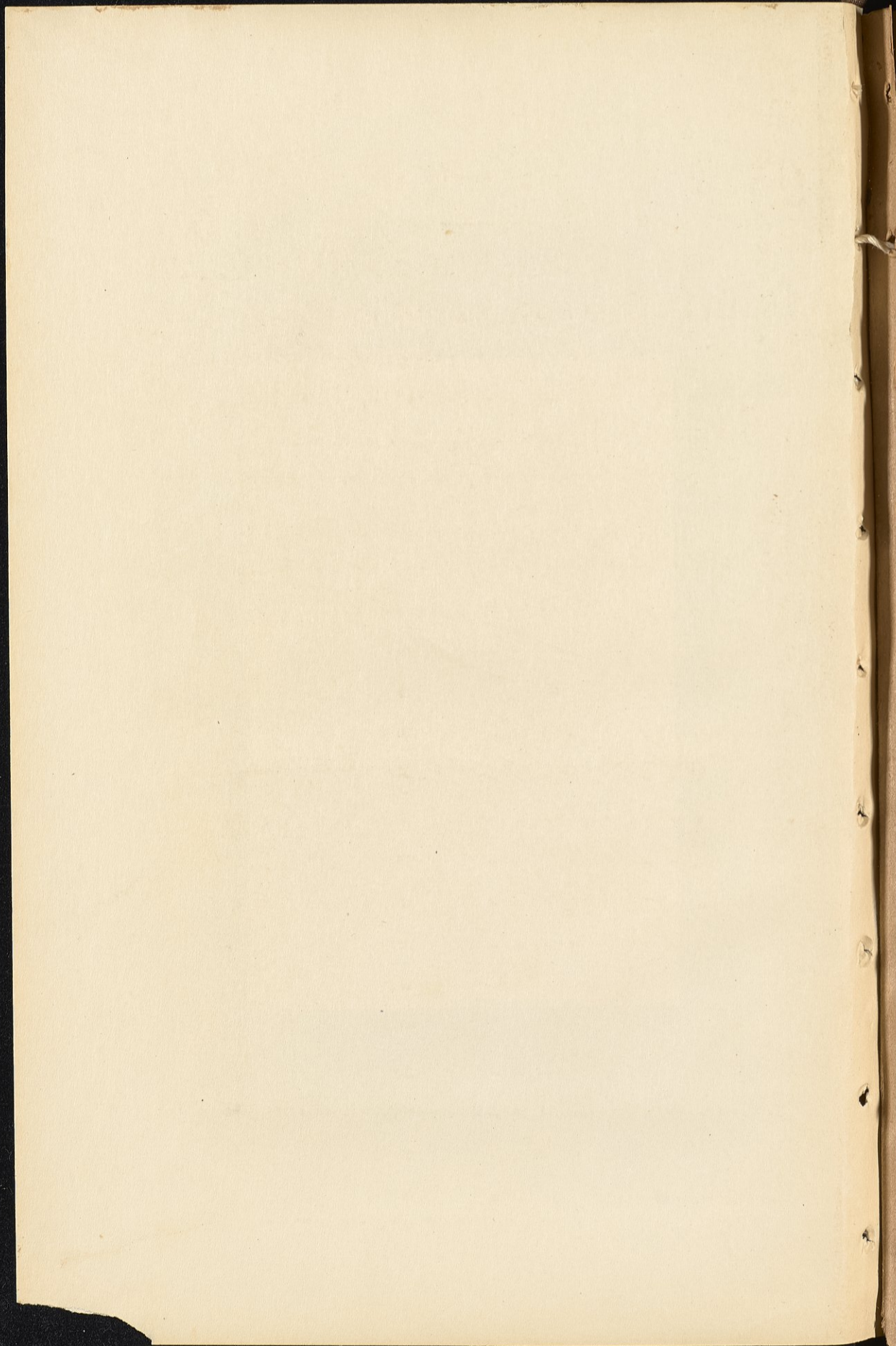


تذبيها!

وقعت في الكتاب أخطاء قصدت أن أتجاوز عنها وثوقاً بادراك المطالع . وأنا أعرف شخصاً تغلب عليه الدعابة ، كان يتجهم اذا عثر على جدول للخطأ والصواب ، ذاهباً الى ان معناه عدم الاعتداد بالقارى . وهذه وان تكن فكاهة فما لا ريب فيه أن على المطالع أن يتسامح اذا عثر على خطأ من هذا القبيل ، فانه أقل ما يتحمله من الاعباء . وقد نهت على أخطاء سنحت لي سنوحاً ولها موضع .

سطر	صفحة	صواب	خطأ
البيت ١٤	في قصيدة الاهداء	الزُّلالِ . . .	الظلالِ . . .
البيت ١٥	في قصيدة الاهداء	الزُّلالِ . . .	الظلالِ . . .
١١	٥	فكثيراً . . .	فكثير . . .
١٣	٥	»	»
٢٣	٥	لتي	(لتي) . . .
٥	١٠	أن ينهي . . .	ينهي . . .
٢٢	١١	يعطيانا . . .	يعطيانا . . .
٢٧	١٢	سنة ١٩٣٧ . . .	المام الفانت . . .
٦	١٥	النشوي . . .	النشوي . . .
١٩	١٥	نفرد . . .	نفرد . . .
٢	٣٠	(an arabian)	(an arabe)
٣	٣٢	(pear)	(par)
١٦	١٠٤	يريدون . . .	يريدونها . . .
٩	١٧٢	(طومار) . . .	وهو (طومار)
١٢	١٨٥	بأنها من أسماء . . .	بأنها أسماء . . .
١٨	١٨٥	وبقية . . .	وبقيت . . .





DATE DUE

FEB 15 1999

JUN 10 1999

Printed
in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0043502679

893.72
AL12

BOUND

JUL 26 1956

